

المنهل

AL MANHAL

مجلة التثقيف الأدبي

العدد (٥٣٧) المجلد (٥٨) العام [٦٢] رمضان ١٤١٧ هـ / يناير ١٩٩٧

الطفل

الداعية

كلمات للحياة

التاريخ ابداع

شعر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

- == إبراهيمي في قلب المعركة!
- == حدود الواقعي والمتكامل
- == الساعات الحيوية عند الكائنات الحية
- == المعجم المعاصر والتكنولوجيا الحديثة
- == السواك في معالم البحث

مما قل



الصوم جنة

يقوم المسلمون ، في مشارق الأرض ومغاربها ، بصيام شهر رمضان المبارك ، في كل عام . وفرضية الصوم على المسلمين وجعله ركناً رابعاً من أركان الإسلام الحنيف ، مغزاه الأول والآخر «تقوية نفوسهم من الاضرار ، وتصفية ارواحهم من الاكدار» . التي تقتضيها ملايسات الحياة طيلة احد عشر شهراً من السنة . فهم اذا صاموا ايام شهر رمضان وقاموا لياليه كانوا بلا شك اقدر على مواجهة مطالب الدين والدنيا . بعد تحلهم لهذه الرياضة الشاقة اللذيذة في آن واحد .

ولكن الاسف يحز في نفوسنا ، حينما نرى عامة المسلمين وغالبيتهم في مختلف بقاع الارض يتخلون من هذا الشهر وسيلة من وسائل الاسمان في الترف وكثرة الملل والمشرّب . زيادة عما كانوا عليه في ايام افطارهم .

لقد نسوا (الهدف) السامي الذي من اجله شرع الله جل وعلا لهم هذه القرية المقدسة ، لترتفع بها مكاتبتهم عن السوى . فضاعت عليهم هذه الفرصة الثمينة السنية .

ان المسلمين في فجر الاسلام ، كانوا اذا انتهوا من صيامهم الغرور الذي كانوا يؤدونه حق الاداء في ليل ونهار ، يشعرون بغض من السمو الروحي والنشاط الجسمي يجريان في شرايينهم . ويتدفقان الى قلوبهم .

انهم - بمناسبتة - كانوا يبتعدون عن مراتع التهاور والتشاحن والتباغض ، ويقتنون على رياض المحبة والتالف والتسامح والتخني والتصافي ، واسداء الخير . وقمع الشرور في النفوس . وذلك كان صيامهم لهم (جنة) يضم الجيم ، يتربسون بها من اعدائهم الداخليين والخارجيين ، وليس امتن من دروع تقوية النفس وترقيتها لاحتمال كل المشاكل ومواجهة كل الصعاب بروح رياضية مطمئنة متوثبة .

والله قد امرنا بالصوم ، وجعله صومين ، صوما جسميا يتمثل في شهر الصيام المبارك فيقوى به كيانتنا الخاص العام امام مترعى الاعداء الداخليين والخارجيين ، وصوما روحيا يتمثل في كبت غيلان الشر في جوانمنا ، وكبح جماحها والنظر الى (المصلحة العامة) قبل (المصلحة الخاصة) ومجاوبة اعدائنا الداخليين والخارجيين في (صف) موحد كالبنين الرصوص . (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانوا بنيان مرصوص) فوجدة الصف هذه قد شرعها لنا الله الحكيم العليم في حكم تنزيله وعنايته الى اعتناهم . . . واعرب لنا عن (محبة) لنا اذا نحن قمتا بها على المتوال المطلوب . . .

ليت المسلمين يصومون في صيامهم وافطارهم عن الغنى والركش المجنون وراء الشعارات المستوردة ، فليتنا افضل شعار يهينا سواء السبيل ، ونيمنا وقدمنا ويطورنا على اجمل طراز .

انهم ان فعلوا ذلك كان صيامهم مقبولا . وافطارهم ميمونا ، ومجتمهم اينما كان في الحالين سعيدا ومتطورا تاميا ومتقدما راشدا ساميا . فهل هم فاعلون !!

«عبد القدوس الانصاري»

١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الانصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز التوزيعي:

جدة الشرفية ص ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ بريقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ الرياض: ص ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيعة - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس .

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٢٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

لقطة الشهر



الطفل: أمانة والديه والمجتمع .. ينبغي أن يحاط بكل أسباب العناية في التربية: سلوكاً وأخلاقاً .. وفكراً ومعرفة ..
والتربية الدينية هي البيئة الطبيعية التي تصون فلذات أكبادنا .

أصورة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، المجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر بون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها،



غلاف المده

السمو الروحي

دار المنهل
Almanhal

مجلة شهرية للثقافة والعلوم والتربية

العدد: (٥٣٧)
المجلد: (٥٨)
العدد: (٦٢)



دار المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

تهنيء الأمة العربية
والإسلامية وقرائها
بمناسبة حلول

شهر رمضان المبارك

اعادة الله علينا جميعاً
بالخير والبركة
وكل عام وأنتم بخير



السمو الروحي غاية إيمانية يسعى إليها المؤمن، وحسن التوجه لله سبحانه، وتحقيق العبادة، الدرجات الموصلة لهذا السمو..

والاحسان اسمى درجات العبادة (أن تعبد الله كأنك تراه.. فان لم تكن تراه فإنه يراك) إنها المراقبة الدائمة من غير انقطاع..

مراقبة الله سبحانه في السر والعلن .. مراقبته في كل عمل وسلوك..

والذي يسيّر حياته على هذا النمط السلوكي الجاد في معطيات حياته كلها، يكون أكثر توفيقاً في حياته ، لأن داخله طبع على إبعاد (الآنا) التي تفسد كل الاعمال.. وهذه المراقبة تبعد عن الانسان المؤمن شبح رؤية نفسه في أعماله، لأن المؤمن متى ما رأى نفسه في أعماله فقد زلت به القدم وهوى في قاع سحيق من قيعان النفس الامارة بالسوء..

والصوم - لا شك - يقوي في المسلم دافع المراقبة، في كل أعماله .. مراقبة ربّ القلوب حتى لا تزيغ بنا الأهواء، وتزل بنا الاقدام..

«الصوم جنة» وقاية حقيقية للنفس المؤمنة، المؤمن متى ما تعلق بأسباب السماء، ظلت روحه موصولة بالسماء ابداً..

رئيس التحرير

وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٠٧٦-٢٤٤٠٠٨٠٠ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٠٤٤-٧٤٧٠٠٥ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٢٣٢٤٩٩ - الشرفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٠٢٢٣-٤٠٠٠ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٠٤٥٦٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ النوبة ٠٤٧٨٢٤٧٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٠١٩١-٦٢ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٠٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت ٠٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ النامة ٠٥٣٤٥٥٩

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣١٢٤

الشعر

- ٤ - الطفل الداعية .. حوار: يعقوب السيد.
- ١٤ - أفكار مثيرة للجدل (٣-٨) - د. محمد عمارة.
- ٢٤ - في القصص النبوي (٢٥) - د. عبد الباسط حمودة.
- ٢٨ - سنن الفطرة وأثارها التربوية - صالح أبو عراد الشهري.
- ٣٦ - إحصاء لفظ الجلالة (الله) والرب (إله) في المصحف الشريف - د. مجدي الطويل.
- ٤٢ - رمضان في الإسلام - فيصل صالح أسعد.
- ٤٤ - مع يد يوم التقي الجمعان - د. ناول عيد الهادي.
- ٥٠ - رمضان في الأدب السعودي المعاصر - محمد مرسى محمد.
- ٥٢ - شهر الأمنيات (شعر) - محمد درويش.
- ٥٢ - أهلا رمضان (شعر) محمد وائل العري.
- ٥٤ - الصوم والصحة - د. محي الدين لبنية.
- ٦٢ - رمضان .. بالحب تلتى (شعر) - يس قلب الليل.
- ٦٤ - السواك في معاميل البحث - د. فوزي الفيشاوي.
- ٧٦ - العجم الماصر والتكولوجيا الحديثة - د. يوسف عز الدين.
- ٨٢ - الدكتور وافي .. الموسوعة العلمية - د. البدرابي زهران.
- ٨٦ - من قراءاتي في الأدب العالمي (٧٤) - محمد بن أحمد المليبي.
- ٩٠ - فلسطين في وجدان الشاعر السوداني - د. عبيد خيري.
- ٩٦ - في ميدان الكلمة - حوار/ عقيل المسكين.
- ٩٠٢ - حدود الواقعي والمخيل - د. عبد الملك أشهبون.
- ٩٠٦ - قاعدة التيسير - ومسايل في الأفراد والتثنية والجمع.
- ٩١٢ - المخدرات أفة العصر - أحمد اسماعيل عبد الكريم.
- ٩٢٠ - الأبراهيمي في قلب المعركة - د. عمر بن قينة.
- ٩٢٤ - رحلة في الذاكرة (٣٠) - د. محمد رجب البيومي.
- ٩٢٨ - الشعبي اللغوي الطريف - إيداع فرعون.
- ٩٣٠ - الإبداع في نظر التاريخ والمؤرخين - د. زكريا بيومي.
- ٩٣٤ - سر الزجاجة (٢) - د. عبد الزقاق فراج الساعدي.
- ٩٣٦ - شذرات الذهب (٣٢) - د. أبو حسام.
- ٩٤٠ - الساعات الحيوية - محمد فهد الله الحامدي.
- ٩٥٨ - مسك القمام - سعد البواردي.

أعلام:

- د. مجدي الطويل
- د. فوزي الفيشاوي
- د. يوسف عز الدين
- د. البدرابي زهران
- د. عبيد خيري
- أبو عبد الرحمن الظاهري
- د. زكريا بيومي
- سعد البواردي

الحدود الواقعي والمخيل



- الطفل الداعية ص ٤
- الصوم والصحة ص ٥٤
- السواك في معاميل البحث ص ٦٤
- الدكتور وافي .. الموسوعة العلمية ص ٨٢
- فلسطين في وجدان الشاعر
- السوداني ص ٩٠
- حدود الواقعي والمخيل ص ٩٠٢
- الإبداع في نظر التاريخ ص ٩٣٠
- الساعات الحيوية ص ٩٤٠

الطفل

الداعية

يقال إن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة .. وهذا مبدأ طيب ومقبول وجيد - والأحسن من ذلك أن نستغل درء المفسدة الى حد أن نجعله مفتاحاً للملوج الى المنفعة .. وهذا ما حدث فعلاً مع والد أبعد طفله عن حفظ الفقه من الكلام في إعلانات وأغاني أجهزة الإذاعة والتلفاز ليوجه طاقته واهله الذهنية الى حفظ كتاب الله، وكتب الأحاديث والفقه وباقي العلوم الإسلامية مما ينفعه في دينه ودينائه. طفل حفظ القرآن الكريم كاملاً وعمره سبع سنوات وشهران، ثم حفظ الأحاديث النبوية الشريفة في صحيح البخاري ومسلم وه الأريصون النووي، ومتن الشاطبية ومنظومة البيهقيونية في علم مصطلح الحديث، وكتاب التلويح والمرجان فيما اتفق عليه الشيوخ، ومنظومة سلم الوصول الى علم الأصول في توحيد الله تعالى واتباع الرسول، وحفظ الأجرومية وكتاب (من تحفة الأطفال في علم التجويد) وكملاً هائلاً من الأشعار الدينية ووجد البحث في المعاجم والفهارس لاستخراج ما يود استخراجاً من مادة، وغير ذلك .. كل ذلك ولم يكمل أحد عشرة عاماً .. تبارك الله لا قوة إلا بالله.

منظومات وبسولات في الأصول - يتحدث بطلاً -

وفكرة هذا الاستطلاع برزت عندما دعا نادي مكة الأدبي والثقافي بمكة المكرمة مجلة المنهل للندوة التي عقدها لسماع ومناقشة الطفل عبد الله محمد جبر - الذي جاء من مصر بدعوة من الشيخ عبد الرحمن فقيه مع والده لأداء العمرة على نفقته، وإلقاء خطبة في نادي مكة الأدبي - كما قام النادي - مشكوراً - باهداء - المنهل - شريطاً مسجلاً بالصورة والصوت لكامل الندوة بإدارة الدكتور أحمد المورعي، وبحضور عدد كبير من كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين بالملكة العربية السعودية، وجمهرة من كبار السن والشباب

وصغار السن. وقد كانت الندوة في إدارتها ومنهجيتها ناجحة بكل المقاييس.

وحرصاً من مجلة المنهل على إطلاع



- د. راشد الزاجج -

قرائنها ومحبيها على ما ارتأت أنه مثل حي يمكن للآباء والأبناء - على السواء - الاستفادة منه فقد قامت المجلة بتكليف مندوبها بالتوجه الى الشقيقة مصر العربية لعمل استطلاع مصور - من المنطقة التي يعيش فيها الطفل بين أسرته لتعميم الفائدة - بأن الله تعالى - وكان هذا الاستطلاع.

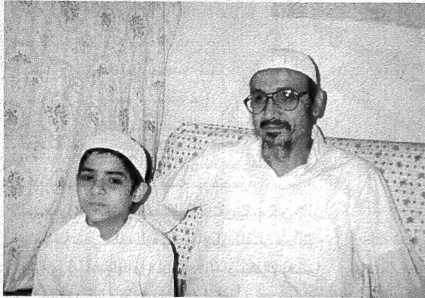
قطعت دونها أناس الرجال .. حفظها واستقرها طفل العاشرة سنة ونصاحة ولم يبلغ الثالثة بعد

البحث عن الطفل:

توجهت الى مدينة المنصورة -
وسألت عن عنوان الطفل
(الموهوب) - كما أسماه نادي مكة
الأدبي - وكان البعض يقول إنه
يعيش في قريته (أويش الحجر)
مركز المنصورة - وآخرون يؤكدون
أنه يقطن بالمنصورة ويتنقل بين
مساجدها إلا أنهم لا يعرفون
مقر سكنه بالتحديد - وقدراً
قابلت شاعر المنصورة/ المعروف
عبد الحميد الحبيبي - الذي

أفادني بأن والد الطفل عبد الله - هو شاعر
وصديق له وأنه يعرف سكنه .. وتوجهنا معا إلى
عنوانه بشوارع أبو عبده المتفرع من شارع
الجللاء .. وسألنا عن الطفل ووالده فقيل لنا إنه
اليوم في القاهرة يلقي خطبة الجمعة في أحد
مساجدها الكبيرة «خطبة الجمعة ١٩٠٠» طفل في
العاشرة من عمره، يلقي خطبة الجمعة ١٩٠٠ - اللهم زد
وبارك - هذا ما دار بخاطري عندما سمعت هذا
الخبر - من محدثنا - ويدرت منى لحة سريعة لوجه
مراقبي .. فوجدته لا يقل عن دهشة واستغرابا
.. وغداً سيكون في محافظة المنوفية فتركنا له
رسالة طالبين مقابلته لعمل حوار معه لجلة المنهل -
بعد غد -

وعدت إليه في الموعد المحدد واستقبلني والد
الطفل استقبالا طيباً وأخبرني أن الطفل عبد الله
نائم الآن وهم بإيقاظه، ولكني طلبت منه أن يجلس



- الطفل عبد الله ووالده -



- د. احمد المورمي -

معا لمحاورة هو -
إلى أن يستيقظ
طفله، ولما كان
موضوع الحوار
من الأهمية بمكان
- فقد اتفقت معه
أن أطرح عليه
جملة من الأسئلة
مرة واحدة حتى
لا أقاطعه بأسئلة

قد ينسى معها شيئاً يود قوله - هذا من جانب ومن
جانب آخر حتى لا أقطع على القارئ متابعة هذه
التجربة الناجحة النافعة - بإذن الله تعالى - فقال:
(أسمى محمد محمد جبر (٤٧ سنة) أسرتني من
قرية أويش الحجر - مركز المنصورة - مولود ومقيم
بمدينة المنصورة - حاصِل على بكالوريوس
الهندسة - قسم بترول - عام ١٩٧٣ وأعمل مديراً

ذهابه للكتاب شبه منقطع حيث ألم بالشيخ الذي كان يحفظه القرآن الكريم في الكتاب مرض جعله يكف عن الذهاب للكتاب .. فتوليت القيام بمهمة

الكتاب إضافة الى مهمتي في المتابعة . وكنت أحيانا ألقى أمامه بعض أشعاري فكان أيضا يحفظها - إلى أن دعينا يوما في نادي الوادي الجديد وألقى قصيدة شعر - وهو في هذه السن الصغيرة أمام محافظ الوادي الجديد - الذي كرمه وأثنى عليه وكافأه على حسن إلقائه وأدائه .

وعندما أتم خمس سنوات كان - بفضل الله تعالى - يحفظ جزئين من القرآن الكريم جزء عم، وجزء تبارك، وحصل على أول استثناء من شرط السن وبخل الصف الأول الابتدائي الأزهري وعمره خمس سنوات - بدلا من ست سنوات - وكان هذا الاستثناء حافزا - من الله به عليه - للمسارة في حفظ القرآن الكريم - فال معروف أن يحفظ التلميذ القرآن الكريم كاملا في المرحلة الابتدائية .

وكان عبد الله في نهاية السنة الأولى الابتدائية قد حفظ حوالي خمسة أجزاء وفي نهاية الأجازة الصيفية لنفس السنة الأولى الابتدائية كان قد حفظ ثمانية أجزاء كاملة .

في المنصورة:

ثم انتقلنا من محافظة الوادي الجديد إلى بلدتنا (المنصورة) واستمر في الحفظ مع استمرار متابعة الأسرة له فكانت أقوم بتحفيظه وتقوم والدته - وكذا أخوته بمتابعته والمراجعة له - في الأوقات التي لم أكن متواجدا بها في البيت - حتى أتم

لمركز التدريب للتشبيد والبناء بالمنصورة - ولي ولدان وبنتان وترتيب عبد الله - الثالث - بين أولادي .

ويحكم عملي كنت أقسم وأسرتي في محافظة الوادي الجديد، وعندما كان عبد الله في سن عام ونصف العام ألقته بدار حضانة - ولعل احتكاكه بأطفال يختلفون في تعاملهم معه عما يعيشه في بيته ساعد في تشكيل جزء من شخصيته، وصار ينطق جملا مركبة تركيبا سليما - بالنسبة لسنه - وعندما

كان عمره سنتان ونصف السنة تقريبا، وكان في بيتنا - في ذلك الوقت - جهاز تلفاز - رأيت مرارا يردد أغنيات وإعلانات التلفاز وكذلك بعضا من المشاهد التي يشاهدها في التلفاز .

وفي يوم من الأيام وجدته يقرأ سورة الشرح (ألم نشرح لك صدرك) فآلهمني الله سبحانه وتعالى أن أحفظه كتاب الله، وأن أبعده عن جهاز التلفاز .. وفعلنا تخلص من هذا الجهاز فوراً .

وبدأت - مستعينا بالله - في تحفيظه القرآن الكريم، من جزء عم في هذه السن الصغيرة فوجدته يتقبل فقمتم بإلحاقه بأحد الكتاتيب بمحافظة الوادي الجديد - حيث كنت أعمل بها - ولأنني أعلم الدور الكبير الذي يجب على الأسرة القيام به حيال طفلها فقد

كنت أتابعه متابعة دائمة وأقوم بتحفيظه القرآن الكريم بأن أقرأ الآية الكريمة أمامه - ويقوم هو بتريديها بعدي إلى أن يتم حفظها - حيث إنه لم يكن يجيد القراءة في تلك السن الصغيرة - إلى أن أتم حفظ جزء عم وعمره أربع سنوات - ثم أصبح

ثورة، هي الفاضل
الدقيق بين (عبد
الله) الخطيب
العالم .. و (عبد
الله) الطفل

بدمعة كريمية من
الشيخ عبد الرحمن
فقيه التقي الطفل
بجبهة من علماء
المنصورة



- الطفل مع منسوب المجلة .

منه حفظ مئة حديث ثم يأتي ليسمعها له، فكان يحفظها ويذهب إليه في مسجده بقرية سمنود بجوار المنصورة - فيسمع له المئة حديث... وكان الشيخ يمنحه جائزة تشجيعية كلما أجاد في الحفظ والتسميع - وكان كلما حفظ خمسمائة حديث كان الشيخ يسمعه له ماضى ما حفظه من الكتاب كله - أى يختبره في الخمسمائة حديث الأولى - وبعد حفظ الألف حديث يختبره في ماضى ما حفظه كله - وكذلك بعد الألف وخمسمائة حديث... إلى أن أتم الكتاب كاملا فاختبره فيه كله وكان والله الحمد والمنة موفقا - وكان وقتئذ عمره تسع سنوات... ثم وجّه بعد ذلك لحفظ صحيح البخاري - فحفظه كاملا من مختصر الزبيدي وكان عمره ١٠ عشرة سنوات وحوالي شهرين.

وقد حفظ من المتون حتى الآن متن (تحفة الأطفال في علم التجويد)، متن المنظومة البيقونية في علم مضطلع الحديث ومتن الأجرومية في علم النحو، ومتن الشاطبية في علم القراءات الذى درسه دراسة كاملة وحفظ ثلثه حتى الآن وغير ذلك من الدراسات في الفقه وفي العقيدة، فهو يحفظ منظومة سلم الوصول الى علم الأصول في

حفظ ثلاثة عشر جزءا ونصف الجزء وهو في منتصف السنة الثانية الابتدائية. وكان عمره ست سنوات وثمانية شهور وكان ذلك في رمضان عام ١٤١٢هـ.

البداية الثانية:

ثم اشترك في مسابقة لحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم لصغار السن حتى خمسة عشر عاما - أقامها قصر ثقافة المنصورة - وكان عبد الله أصغر المتسابقين سنا - وقد من الله

عليه بالحصول على المركز الأول بين المتسابقين - وقد أعجب به الشيخ الذي اختبره وطلب مقابلتي في مسجد أنصار السنة ومعى ابني عبد الله. وذهبا لمقابلته فعرّفنا بالمشايخ والعلماء - الذين كانوا يستعدون عبد الله ويسألونه ويختبرونه مما حفزه على سرعة الحفظ - وبفضل من الله تعالى - أتم حفظ القرآن الكريم كاملا يوم ١٢ ربيع الأول ١٤١٣هـ وكان عمره سبع سنوات وشهران وثلاثة أيام.

بين يدي العلماء:

فرح به الأخوة المشايخ والعلماء في المسجد، ووجهوه لحفظ السنة المطهرة - فبدأ بحفظ كتاب «الأربعون النووية» وهو كتاب يحيى ٤٢ حديثا نبويا جمعها الإمام محيي الدين النووي - وهى أحاديث منتقاة بطريقة طيبة - فيها من العقيدة ومكارم الأخلاق وغير ذلك من الفضائل والشمائل التى يدعو إليها الإسلام، فحفظها.

ثم كان اللقاء مع فضيلة الشيخ/ مصطفى بن العدوي الذى وجهه لحفظ كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشياخان وهو كتاب يحيى ١٩٠٦ ألفا وتسعمائة وستة أحاديث - وكان الشيخ يطلب

توحيد الله تعالى واتباع الرسول [صلى الله عليه وسلم] للشيخ حافظ حكى ويحفظ أكثر من ثلثي صحيح مسلم ولا زال حتى الآن لم يكمل أحد عشر عاما (ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

الخطابة:

أما عن الخطابة يقول والده: بعد ما أتم ثمانين سنوات من عمره كان يجلس مع الشيخ محمود غريب الشربيني رئيس أنصار السنة بالمنصورة فقال له الشيخ «أريدك أن تحضر خطبة

لتلقيها وسأسمعها منك بعد أسبوع واحد» فاهتم عبد الله بالأمر اهتماما كبيرا وبدأ يحضر الخطبة - وساعدته في ذلك - ثم ألقاها أمام دعاة أنصار السنة في اجتماعهم - وكان بفضل الله تعالى موفقا توفيقا كبيرا - مما جعل الدعاة أنصار السنة يقدمونه للناس كنموذج يحتذى به، لكونه قد حفظ القرآن الكريم، وكما كبيرا من الأحاديث النبوية الشريفة.

وكان يلقي المواعظ أمام الناس - فمن الله عليه في ذلك الأمر، فأجاد فيه إجادة طيبة، واستطاع - بفضل الله - أن يتفوق على نفسه في هذا الأمر حتى إنه عندما بلغ العاشرة من عمره كان يصعد إلى المنبر ليخطب خطبة الجمعة، وكانت أول خطبة جمعة له في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٤١٦ هـ وكانت بقرينتا أويش الحجر مركز المنصورة.

وقد لاقت استحسانا وقبولا كبيرين جدا - وكانت انطلاقة جديدة يسر الله بها - بفضل الله - لعبد الله الأمر - فانطلق في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، وبعد ذلك كان يدعى إلى كبار المساجد في القاهرة وفي مختلف محافظات مصر - كي يلقي الخطب والمحاضرات - كما قام بدعوته الشيخ عبد

الرحمن فقيه إلى المملكة العربية السعودية - أولا لأداء العمرة، ولإلقاء خطب وإلقاء بعض علماء ومشايخ المملكة في مكة المكرمة وكانت دعوة كريمة من الشيخ عبد الرحمن وعلى نفقته الخاصة وكانت لقاءات مثمرة والله الحمد -

وقوبلت بالاستحسان والقبول من كل الحاضرين وأثنوا على عبد الله ثناء محموداً - ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

الشايع الذين تتلمذ

عليهم عبد الله:

قال والد الطفل (من المشايخ الذين تتلمذ عليهم) الداعية المعروف الشيخ محمد حسّان كان يدرس له العقيدة، والشيخ مصطفى العدوي كان يدرس له الحديث، وأستاذ القراءات بالأزهر الشيخ حافظ الصانع كان يدرس له متن الشاطبية، والشيخ الدكتور على على لقم يدرس له اللغة العربية وغيرهم من العلماء الذين جلس بين أيديهم يستمع العلم ويبيع قلبه - بفضل الله تبارك وتعالى - وقد استطاع بمزلفة أهل العلم أن يبحث في أمهات الكتب، وهو من المشايخ الذين تتلمذ عليهم يستطيع الآن أن يبحث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن حديث يريده وفي لسان العرب وفي قواميس اللغة عن كلمة يريد أن يعرف معناها كذلك في كتب التفسير، فقد تتلمذ على تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وغيرهما من كتب التفسير، وفي كتب الحديث التي تشرح الحديث مثل فتح الباري في شرح صحيح البخاري وشرح صحيح مسلم للإمام النووي وكتب السيرة وكتب الفقه وكتب العقيدة مما من الله به عليه).

استثناء .. واستثناء:

عندما بلغ عبد الله سن العاشرة - استثناءه شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق -

بعداً عن
والعلماء والخبر
أنه طفل كامل
الطفولة



• الشيخ عبد الرحمن فقيه •



• الشيخ جاد الحق علي جاد الحق •

يرحمه الله - استثناء دراسيا آخر - ليقتصر من الصف الخامس الابتدائي إلى الصف الأول الإعدادي، إذ كان فضيلته قد علم بما من الله به على عبد الله من نعمة حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وعن قدرات الطفل عبد الله

ببضاوين وألقى علينا سلام الله ورحمته وبركاته - فرددنا السلام، ورحبت به قائلا أهلا بالطفل المعجزة... فرد قائلا - وبلغة عربية سليمة - (أنا لا أحبذ قول الطفل المعجزة، فالمعجزات للرسل والأنبياء، وإذا صممت فقل الطفل الموهوب أو شيئا من هذا القبيل).

ثم جلس معنا على أريكة بدت كبيرة عندما جلس عليها لصغر جسمه... وتجاوبنا أطراف الحديث وعرفت بكنه ما جئنا من أجله - فعرفني بأنه كان يعلم يوم حضوري ولكن لا يعلم في أي ساعة - فنام - وإلا لكان في انتظاري.

وشرعت في تصويره فانتقل إلى كرسي مجاور للأريكة التي كان يجلس عليها - وبعد التقاط بعض الصور له والوالده - أخذ مني الكاميرا وطلب أن يقوم هو بتصويري - وبالفعل قام بتصويري مع والده - ثم أخذ مني جهاز التسجيل وقال لي «عندما تشرع في التسجيل، يجب أن تجعل مفتاح الصوت على أدنى درجة، حتى إذا ما تم التسجيل ورفعت درجة الصوت فسيكون الصوت واضحا أكثر» فشكرته على هذه النصيحة - الصحيحة - ثم أخذ مني الجهاز مرة أخرى... وأنا أتابع تصرفاته - فهو طفل يعيش طفولته - في هذه الدقائق - بكل أبعاده من مرح وشقاوة بريئين.

وما أن طلب منه والده أن يسمعنا بعضا فما

العقلية قال والده - نصا - «وما أؤكد أنه عبد الله ليس طفلا معجزة، وإنما هو طفل عادي - قدراته عادية جدا - وهو لا يحفظ من المرة الأولى - كما يدعى بعض الناس - بل هو يحفظ وينسى - وأحيانا يعييه الحفظ - فكان في بعض الأحيان يمكث اليوم الكامل يحاول أن يحفظ آية واحدة حتى إنه يبكي في آخر اليوم لأنه لم يستطع حفظ الآية، وكذلك نفس الشيء أثناء حفظه للأحاديث، فقدراته عادية، ولكنها مئة من الله تبارك وتعالى أن أبعده عن الفث من حفظ الأغاني وفارغ الكلام الذي يملأ أذهان الأطفال وعقولهم، إلى حفظ ما يفيد في دينه ودينياه بإذن الله تعالى - وأن هذا - والكلام ما زال لوالد الطفل عبد الله - ليس بمقياس للذكاء ولا العبقريّة، ولكن بالاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه».

وأضاف المهندس محمد جبر والد الطفل عبد الله أنه في بلدتهم أويش الصجر - مركز المنصورة - قلما تجد صبيا أو فتاة في سن الخامسة عشرة دون أن يكون حافظا للقرآن الكريم.

وينشأ ناشيء الفتيان فينا

على ما كان عوده أبوه

نشأ الطفل الموهوب عبد الله:

وجاء الطفل عبد الله مرتديا جلبابا وطاقيّة

آخر ليجيبني عليه بكل الطلاقة والفهم والوعي - ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

إزاء ما تأكد لنا مما سمعناه وشاهدناه من حفظ كم هائل من العلوم والمعارف في رأس طفل صغير - كم ينوء باستيعابه شباب وربما رجال - وأمام ما يؤكد والد الطفل من أن ابنه طفل عادي ككل الأطفال .. فأننا أمام شقين في قضية واحدة .. نسأل أنفسنا بشأنهما كي نصل إلى جواب شاف .

السؤال الأول:

هل القاعدة أن الأطفال - عموما - يولدون ولديهم الاستعداد للاستيعاب بالدرجة التي عليها الطفل عبد الله - وأتينا نحن الذين نقلل من شأن استعداداتهم - فلا نحاول إرهاب أطفالنا بمعلومات نرى - من وجهة نظرنا - أنها ثقيلة على عقولهم وأنه لا يمكنهم استيعابها؟ وبذا ننسب قدراتهم الكامنة دونما قصد منا؟

السؤال الثاني:

هل القاعدة أن الأطفال يولدون وليس لديهم القدرة على استيعاب مثل هذا الكم من العلوم والمعلومات .. وأن الطفل «عبد الله» نبا عن هذه القاعدة - بمنه اختصه الله - سبحانه وتعالى - بها وهيا لها الأسباب ليظهر العيان ما قدره تقديرا؟ فإذا كان بعضنا يرى الحقيقة في الشق الأول «القاتل بأن للطفل قدرات كامنة تقصر نحن في توجيهها» .. فربما كان هذا البعض على حق ويؤيد رؤيته قول الشاعر:

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي

بأحرفه يظهر المضمير

يحفظ من القرآن الكريم والأحاديث - حتى أخذ يعدل من ملابسه، فيسحب طرف جلبابه لأسفل ويسوى «ياقته» ويعدل - بعناية - طاقيته الصغيرة، ثم يجلس على الكرسي ويعدل في جلسته - وأنا أتابعه في دهشة - فقد شعرت أنه - في هذه اللحظات القليلة - انتقل بهدوء من شقاوة ومرح الطفولة إلى سمت ووقار العلماء - وبدأ بتلاوة ما تيسر له من آيات الله البينات - ويعدنا أستمعنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة وجزءا من أرجوزة سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله تعالى واتباع الرسول .. وهو يسترسل فيما يتلو أو يقرأ .. إلى أن نطلب منه الاكتفاء بذلك القدر .

وأمام طلاقته وحسن تلاته لما يحفظ - دون ما تريد أو لعمة عن لي سؤال .. هل هذا الطفل «استنظاري» أو «اجتراري» أي أنه يحفظ ما يملأ عليه أو يقرأه فقط - ثم يعيده أو يجتره؟ أم أنه يعي ما يحفظه ويقرأه ويفهمه؟ .

فجعدت إلى محاورته حتى أصل إلى اجابة سؤالي - ضمناً - من حوارى معه .. فكان أن سألته بعض الأسئلة في النواحي الدينية - طبعا - وأحيانا يكون السؤال طويلا - نسبيا - فكنت ألاحظ أنه بعد كلمتين أو ثلاث من سؤالي يوميء برأسه - بما يعنى أنه فهم سؤالي قبل أن اكمله - ولكنى كنت استمر حتى أكمل سؤالي .

وما أن أنتهى من السؤال .. حتى يسوق لي الآية الكريمة أو الآيات من القرآن الكريم والحديث أو الأحاديث الشريفة التى تتضمن الرد على سؤالي ولا يكتفى بهذا بل يشرح لي - بإسهاب - معنى الآية والحديث - مع الاستشهاد بأمثلة عديدة حتى يتيقن أنني اقتنعت تماما .. ولأبدأ سؤالاً

البيت أحسن
تربيته ورعايته
(أويس المجرى)
تربية الحنيفة



- الطفل عبد الله يقرأ في المصحف -

وتمشيئنا مع فكر هذا البعض
دعونا نتذكر:

أنا - أحياناً - نفاقاً من
أطفالنا بتصرفات وأقوال نراها
كبيرة جداً - قياساً على حجم
تفكيرهم - الذي نفترضه نحن
فيهم - وقد يكون القياس على
تصرفات أطفال جيراننا أو بعض
أقربائنا - وعلى هذا القياس
نستنتج - أو يضل إلينا - أن
أطفالنا أفضل من الآخرين ..
وقد لا نكون - والحالة هكذا -

مخطئين «فالفاصلة لا تكون إلا بين قرين وقرين
.. أما بين الرجل والعصا - فلا» هكذا قال
العقاد .

والقياس على مجموعة الأطفال الذين من حولنا
فقط يشويه بعض العوار فلماذا يكون الأطفال
الذين من حولنا فقط هم النموذج الذي نقارن بينه
وبين أطفالنا؟ لماذا لا يكون نموذج المقارنة هم
الأطفال النابهين حتى ندرك الفرق ونستدرك ما
فات ونستعد لما هوات .

لماذا لا نجرب - من الآن - إبعاد أطفالنا عن
الغث؟ لماذا لا نبدأ معهم بتعويدهم على التعرف
على المفيد مما ينفعهم في دينهم وديناهم ..
لنجرب .. فإننا إذا لم نستطع تجفيف نبع الفساد
- فإننا نستطيع إبعاد أطفالنا عنه .. أو إبعاده
عنهم .. وهذا جزء أساسي من رسالتنا نحوهم .

وإذا كان البعض الآخر يرى الحقيقة في الشق
الثاني - أن قدرات الأطفال محدودة، وأن الطفل
عبد الله - استثناء من قاعدة - فليعل الله - جلت
قدرته - أوجد هذا الطفل، وقبض له الأسباب التي
أوصلته إلى هذه المكانة - ليكون أسوة يتأسى بها
أطفالنا، وليكون الأسلوب الذي اتبعه والداه في

تربيته وتوجيهه نبراساً لنا نحن الأسر المسلمة -
لنحاول أن يكون بين أطفالنا عبد الله أو عشرينات
من عبد الله - فلنبدأ ونحاول .. والحكمة تقول
«صوب إلى النجم لعلك تصيب المئذنة» فإذا لم
تصب محاولتك كل أهدافها بالوصول بكل أطفالنا
ليكونوا عبد الله جميعاً فلعلنا نحصل من بينهم
على عبد الله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون) .

وقد يسأل سائل «أنتي لطفنا تلك الظروف التي
تهيأت للطفل عبد الله من إحاطة هذا العدد من
المشايخ والعلماء ورعايتهم له؟ فإن الرد على هذا
التساؤل بسيط .. فإن هذا الطفل لو لم يكن أهلاً
لرعاية هؤلاء العلماء والمشايخ لما أحاطوه بها ..
وتأمل هذا الطفل لرعاية العلماء والمشايخ كان
نتيجة حتمية لما أحيط به - أصلاً - من رعاية في
أسرته - حيث ساهم كل من الأب والأم بالجزء
الأكبر من هذه الرعاية .

وقد ذكر لنا والده كيفية رعايته لطفله - تفصيلاً
- على النحو الذي أوردناه - في صدر هذا
الاستطلاع - أما دور والدته فقد طلبنا من الأب
توصيل أسئلة - المنزل - إليها - وجاها رد الأم في

رسالة موجهة إلى كل أم مسلمة - رسالة تحمل المفهوم الصحيح الذي يجب على كل أم مسلمة أن تتبعه والذي اتبعته هي نفسها مع ابنها عبد الله والذي أتى ثماره الطيبة - والله الحمد والمنة - ونص رسالتها:

{بسم الله الرحمن الرحيم}

والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..
وبعد ..

أختي المسلمة/ أيتها الأم الفاضلة المسئولة أمام الله عز وجل عن رعينك التي حباك الله إياها استعيني بالله العليّ القدير واسأليه التوفيق

والهداية واسأليه أن يرزقك وإيانا

بالزيرة الصالحة واسأليه العون على تربيتهم تربية ترضيه جل وعلا واسأليه الأجر من لدنه فهو سبحانه الرحمن الرحيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام له الأسماء الحسنى وهو القائل في كتابه العزيز {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} ..
وبعد هذه المقدمة:

أبدأ حديثي إليك والله المستعان .. اعلمي يا أختي أن ولدك يراقبك من حيث لا تشعرين ويقلدك في كل شيء تقريبا فأنت مرآته وأنت النافذة الأولى بالنسبة له على الحياة فمن خلاك يعيش مرحلته الأولى فاستعين بالله واصطبري على تربيته وتلبية رغباته التي لا تنتهى بحيث توجهينها الوجهة الصحيحة وأجيبي عن أسئلته بطريقة مناسبة لعمره وحذار ثم حذار أن تستهيني بعقله أو أن تخرجي من جهلك في بعض الأشياء أمامه فقولك له - لا أعرف - وأنت صادقة خير ألف مرة بل خير على الإطلاق من أن تقولى له أشياء خاطئة وإجابات خاوية وخالية من الحقيقة فإنه سرعان أن

يكبر ويكتشف أنك لم تقولى له الحقيقة فما يكون موقفك حينذاك بل ماذا تكون النتيجة بالنسبة له وما تأثير ذلك عليه .. احرصى أيتها الأم المسلمة على الصدق وعلى الوفاء بالوعد معه وحاولي مراقبته بذكاء وحرص مهما بلغ من العمر واسألي عنه في مدرسته وعن أصدقائه وشجعيه بالجوائز إذا أصاب وعاقبيه عند الخطأ إذا استحق العقاب وأشعريه بأنه إذا فعل كذا

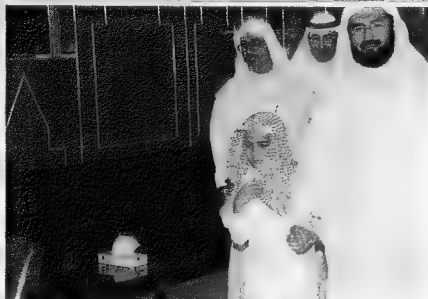
سيكون هناك جزاء حسنا وإن لم يفعله وتهاون فيه فسوف يحاسب ويعاقب واعلمي أن الخوف من العقاب أكثر تأثيراً من توقيع العقاب فقد تهددينه وحينما يرى العقاب خفيفا وهينا بالنسبة لما كان يتوقعه فإنه لن يهتم بعد ذلك بالطاعة فلا بد أن يكون الجزاء من جنس العمل وعلى قدر أهمية هذا العمل .. والله ولي التوفيق ..

ويفضل الصحفي الذي يريد أن يعرف كل الأخبار دفعة واحدة - قرأت رسالة الأم بسرعة - ثم أعدت قراءتها بتأن - فأريت فيها ما لم أره في المرة الأولى - ففي المرة الأولى كنت أبحث عن الجديد، وعن الخبر - أما في المرة الثانية كنت أبحث عن النور الذي قامت به الأم، ومدى إمكانية

إفادة قراءة وقارئات المنهل من هذا الدور .. وفي الحقيقة وجدنتي أعيد قراءة بعض فقرات الرسالة أكثر من مرة - وقمت بوضع خطين تحت كل فقرة - أو قل كل نصيحة - رأيت أن الأمهات المسلمات يستفدن منها - بإذن الله تعالى وأثقل هذه النصائح نصا من الرسالة - للتركيز على فحواها ..

* إن ولدك يراقبك من حيث لا تشعرين، ويقلدك في كل شيء تقريبا ..
* وأنت النافذة الأولى بالنسبة له على الحياة ..

الخوف من العقاب
أكثر تأثيراً من
توقيع العقاب



الطفل الموهوب عبدالله محمد جبر برفقة الدكتور راشد الراجح

* أجبني عن أسئلته بطريقة مناسبة لعمره.

* ونحذر ثم حذار أن تستهينى بعقله أو أن تخلى من جهلك فى بعض الأشياء أمامه.. فقولك «لا أعرف» وأنت صادقة خير ألف مرة.. بل خير على الإطلاق.. من أن تقولى له أشياء خاطئة وإجابات خاوية وخالية من الحقيقة.

* إحرصى - أيتها الأخت المسلمة - على الصدق، وعلى الوفاء بالوعد معه.

باستطلاعها هذا:

- * نور الأبوين والأسرة.
- * نور الكتاب الذى ساهم فى تحقيق هذا الطفل وغيره آيات القرآن الكريم.
- * نور العلماء والمشايخ الذين وجهوه وعلموه.
- * نور شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - الذى استثناه من شرط السن للاحاقه بالأزهر.
- * نور الشيخ عبد الرحمن فقيه الذى دعاه - مشجعاً ومحفزاً - لأداء العمرة والالتقاء بعلماء ومشايخ المملكة العربية السعودية.
- * نور نادي مكة الأدبي والثقافي بمكة المكرمة ممثلاً في رئيسه الدكتور راشد الراجح.
- * نور الدكتور احمد المورعي الذى أدار الندوة بكل اقتدار وموضوعية.
- * نور من ساهم بالحضور من علماء ومشايخ المملكة العربية السعودية والذين كان لهم الفضل في انجاح الندوة.
- وأنوه: بأن ترتيب الأبنوار - خاضع بالكيفية - للتتابع التاريخي.. والله من وراء القصد.

يعقوب السيد حسنين - جده -

* حاولى مراقبته بنكاء وحرص مهما بلغ من العمر.

* شجعيه بالجوائز إذا أصاب وعاقبيه عند الخطأ.

* واعلمى أن الخوف من العقاب أكثر تأثيراً من توقيع العقاب ذاته.

قد يكون بين الأمهات من تعرف بعض هذه النصائح. وقد يكون بينهن من تعرفها جميعاً، وربما تكون بينهن من لا تعرف حتى إحداها - وهذا ليس عيباً - فالتجربة بالتجربة تمنح الخبرة .. ولو طلبنا منهن جميعاً - التى تعرف، والتى لم تكن تعرف أن يعملن بهذه النصائح، فإننا لا نطلب ذلك من فراغ، فنحن أمام تجربة واقعة ونتيجتها ملموسة وتعيش بين ظهرانينا.. وحتى إذا كانت هذه الواقعة - استثناء - فإن الاستثناء يؤكد القاعدة - كما يقال.

وختاماً:

فالمنهل - مساهمة منها فى التضافر من أجل رعاية نبتة فى بستان ديننا الحنيف، ولبنة فى بناء الدعوة الإسلامية - تسجل وبثمن وتقدر.

د. نصر أبو زيد وتاريخية

يؤمن المسلمون، انطلاقاً من القرآن الكريم، بأن هذا القرآن: محكم ومتشابه، وأن متشابهه يفهم ويُفسر بإرجاعه إلى محكمه، وأنه يفسر بعضه بعضاً، وأن «أسباب النزول» تضع القارئ والمفسر في إطار الملابس والدلالات الأصلية، فتعين على الفهم في ضوء واقع عصر التنزيل، وأن فهم دلالات القرآن الكريم لا بد وأن يكون بدلالات ألفاظه في عصر الوحي، وليس بالدلالات التي طرأت على الألفاظ بعد عصر التنزيل.

وهم يؤمنون بأن هذا المنهاج، الذي يستحضر في فهم القرآن وتفسيره الدلالات الأصلية والسياق الأول، إنما يقتضيه إيمانهم بأن هذا القرآن هو الوحي الخاتم للشرعية الخاتمة، فلا «مرحلة» ولا «تاريخية» في فهمه وتفسيره، لأن المرحلة والتاريخية تتنافى مع خلود القرآن لخلود

الشرعية التي جاء بها.

وعن هذا المنهاج في فهم القرآن وتفسيره - وهو الذي لم يخالف فيه سوى

الفكر المنحرف عن الجادة، القائم على المغالطات وهوى النفس وقلب

الحقائق، لا بد من الرد عليه

وإيقافه عند حده، حتى لا

يستشري إفساده بين

الناس... في حلقات سابقة

تناول الأستاذ الدكتور/ محمد

عمارة بالدراسة والبحث

مجموعة من مغالطات

المستشار/ محمد سعيد

عشماوي ورد عليه أباطيله

ومفترياته في الدين.

وفي هذه الدراسة الدقيقة

يعرض لبعض مفتريات

الدكتور/ نصر أبي زيد،

وقد تجنى الدكتور/ أبو

زيد كثيراً على الإسلام والمسلمين.

أفكار
ثيرة
لجلد

(٨٣)



بقلم المفكر الإسلامي:

د. محمد عمارة

المنهل

معاني واحكام القرآن الكريم

الصبغة الاسلامية لحضارة الاسلام، عبر الزمان والمكان.

هذا هو الاعتقاد الاسلامى فى خلود القرآن .. و«لا تاريخية» معانيه وأحكامه.

لكن الدكتور نصر أبو زيد، يلجأ هنا - وبإزاء هذه القضية أيضا - إلى المنهاج «الوضعي - المادي»، الذي يقول بتاريخية النصوص الدينية، فينتفى عن معانيها ودلالاتها الأصلية أي ثبات أو استمرارية أو خلود، ويصدر حكمه - في جرأة غير مسبقة - بطلان صفحة معاني القرآن التي نزلت بها ألفاظه، قائلا: «إن القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا [٤]». .. وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة فى النصوص، بل لكل قراءة بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه فى النص [٥].

وإذا انتفى أي ثبات عن أية معان أو مفاهيم أو أحكام للقرآن الكريم، وجعلنا لكل قراءة - أى لكل قارئ - الجوهر والمفهوم الذى تكشفه فى النص القرآني - وعلمنا، أيضا، أن الدكتور نصر يقول: «إنه لا بد من التسليم - مع «لوى التوسير» - بأنه «لا توجد ثمة قراءة بريئة» [٦].» فآية «غاية» من العبث والعينية تقضى إليها هذه الدعوة، التي تجعل كل قراءة غير بريئة، ولكل قراءة غير بريئة جوهرها الذى تكشف عنه فى النص القرآني؟! وهل يبقى مع ذلك وبعد ذلك شيء من الذكر الذى تعهد الله بحفظه، اللهم إلا إذا كان هذا الحفظ حفظا متحفيا لصور الألفاظ التي فقدت

غلاة الباطنية - يقول الإمام محمد عبده: «فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر فى مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة - كلفظ «الهداية» وغيره - ويحقق كيف يتفق معناه مع معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب بين معانيه .. إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة على معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، واتفاقه مع القصد الذى جاء له الكتاب بجملة [١]». .. فداوم قراءة القرآن، وتفهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعبره، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي» [٢].

وهذا المنهج «اللاتاريخي» - أى الراض لربط المعانى بتاريخ بعينه تطوي صفحتها بمرور هذا التاريخ - كما قدمنا - هو عند المسلمين «دين» وليس خيارا إنسانيا لمنهج من المناهج فى التعامل مع النصوص، لارتباطه بختم القرآن للوحي الإلهي وختم الإسلام لشرائع السماء إلى الإنسان، وبمعنى الحفظ الإلهي لهذا القرآن .. فالقرآن ألفاظ ونظم ودلالات، وإن تكون هناك قيمة فكرية إذا وقف الحفظ عند حدود الألفاظ، مع إهدار المعاني وتجاوزها .. فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [٣] فإنه يشرع لخلود القرآن - ألفاظا ونظما ودلالات - لتظل ثوابت العقيدة والشرعية خالدة، ولتستمر

هى المادية الجدلية .. وإنما يريح قارئه من
عناء «الاستنتاج» عندما يصرح بذلك دونما لف
أو دوران!

فهو يتحدث عن «تاريخية المعنى» Meaningاً
واستمـرارية «المغزى» Significance فى
النصوص .. أى أننا نطوى صفحة المعاني
التي كانت لهذه النصوص فى عصر تشكلها،
بينما نصعد، متطورين دائماً وأبداً، مع
«المغزى» المتطور دائماً وأبداً، لتلك المعاني التي
طوت التاريخية صفحتها .. ويقول لنا إن هذا
هو مذهب الناقد الأمريكى «هيرش»، الذى
طبقه فى «النصوص الأدبية» حتى جاءت
«الهرمنوطيقا الجدلية، بعد تعديلها من خلال
منظور جدلي مادي» - بواسطة «جادامر» -
فامتدت «بالتاريخية» - تاريخية المعاني - من
«النصوص الأدبية» إلى «النصوص الدينية» ..
وجاء الدكتور نصر ليطبقها على القرآن
الكريم! ..

يتحدث الدكتور عن «مصادره» و«منطقاته»
المادية الجدلية التي جعلته يقول: «إن القرآن
خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقاً
جوهرياً ثابتاً» .. فيقول: «إن «هيرش» يقيم
تفرقة بين المعنى Meaning والمغزى Sig-
nificance ويرى أن مغزى النص الأدبي قد
يختلف، لكن معناه ثابت، ويرى أن هناك غايتين
منفصلتين تتصلان بمجالين مختلفين، مجال
النقد الأدبي، وغاية الوصول الى مغزى النص
الأدبي بالنسبة لعصر من العصور، أما نظرية
التفسير فهدفها الوصول إلى معنى النص
الأدبي، إن الثابت هو المعنى الذى يمكن
الوصول اليه من خلال تحليل النص، أما
التغير فهو المغزى. إن المغزى يقوم على أنواع
من العلاقة بين النص والقارئ، أما المعنى فهو

معانيها ودلالاتها بانتهااء عصر النبوة، وتغير
جوهر القرآن الذى نزل به الروح الأمين على
قلب محمد (صلى الله عليه وسلم)، وذلك بتعدد
القراءات - مع تعدد القراء - لهذا القرآن! ..

إنه تحويل لألفاظ القرآن - بعد تفرغها من
المعاني التي أنزلها الله فيها - إلى مجرد أوعية
فارغة، يصب فيها كل قارئ - لقراءة غير بريئة
- المفاهيم - غير البريئة - التي يراها! ..

تلك هي تاريخية النصوص، التي ذهبت
إليها الوضعية الغربية - عندما رأى فلاسفة
التنوير الغربي في النصوص الدينية طور
طفولة العقل البشرى، التي تجاوزتها
المتأفزيقا، والتي طوت الوضعية صفحتها
معاً، فأقامت هذه الوضعية، وهذا التنوير
الوضعى، «قطيعة معرفية» مع معاني تلك
النصوص التاريخية، التي تجاوزها وطوى
صفحة معانيها ودلالاتها الأصلية التطور
والتاريخ.

ولقد جاءت المادية الجدلية - التي يسترشد
بها الدكتور نصر - فكرست هذه التاريخية،
عندما رأت أن هذه النصوص الدينية هي جزء
من «البناء الفوقى»، الذى شكلته وأفرزته البنى
الاقتصادية والاجتماعية «القاعدة الأساسية
للبناء التحتى» - وهى النظرية التي استلهمها
الدكتور نصر فى نظريته للقرآن الكريم - فقالت
المادية الجدلية بتاريخية هذه النصوص وتجاوز
التطور لمعانيها ودلالاتها، تبعا لتطور وتغير
«البناء التحتى» الذى شكلها وشكل معانيها! ..
فلا ثبات لشيء من معاني هذه النصوص
الدينية، وإنما هي «تاريخية» دائماً وأبداً! ..

والدكتور نصر أبو زيد، لا يدع قارئه
«يستنتج» - مجرد «استنتاج» أن ملهمه فى
الحكم بتاريخية معاني ودلالات وأحكام القرآن،

قائم في العمل نفسه».

والأحكام» التي جاءت بها هذه النصوص»
نسوقها إليه، لا بهدف «السجال» .. والمجادلة»،
وإنما طلبا للمراجعة التي تحقق الاتساق بين
ما كتب وبين هذا الذي قال ..

فمن نماذج كتاباته التي تلح على تاريخية
المعاني والأحكام التي جاءت في القرآن الكريم:
«إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية» ..
وإذا كانت النصوص الدينية نصوص بشرية
بحكم انتمائها للغة والثقافة في فترة تاريخية
محددة، هي فترة تشكلها وانتاجها، فهي
بالضرورة نصوص تاريخية» .. وليس معنى
القول بتاريخية الدلالة تثبيت المعنى الديني عند
مرحلة تشكل النصوص، ذلك أن اللغة ليست
ساكنة ثابتة، بل تتحرك وتتطور .. وتطور اللغة
يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها في الغالب
من الحقيقة الى المجاز» [٩].

فمعاني القرآن الكريم ودلالات ألفاظه، التي
كانت «حقيقة» في عصر الوحي والتنزيل، قد
أصبحت - بتاريخية النصوص - «مجازا»، عند
الدكتور نصر أبو زيد .. أي أن التاريخ قد
طوى وتجاوز «حقائق» القرآن الكريم! ..

وتتوالى نصوص الدكتور نصر، التي تلح
على تاريخية معاني ودلالات وأحكام القرآن،
فتقول: «إن الخطاب الإلهي - [القرآن] - خطاب
تاريخي .. لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا
ثابتا له إطلاقية المطلق وقداسة الإله» [١٠].
إن القرآن نص ديني ثابت من حيث «منطوقه»،
لكنه من حيث ما يتعرض له العقل الإنساني
ويصبح «مفهوما» يفقد صفة الثبات .. ومن
الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام
المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندرى عنها شيئا ..
والنص منذ لحظة نزوله الأولى تحول من كونه
(نصا إلهيا) وصار فهما (نصا إنسانيا) .. لأنه

ثم يضيف الدكتور نصر، متحدثا عن «النقطة
النوعية» التي أحدثتها في هذه النظرية - نظرية
ثبات المعنى وتحرك المعنى - المادية الجدلية،
فيقول: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند
(جادامر) ، بعد تعديلها من خلال منظور جدلي
مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر
بالنص، لا في النصوص الأدبية، ونظرية الأدب
فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني
حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى
الآن» [٧]. ف «جادامر» عدل الهرمنيوطيقا
الجدلية فجعل جدلها ماديا .. والدكتور نصر
طبق هذه الجدلية المادية على تفسير القرآن!

فمن المادية الجدلية، التي أمتدت بنظرية
«ثبات المعنى القائم في ذات النص» وتغير
المعنى، القائم على علاقة القارئ بالنص» من
نطاق «النصوص الأدبية» إلى «النصوص
الدينية» أيضا .. من هذا المنطلق، انطلق
الدكتور نصر «ليعيد النظر في تراثنا الديني
حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى
الآن» .. وليصل إلى أن «القرآن خطاب
تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا
ثابتا .. فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في
النصوص الدينية (القرآن والحديث) - بل لكل
قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها
الذي تكشفه في النص» ..

وإذا كان الدكتور نصر، قد قال - عقب
صسور الحكم برده - إن معنى تاريخية
النصوص عنده لا يعني «أن النصوص الدينية -
[القرآن والسنة] - لم تعد صالحة لزماننا» [٨]
وهو قول نتمنى أن يعبر عن موقفه الحقيقي -
فإننا نسوق إليه نصوصه الى لا تدع مجالاً
للشك في قوله بالتاريخية التي تهدد «المعاني

تحول من التنزيل إلى التأويل. إن فهم النبي (صلى الله عليه وسلم) للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري، ولا التفات لمزاعم الخطاب الديني بمطابقة فهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) للدلالة الذاتية للنص، على فرض وجود مثل هذه الدلالة الذاتية» [١١].

فالقُرآن، الذي بين أيدينا، هو نص بشري، وليس نصا إلهيا، إنه ليس «التنزيل» الذي تعهد الله بحفظه، لأنه نص لغوي، فهو، لذلك، بشري، تحول عن كونه (نصا إلهيا) إلى أن أصبح منذ أول تلاوة نبوية له إلى (نص إنساني)، فهو ليس كتاب الله وإنما هو كتاب البشر - البشري - والحديث عن منطوقه الثابت والمقدس هو حديث عن «حالة ميتافيزيقية» لا ندري عنها شيئا، وحتى ما ذكره القرآن عن هذه الحالة الميتافيزيقية فإننا نفهمه فهما إنسانيا نسبيا متغيرا لا ثبات فيه ولا قدسية له... وعلى فرض - [وهو مجرد فرض] - أن القرآن كانت له دلالات ذاتية، فإن هذه الدلالات لم يفهما حتى الرسول نفسه، فالرسول - لبشرية - عاجز عن فهم حقيقة الرسالة وكنه البلاغ القرآني وجوهر الدلالات الإلهية للنص القرآني؟!.

ويمضي الدكتور نصر، ليباهي بتجاوزه بهذه النظرية كل علوم الأقدمين - علوم القرآن - فيقول عن مقاصده هو من «البعد التاريخي للنصوص الدينية - [القرآن والحديث] -»: «... وليس المقصود بالبعد التاريخي هنا علم أسباب النزول - ارتباط النصوص بالواقع، والحاجات المثارة في المجتمع والواقع - أو علم الناسخ والمنسوخ - تغيير الأحكام لتغيير الظروف والملابسات - أو غيرها من علوم القرآن - فإن البعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق

بتاريخية المفاهيم التي طرحها النصوص من خلال منطوقها... فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة - بالمنعنى التاريخي الاجتماعي جوهرها الذي تكشفه في النص... ينطبق هذا على النصوص التشريعية وعلى نصوص العقائد والقصص... إن النصوص الدينية قد «تأسست» منذ تجسدت في التاريخ واللغة... وهي محكومة بجذلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في «المنطوق» متحركة متغيرة في «المفهوم» [١٢].

ولست أدري - ولعل الدكتور نصر وحده دون الناس جميعا هو الذي يدري - لماذا يصبح القرآن منذ لحظة تفاعله مع العقل البشري وظهور معانيه متلبسة في الألفاظ العربية، (نصا إنسانيا) (لا إلهيا)؟! وهل - قياسا على هذا «المنطق» الذي اخترعه الدكتور نصر لا تصبح قصيدة الشعر، عند إنشادنا لها، وبعد نظمها في لغتنا العربية، منسوبة للشاعر الذي نظمها؟! وهل انقطعت نسبة كتب الدكتور نصر إليه، بعد صياغتها العربية وقراءتنا لها وتفاعل عقلا معها؟! أم أن انفصال «النص» عن قائله، منذ لحظة بروزه في اللغة والقراءة له أمر خاص بقول الله، سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم؟!.

إنه المنهج المادي... فلا الخلق خلق الله... ولا القرآن كلام الله... وإنما هي الطبيعة تخلقت ذاتيا، والقرآن (نص بشري)... إنساني لا يدري شيئا عن مرحلة إلهية - فهي ميتافيزيقا - ولا علم لنا بدلالاته في مرحلة قدسيته وإطلاقه - على فرض أنه كان كذلك!؟.

ويؤكد الدكتور نصر على أن «تاريخية المعنى»، التي تتجاوزه وتطوى صفحته، لتحل محل المعاني الثابتة «المغزى» المتغير بتغير

القراءة، والمتعدد بتعدد القراء، هو أمر مختلف عن «القياس»، ففي القياس امتداد الحكم المنصوص عليه إلى حالة غير منصوص عليها، مع الاحتفاظ بالحكم وعدم تجاوز المقيس عليه... ففيه مرونة، لكنها لا تطوى صفحة النصوص والمعاني والأحكام والأصول.

يؤكد الدكتور نصر أن تاريخية النصوص عنده ليست هي مرونة القياس... بل إنها البديل الذي يلغي المعنى ويتجاوز الحكم ويطوي صفحة الأصل، فلا يصبح هناك مجال للقياس أصلاً... «فبدلاً من الاعتماد على آلية القياس لنقل الحكم من أصل إلى فرع لاتفاقهما في العلة - التي هي مسألة اجتهادية أيضاً - فإننا نعتمد هنا على التفرقة بين «المعنى» و«المغزى»... فالمعنى يمثل الدلالة التاريخية للنصوص في سياق تكونها وتشكلها... أما المغزى فنو طابع معاصر، بمعنى أنه محصلة قراءة عصر غير عصر النص... والذي ندعو إليه هو عدم الوقوف عند المعنى... وضرورة اكتشاف «المغزى» الذي يمكن لنا أن نؤسس عليه الوعي العلمي التاريخي» [١٢].

ولا ينسى الدكتور نصر أن يضرب لنا أمثلة - هي بمثابة «وسائل إيضاح» لتطبيقات هذا المنهج، الذي يدعو إلى تجاوز المعنى الذي دل عليه اللفظ القرآني في عصر النزول، والبحث عن المغزى من وراء الأحكام والعقائد والقصص - والذي يتجدد ويتعدد بتجدد القراءات وتعدد القراء.

فإذا كان «المعنى» القرآني قد أعطى للأثنى نصيباً محدداً في الميراث - بعد أن لم تكن ترث أصلاً - فيجب أن لا نقف عند هذا المعنى - النصيب الذي تحدد لها في القرآن - وإنما يجب تجاوز هذا «المعنى» إلى «المغزى» -

ولست أدري كيف إذا لم نقف عند المدى الذي وقف عنده الوحي، وتحللنا من معناه ومنطوقه ودلالته، يكون - مع ذلك - صالحاً لكل زمان ومكان؟!... بينما يكون في بقاء معانيه والتزام أحكامه انتهيار صلاحيته لكل زمان ومكان من الأساس؟!... وأليس في تجاوز المعناني والدلالات والأحكام القطع بأن صلاحيتها إنما هي خاصة فقط بزمان النزول ونون الأزمنة الأخرى؟!...

وإذا كانت «حالة» ميراث الأثنى هي مجرد مثال ضربه الدكتور نصر «للمغزى» - المضمرة والمسكوت عنه - الذي نتجاوز به المعنى «فلا يقف اجتهادنا عند حدود المدى الذي وقف عنده الوحي»... فلقد أفصحت نصوصه عن أن مقصده هو تجاوز كثير من أحكام التشريع الإسلامي، وإسقاطها، فقال: «وإذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص - البنية التي تتضمن المسكوت عنه - وفي السياق الاجتماعي المنتج للأحكام والقوانين - فربما قانتنا القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام، بوصفها أحكاماً تاريخية، كانت تصف واقعاً أكثر مما تصنع

تشريعاً» [١٦] ٠٠ فالنص شكله الواقع ٠٠ والأحكام والقوانين انتجها السياق الاجتماعي ٠٠ ولا شيء من عند الله! ٠٠

وإذا كان الدكتور نصر قد دعا إلى عدم قصر «التاريخية» على «النصوص التشريعية، دون نصوص العقائد والقصص» [١٧] ٠٠ فلقد وجدناه - بسبب هذا التعميم - يعيب على الدكتور طه حسين [١٢٠٦ - ١٣٩٣ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] تراجعاً عن التشكيك - الذي ذكره في كتاب (فى الشعر الجاهلي) - في القصص القرآني عن إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، والرحلة الحجازية لإبراهيم، ورفعها القواعد من البيت الحرام ٠٠ فتراجع طه حسين عن هذا التشكيك في القصص القرآني، هو - بنظر الدكتور نصر - «تردد» يعكس «التلفيق» النابع من «نقص وعي الطبقة» [التي ينتسب إليها طه حسين] - الناتج من طبيعة تكوينها الهش والجنيني» [١٨] ٠٠ وهو «التردد» الذي جعل طه حسين لا يصر على تعميم «التاريخية» في القصص القرآني ٠٠ التاريخية التي قال الدكتور نصر «إنها تحرك دلالة النصوص وتنقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز» [١٩] ٠٠ فيصبح القصص القرآني «مجازاً فنياً» لا علاقة له بصدق الحقيقة ولا بواقع التاريخ ٠٠

وغير تطبيق هذه «التاريخية» التي تتجاوز «المعنى» إلى «المغزى» المضمّر والمسكوت عنه والتي تنتقل بالنصوص «من الحقيقة إلى المجاز» غير تطبيقها على النصوص التشريعية والقصص القرآني، يدعو الدكتور نصر إلى تطبيقها كذلك على عقائد الإسلام ٠٠

ولست أدري ٠٠ ماذا ستكون عليه تصوراتنا للعقائد الإسلامية إذا نحن لم نقف

عند حدود المعاني التي حددها الوحي الإلهي، وذهبنا مستجاوزين «المعنى» إلى البحث عن «المغزى» ومتجاوزين «الحقيقة» إلى «المجاز» ٠٠ إن عالم الغيب، والجنة والنار، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، بل والألوهية، والتوحيد، والخلق، والملائكة ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠٠ ستتحول جميعاً إلى «مجازات» وتصورات متحررة تماماً من المعاني التي حددتها لها آيات القرآن ٠٠

والدكتور نصر، وإن لم يضرب لنا «الأمثلة التوضيحية» للصور المجازية التي ستكون لهذه العقائد في «المغزى» المتجاوز «للمعنى» ٠٠ إلا أنه قد حدثنا عن «أن العقائد هي تصورات مرتنة بمستوى الوعي ويتطور مستوى المعرفة في كل عصر ٠٠ وأن النصوص الدينية قد اعتمدت في صياغة عقائدها على كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب» [٢٠] ٠٠

وهكذا تحول «التاريخية» عند الدكتور نصر الحقيقة إلى مجاز ٠٠ وتتجاوز المعنى إلى المغزى ٠٠ وتطوي صفحة الدلالات الواضحة لتستبدل بها «المضمّر والمسكوت عنه» الذي تكتشفه «القراءة غير البرية» ٠٠ فتسقط أكثر الأحكام التشريعية ٠٠ ويصبح القصص القرآني «فناً» لا علاقة له بالحقيقة ٠٠ وتصبح العقائد الإسلامية صياغة متطورة للتصورات الأسطورية في وعي الجماهير! ٠٠

وإذا كانت هذه التاريخية، التي تسير مع «المغزى» دون الوقوف عند «المنطوق» و«المعنى»، قد تجاوزت - في نصوص الدكتور نصر - تمييز الأنثى عن الذكر في الميراث إلى مساواتها به ٠٠ أقلأ يسوغ لنا - والمنطوق القرآني قد

وحدّ المعبود - بعد أن كان متعدداً - أن تتجاوز - مع «المغزى» - هذه الوحدانية، إلى حيث نقول بأنه «لا إله والحياة مادة» وإن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر!!... فنواصل السير على طريق «المغزى» دون وقوف عند معاني القرآن الكريم!!

إنه نفس «منطق» المادية الجدلية، الذي استلهمه الدكتور نصر أبو زيد في تطبيقه لتاريخية النصوص على القرآن.

وإذا كان القول «بتاريخية النصوص الدينية - (القرآن ٠٠ والحديث) - قد جعل الدكتور نصر يقول:

«إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية... ونقل دلالاتها من الحقيقة إلى المجاز... فالقرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً له إطلاعية المطلق... وليس ثمة عناصر ثابتة في النصوص الدينية، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهراً الذي تكشفه في النص».

«وإذا كان قد طبق هذه «التاريخية» على نصوص «العقائد» و«القصص القرآني»، وليس فقط، على النصوص التشريعية... لأن العقائد قد تأسست على التصورات الأسطورية في وعي الجماعة».

فألغى الثوابت... وقطع صلات الدين بمصدره الإلهي - عندما «أنسن» الوحي والنبوة والعقيدة والشريعة.

إذا كان قد صنع هذا الذي سقنا فيه نصوصه العديدة... فيببوا أن «جعبة» التاريخية عنده لا يزال فيها المزيد!

ففي كتاب الدكتور نصر (نقد الخطاب الديني) نشر دراسة ضافية في نقد المشروع

الفكري للدكتور حسن حنفي - مشروع اليسار الإسلامي - والذي قام فيه الدكتور حسن - تحت شعار «التجديد» - هو الآخر - بأئسنة الدين، وتفريغ الإسلام من محتواه الديني... فحول «الإله» إلى «الكفاح المسلح» أو «الإصلاح الزراعي» وما وراء الطبيعة إلى طبيعة - الميتافيزيقي إلى فيزيقي - والوحي إلى علم إنساني... الخ... الخ.

لكن الدكتور نصر لم يقنع بمستوى «الكارثة» التي صاغها الدكتور حسن حنفي «مشروعاً فكرياً» لأن هذا المشروع لم يلغ «القديم»، وإنما أدى تجديده «إلى تجاوز بين القديم والجديد، ووقع في التلوين بقدر ما تباعد عن التلوين»!

غير أن «الموضوعية» دعت الدكتور نصر إلى الحديث عن «إنجازات» حسن حنفي، بعد حديثه عن «الإخفاقات» التي وقع فيها، فكانت الصفحات التي كشفت في «تاريخية النصوص» - عند الدكتور نصر - عن أبعد وأغرب مما أشرنا إليه فيما تقدم من صفحات!

فهو لا يكتفي بتحويل حسن حنفي الألوهية إلى اختراع من اختراعات الإنسان المحبط، أضفى عليها صفات الكمال التي لم يستطع تحقيقها في واقعه، ونفى عنها صفات السلب والنقص التي ملأت عليه حياته.

ولا يكتفي بتحويل حسن حنفي الوحي إلى فكر إنساني، وخبرة بشرية، مقطوع الصلة بالألوهية... وتحويل الحقائق الدينية إلى مجازات... لا يكتفي بذلك، ويراه مجرد «اقتراب» من الهدف... لأن الهدف - عند الدكتور نصر - هو «إلغاء الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء»، فلا

داعي لاستمرار هذه العقائد حتى ولو كانت فى صورة «فكر إنسانى وخبرة بشرية»!

فحسن حنفى - بنظر الدكتور نصر - «متردد» وفائدة مشروعه تتمثل فى خلقة بنية الفكر الدينى»، لكنه لم يحظ «بشرف» إلغاء الصورة الإنسانية والمجازية لعقائد التوحيد والبعث والجزاء! وحتى لا يرتاب القارئ فى دقة هذا الذى نقول، فإننا نقدم نصوص الدكتور نصر، التى تحدث فيها عن «إخفاقات وإنجازات» مشروع الدكتور حسن حنفى، والتى يقول فيها: فى هذا المشروع - للياسار الإسلامى - تحول هدف «إعادة البناء» - [للعلوم الإسلامية] - إلى «إعادة طلاء»، وتحول التجديد إلى تجاور القديم والجديد، ووقع المشروع كله فى التلوين بقدر ما تباعد عن التأويل، لكن هذا الإخفاق الواضح على جميع المستويات لا يمثل الحقيقة كلها، فقد حقق المشروع إنجازات لا سبيل إلى تجاهلها.

فهناك جهد واضح لمحاولة تأويل العقائد، وعقيدة الألوهية خاصة، على أساس أنها محاولات من الإنسان لتجاوز اغترابه عن العالم، فيخلق فى الشعور كائنا من ذاته - على غرارها - بعد أن يضيف عليه كل صفات الكمال والقوة فى صورتها المثالية، وبعد أن ينقى عنه كذلك كل صفات الضعف التى يائس منها. . . إنها محاولة مشروعة لتحويل الألوهية إلى أنثروبولوجيا، والإلهيات إلى إنسانيات. . .

وهناك الإصرار على تاريخية واقعة «الوحي» . . . أى تحويل الوحي إلى خبرة بشرية. . . وتحويل العلم الإلهي إلى علم إنسانى.

وهكذا يقارب «اليسار الإسلامى» تخوم حل ثنائية النقل - العقل حلا جدليا . . . وهكذا يكاد

الخطاب اليسارى أن يحول الوحي إلى الطبيعة ويرد الميتافيزيقى إلى الفيزيقي، ويبلور فهما تنويريا للعقيدة والوحي . . . فالوحي اسم يطلق على النشاط الذهني للإنسان فى كل زمان ومكان. ثم يمضى الدكتور نصر، معبرا عن عدم رضائه عن هذه «الإنجازات» فهى «قاربت» مقاصد الدكتور نصر، ولم تبلغها، و«كادت» تحل المشكلة لكنها لم تحلها. . . فيقول: «لقد احترزنا بالقول إن اليسار الإسلامى قارب تخوم حل ثنائية النقل - العقل حلا جدليا، دون أن نقرر أنه حلها فعلا. . . فثمة سؤال جوهرى يطرح نفسه: ألا تتعارض مسألة استمرارية الوحي - ولو بالمعنى المجازي - مع تاريخيته المطروحة قبل ذلك؟ وبعبارة أخرى: ما الهدف والغاية من استمرار الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء؟ إن الإصرار على استمرارية الوحي - بالمعنى المجازي - الوحي الطبيعى - إصرار يكشف عن الطابع المتردد الذى يحاول أن يلود بالتأويل عن طريق التحويل الدلالي، فيقع فى التلوين. . . وفى هذا التلوين يفقد مفهوم الوحي بعده التاريخي، ويتحول إلى مبادئ ونظريات عامة ذات طابع يقينى مطلق خارج الزمان والمكان، أى خارج التاريخ. لكن هذا التردد . . . على ما يؤدى إليه من نتائج ضارة على المستوى المعرفي الخاص، لا يخلو من فائدة تتمثل فيما يحدثه من خلقة فى بنية الفكر الدينى المسيطر والمستقر» [٢١]!

تلك هى مقاصد الدكتور نصر أبو زيد . . . التاريخية، التى تلغى الوحي، حتى ولو كان بالمعنى المجازي والطبيعى، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء. . . فهل تتسبب أفكار الدكتور نصر، فى هذه

مبيرا كى يراجع الدكتور نصر أراءه فى هذه
المعتقدات الاسلامية. . فليد قال - فى بيانه إلى
الناس: «وأنا فخور باجتهاداتى العلمية
وأبحاثى، ولن أتنازل عن أى اجتهاد فيها إلا
إذا ثبت لى بالبرهان والبرهنة أننى
مخطئ» [٢٢]. وهى روح علمية طيبة، نرجو
أن تثمر ثمارها الطيبة إن شاء الله . . تثمر
ثمارها فى حل هذا التناقض الصارخ والبادى
للعيان بين أفكار وكتابات الدكتور نصر - التى
أوردناها - وبين بيانه إلى الناس .!

الهوامش:

- (١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٤ ص ١١، دراسة
وتحقيق: د. محمد عمار، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
- (٢) المصدر السابق ج١ ص ١٧٠.
- (٣) الحجر / ٩.
- (٤) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق -
أكتوبر ١٩٩٢م.
- (٥) نقد الخطاب الدينى ، ص ٨٢، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
- (٦) إشكاليات القراءة وآليات التحويل، ص ٢٢٨، طبعة بيروت
سنة ١٩٩٢م.
- (٧) المرجع السابق ص ٤٨.
- (٨) مجلة (المصور) عدد ١٩٩٥/٧/٢٢.
- (٩) نقد الخطاب الدينى، ص ١٩٧، ١٢٨.
- (١٠) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق -
أكتوبر سنة ١٩٩٢م.
- (١١) نقد الخطاب الدينى ص ٩٢، ٩٤.
- (١٢) المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤.
- (١٣) المرجع السابق، ص ٢١٧، ٢١٨، ١٩٢.
- (١٤) المرجع السابق ص ٢٢٢.
- (١٥) المرجع السابق ص ١٠٦.
- (١٦) مجلة (القاهرة) إهدار السياق فى توليات الخطاب
الدينى - يناير ١٩٩٣م.
- (١٧) نقد الخطاب الدينى ص ٨٢.
- (١٨) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق -
أكتوبر ١٩٩٢م.
- (١٩) نقد الخطاب الدينى ص ١٩٨.
- (٢٠) مجلة (القاهرة) - إهدار السياق فى توليات الخطاب
الدينى - يناير ١٩٩٣م.
- (٢١) نقد الفكر الدينى ص ١٧٢، ١٧٤ - ١٧٩.
- (٢٢) الأهرام فى ١٩/١٩/١٩٩٥م.

القضايا التى عرضنا لها، مع إعلانه فى بيانه
إلى الناس: «أنا مسلم، وفخور بأننى مسلم،
أؤمن بالله، وبالرسول، وباليوم الآخر، وبالقدر
خيرته وشهره» . . إن المؤمنين بالإسلام، لا
يختلفون على:

- ألوهية القرآن الكريم وقديسيته، لأنه كلام
الله القدوس.

- ومفارقة ظاهرتى النبوة والوحي للواقع
والطبيعة وقوانينهما.

- والوضع الإلهي للعقيدة والشرعية - لأنهما
جماع الدين - والوحي بهما إلى من اصطفاه
الله نبيا ورسولا.

- وخلود المبادئ والقواعد والمقاصد
والأحكام التى جاء بها النص القرآنى - بحكم
كونه الوحي الخاتم للشرعية الخاتمة - فلا وحي
بعد القرآن، ولا نبوة بعد محمد {صلى الله عليه
وسلم} ولا شرعية بعد شرعية الإسلام. . الأمر
الذى يجعل تاريخية أحكام النص القرآنى هي
وختم النبوة والرسالة وخلود الدين على طريقي
تقيض - ناهيك عن كرامة القول بتاريخية
العقيدة - عقيدة الألوهية - أيضا؟! . .

وإذا كان الإسلام قد نزع من مطلق البشر
سلطان الحكم على ما فى الضمائر والقلوب
. . فإننا - مع الدكتور نصر أبو زيد - بإزاء
كتابات - أوردنا نصوصها الكاملة - والحد
الأدنى لما يجب قوله إزاءها، هو أن المطلوب
مراجعة هذه الكتابات لتتسق مع العقائد
المعلومة بالضرورة من دين الاسلام، والتى لم
يختلف فيها ولا عليها أحد من خاصة وعامة
المؤمنين بهذا الدين.

وعسى أن يكون هذا الذى قدمناه - حول
القرآن ، والنبوة . . والوحي . . والعقيدة . .
والشرعية . . وتاريخية النصوص الدينية -

نار جهنم

في

القصص النبوي

٣٥

وقد جاء في القصص النبوي العديد من النصوص في حقيقة جهنم ووجودها في الدنيا مما سبق ذلك في هذا البحث. ونذكر - هنا - ببعضها. من ذلك ما جاء في صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ سمع وجبة [٣] فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) تدرين ما هذا، قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها). ومن القصص أيضاً ما جاء عن عبد الله بن عمر [٤] - رضي الله عنهما - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالفداء والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبيعك الله - تعالى - يوم القيامة». ومن القصص الطوال التي عرضناها في غير هذا المكان، قصة عن البراء بن عازب [٥]، قال «خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى جنازة، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير». وجاء في القصة (قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه. ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادى مناد من السماء: أن كذب عبيدي، قافرشوه من النار،

جهنم موجودة الآن:

من أركان الإيمان التسليم بأن لله دارين الجنة والنار بعد هذه الحياة الدنيا يقول ابن قيم الجوزية [٦] «فاقتضت حكمته - سبحانه - أن خلق داراً لطالبي رضا، العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره، القائمين بمحابه وهي الجنة. . . وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضياته، القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال، الواصفين له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله، وهي جهنم. . . وخلق داراً ثالثة، هي كالبناء لهاتين الدارين، ومنها يتزود المسافرون إليهما وهي دار الدنيا».

وعقيدة أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وقد جاءت النصوص بذلك مثل قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى).

سَنَم وَأَهْوَالَهَا (الطبعة الأخيرة)

بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حين قمت في مقامي، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها، لنتظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل، فما من شيء توقعونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه) وقد تقدمت في صدر هذا الباب قصة نقلناها عن القرطبي، ونذكر بها هنا أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: [٩] (لما

خلق الله - تعالى - الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة... قال ثم أرسله إلى النار...) وقصة (اختصمت الجنة والنار...) وقصة (بينما أنا أسير في الجنة وإذا انبهر في الجنة...) وقصة تقول (دخلت الجنة...) وغير ذلك مما تقدم (اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين...) فهي تنتفس في الشتاء والصيف فهي موجودة.

مثل هذه النصوص وغيرها تقطع بوجود جهنم في الحياة الدنيا.
مكان جهنم من الكون:

يفهم من أقوال المفسرين في قول الله تعالى: [فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين] أن الإعداد دليل الخلق والإيجاد، وأنها أرصدت وهيئت. أما عن مكان جهنم فإنه جاء في رواية عن عبد الله بن سلام أن رسول [صلى الله عليه وسلم] قال: [١٠] «الجنة في السماء، والنار في الأرض» وفي تحديد أنق جاء في رواية عن أبي أسامة قال: رأيت غيابة بن الصامت على سور بيت المقدس وهو يبكي، فقلت ما يبكيك؟ قال

وافتحوا له بابا إلى النار، فبأثني حرها وسمومها). ومما يدل على وجود النار والجنة الآن ما جاء في القصة التي رواها عبد الله بن عباس [٦] - رضي الله عنهما - قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وفيها يقول: (فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا

لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا: يا رسول الله، رأيك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيك تَكْكَعْتَ [٧]، فقال: إني رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلت منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أظطر، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرنهم. قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأيت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط). وفي قصة عن جابر -

رضي الله عنه - عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: (ما من شيء توقعونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جئ بالنار، وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن [٨] يجر قصبه في النار، وكان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت صاحبة الهرة، التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا، ثم جيء



بقلم:
أ. د. عبد الباق
أحمد علي حمودة

- مصر -

قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]:
 (إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة
 خمسمائة عام، والعليا منها على ظهر حوت قد
 التقى طرفاه في السماء، والصوت على صخرة،
 والصخرة بيد الملك، والثانية سجن الريح،
 والثالثة فيها حجارة جهنم، والرابعة فيها
 كبريت جهنم، والخامسة فيها حيات جهنم،
 والسادسة فيها عقارب جهنم، والسابعة فيها
 سقر، وفيها إبليس مصفد بالحديد - يد أمامه
 ويد خلفه - فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء
 أطلقه). وذكر ابن كثير أثرا - قال عنه إنه
 غريب - قال ابن عباس: خلق الله تبارك وتعالى
 من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق
 من وراء البحر جبلا يقال له قاف، سماء الدنيا
 مرفوعة عليه، ثم خلق الله - تعالى - من وراء
 ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات،
 ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق
 من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية
 مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين وسبعة
 أبحر وسبعة أجبل وسبع سماوات، قال: وذلك
 قوله تعالى: (والبحر يمد من بعده سبعة
 أبحر). وذكر ابن كثير في تفسير قول الله -
 تعالى - (وإذا البحار سجرت) [١٣] قال ابن
 جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود
 عن سعيد بن المسيب قال: قال علي - رضي
 الله عنه - لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال:
 البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا (والبحر
 المسجور - وإذا البحار سجرت). وقال ابن
 عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الرياح
 الدبور فتسعرها وتviser ناراً تتأجج. وعن
 معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة -
 يعنى بحر الروم - وسط الأرض، والأنهار كلها
 تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله
 آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة
 أسجرت. وقد تقدم حديث رواه هنا في سنن

ههنا أخبرنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم]
 أنه رأى مالكا يقلب الجمر كالقطف.
 وجاء في أخرى عن عبادة بن الصامت -
 أيضا - أنه قام على سور بيت المقدس الشرقي
 فبكي، ف قيل ما يبكيك؟ قال: من ههنا أخبر
 النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه رأى جهنم.
 وذكر القرطبي [١١] قصة عن عبد الله بن
 عمرو - رضي الله عنه - عن النبي [صلى الله
 عليه وسلم] أنه قال: (لا يركب البحر إلا رجل
 غاز أو حاج أو معتمر؛ فإن تحت البحر ناراً)
 وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - (ولا
 يتوضأ بماء البحر لأنه طيق جهنم) ولكن في
 الروايتين ضعف. وقال ابن عباس - رضي الله
 عنهما - في قول الله - تعالى: (وإذا البحار
 سجرت) قال: أوقدت فصارت ناراً.
 وخرج أبو داود عن أنس يرفعه إلى النبي
 [صلى الله عليه وسلم] (إن الشمس والقمر
 ثوران عقيران في النار) وروى عن كعب
 الأحبار أنه قال: (يجاء بالشمس والقمر كأنهما
 ثوران عقيران، فيقذفان في النار).
 وذكر ابن كثير في تفسيره قول الله
 تعالى [١٢]: (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) قال
 شعبة عن سماك عن عكرمة قال: البحر، وعن
 الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول: (وإن جهنم
 لمحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر
 الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه
 الشمس والقمر، ثم يوقد فيكون هو جهنم.
 وروى الإمام أحمد عن صفوان بن يعلى عن
 أبيه أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال:
 (البحر هو جهنم) قالوا ليعلى فقال: ألا ترون
 أن الله - تعالى - يقول: (نارا أحاط بهم
 سرادقها) قال: لا والذي نفس يعلى بيده لا
 أدخلها أبداً حتى أعرض على الله، ولا يصيبني
 منها قطرة حتى أعرض على الله - تعالى -
 ويذكر ابن كثير قصة عن عبد الله بن عمرو

أبى داود: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر نار أو تحت النار بحرا).
وروى الإمام أحمد في مسنده [١٤] عن عمر بن الخطاب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأنن الله - تعالى - أن ينفضخ عليهم، فيفكه الله - عز وجل).
والجنة والنار من الغيبيات التي يجب الإيمان بها والتسليم بما جاء عنها في الكتاب والسنة، لأن مدارك البشر محدودة في الأمور الظاهرة فكيف بها في الأمور الباطنة وأمور الآخرة. ونسوق هنا بعض ما جاء في القصص النبوي مما يوضح قدرة الله، وسعة ملكوته. جاء في مسند الإمام أحمد [١٥] أن هرقل كتب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟) وهذا جواب مسكت ومعجز.

وعن طارق بن شهاب: أن ناسا من اليهود سألو عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرايتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعتم مثلها من التوراة. وفي منتخب كنز العمال [١٦] عن طارق أيضا قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب، فقال: أرايت قوله - تعالى: (وجنة عرضها السموات والأرض) فأين النار؟ فقال عمر لأصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) أجبوا، فلم يكن عندهم فيها شيء، فقال عمر: أرايت النهار إذا جاء الليل يملأ الأرض، فأين الآخر؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنار حيث شاء الله، فقال اليهودي: والذي نفسي بيده - يا أمير المؤمنين - إنها لفي كتاب الله المنزل كما قلت.

قال ابن كثير: وهذا يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك، أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل، إذا جاء النهار، أن لا يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله - عز وجل - وهذا أظهر، كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار.

الثاني: أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين، فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال: (عرضها السموات والأرض) والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض، وبين وجود النار - والله أعلم.

الهوامش:

- (١) طريق المهجرتين وباب السماعتين ص ١٥٨.
- (٢) ج ٢ ص ٢١٦.
- (٣) وجب الشيء سقط أي سمع سقط.
- (٤) صحيح حادي الأرواح ص ٢٨.
- (٥) صحيح حادي الأرواح لابن قيم الجوزية.
- (٦) المرجع السابق ص ٤٠.
- (٧) تراجمت.
- (٨) المصا معوجة الطرف.
- (٩) المرجع السابق ص ٤١.
- (١٠) منتخب كنز العمال ج ٦ ص ٩٥.
- (١١) التذكرة ص ٤٥٦.
- (١٢) ج ٣ ص ٤١٩ وص ١٤٦ وج ٢ ص ٢٢١ ص ٤٣٦.
- (١٣) سورة التكوين آية ٦.
- (١٤) ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٠.
- (١٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٤.
- (١٦) ج ٦ ص ٩٩.
- (١٧) ابن كثير ج ١ ص ٤٠٤.

سنن الفطرة وأثارها التربوية

الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» رواه أبو داود. ولأن الإسلام هو دين الفطرة الذي عرف أسرارها، وكشف خباياها، وسبر أغوارها، فقد قدم لها ما يصلحها وما يصلح لها من تعاليم وسنن وتوجيهات جاءت كالثوب المناسب لمختلف الأعضاء، والملائم لشتى الأبعاد. لذلك كله جاءت سنن الفطرة لتشكّل رافداً من روافد التربية الجمالية في حياة المسلم، ولتعرض نموذجاً مثالياً لحياة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، كما أنها تحقق معنى التوازن الذي تفتقده جميع الفلسفات البشرية التي عرفها الإنسان قديماً وحاضراً، حيث إنها تركز مرة على الجانب الجسدي، وتارة على الجانب العقلي، وأخرى على الجانب النفسي، وهكذا. كل هذا يعني أن سنن الفطرة تضع الشخصية المسلمة في وضع متوازن عادل يمثل الوسطية المطلوبة، فلا إفراط ولا تفريط. وليس هذا فحسب بل إن هذه السنن في مجموعها تمنح الإنسان تكريماً إلهياً يأتي كأبدع ما يكون التكريم.

ما هي الفطرة؟

قال الامام النووي- رحمه الله [١]- «وأما

الفطرة فبكسر الفاء، وأصلها الخلقة

أو الجبلة، قال تعالى: {فطرت الله

التي فطر الناس عليها} (الروم/٣٠).

وفسرها بعض العلماء كالخطابي

وغيره بالسنة. قالوا: والمعنى أنها من

سنن الأنبياء. أما معناها في

اللغة فقد جاء في معجم مقاييس

اللغة [٢] أن معنى الفطرة:

الخلق. وقال ابن منظور في



بقلم: صالح أبو عرّاء الشكري

كلية التربية/ جامعة

أم القرى - مكة المكرمة

الإسلام دين الفطرة التي قال فيها الحق سبحانه: {فطرة الله التي فطر الناس عليها} (الروم/٣٠). وتتمثل هذه الفطرة في طهارة المسلم الظاهرية والباطنة. فأما طهارة الباطن فهي متعلقة بالقلب، وتعني تطهير النفس الإنسانية من الشرك بالله، وتتطلب اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأداء الأعمال الصالحة والأفعال الخيرة.

وأما طهارة الظاهر فهي الفطرة العملية المشتملة على كل ما له علاقة بجمال المنظر عند الإنسان المسلم وحسن سمته. لما في ذلك من ملاءمة للفطرة السوية التي خلق الله

الإنسان عليها، والتزام بهدي النبوة المباركة. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن

وذكر صاحب فتح الباري [٩] أنه جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن» قال: ابتلاه الله بالطهارة، خمس في الرأس، وخمس في الجسد.

أنواع الفطرة:

قسم الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه «بهجة قلوب الأبرار» [١٠] الفطرة الى نوعين: أحدهما: يطهر القلب والروح، وهو الإيمان بالله وتوابعه من خوفه ورجائه، ومحبة والإنابة إليه. قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين (الروم/ ٣٠ - ٣١). فهذه تزكي النفس وتطهر القلب وتنمي، وتذهب عنه الآفات الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة. وهي كلها ترجع إلى أصول الإيمان وأعمال القلوب.

الثاني: ما يعود إلى تطهير الظاهر ونظافته، ودفع الأوساخ والأقذار عنه.

وهي هذه العشرة (الواردة في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -) وهي من محاسن الدين الاسلامي، إذ هي كلها تنظيف للأعضاء، وتكميل لها، لتتم صحتها، وتكون مستعدة لكل ما يراد منها.

بعض الأحاديث التي بينت سنن الفطرة:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة،

لسان العرب [٢]: «والفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، وقد فطره يفطره (بالضم) فطراً أي خلقه» وجاء في دليل الفالحين [٤]: «خصال الفطرة - بكسر الفاء - لأنها مصدر لبيان الهيئة».

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري [٥]: «وقد رد القاضي البيضاوي الفطرة الى مجموع ما ورد في معناها، فقال: هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع القديمة، وكانت أمر جبلي فطروا عليها». وجاء في تعريف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي [٦]: «الفطرة هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها». كما جاء قوله - رحمه الله - «إن الفطرة شاملة لجميع الشريعة، باطنها وظاهرها، لأنها تنقي الباطن من الأخلاق الرذيلة، وتطليه بالأخلاق الجميلة، التي ترجع الى عقائد الإيمان والتوحيد، والاخلاص لله، والإنابة اليه، وتنقي الظاهر من الأنجاس والأوساخ وأسبابها. وتطهره الطهارة الحسية والطهارة المعنوية. ولهذا قال {صلى الله عليه وسلم}: (الطهور شطر الإيمان)».

وقيل [٧] إن هذه السنة هي الأمور التي اختبر الله سبحانه بها خليله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن} (البقرة/ ١٢٤). فكان أول من أمر بها من الأنبياء كما أورد ذلك الخطابي. قال ابن عباس [٨] رضي الله عنهما: «أمره جل وعلا بخمس خصال - ثم عددهن - فلما فعلهن قال: «إني جاعلك للناس إماماً» أي ليقبدي بك ويستن بسنتك. ويقال: إنها كانت عليه فرضاً وهن لنا سنة.

و«انتقاص الماء» : (رواه مسلم واحمد والنسائي والترمذي).

قال الراوي: «ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة».

قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) «الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة - : الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب» متفق عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط» متفق عليه.

ومن مجموع هذه الأحاديث وغيرها يتبين أن خصال الفطرة التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وحُثَّت عليها الشريعة الإسلامية كثيرة، وأنها ليست قاصرة على عدد معين.

قال الامام النووي [١١] - رحمه الله -: «وأما قوله [صلى الله عليه وسلم]: الفطرة عشرة» فمعناها معظمها عشرة، كالحج عرفة. فإنها غير منحصرة في العشرة، ويدل عليه رواية مسلم: «عشر من الفطرة». وإنما أريد بالحصص المبالغة لتأكيد أمر الخمس المذكورة في الحديث، كما حمل عليه قوله [صلى الله عليه وسلم] «الدين النصيحة» و«الحج عرفة» ونحو ذلك.

ومن هنا نرى أن خصال الفطرة غير منحصرة في العشر أو الخمس، وإنما هي أكثر من ذلك. فهناك من عدها اثنتي عشرة. وجاء

في فتح الباري [١٢] أن ابن العربي ذكر «أن خصال الفطرة تبلغ ثلاثين خصلة، فإذا أراد خصوص ما ورد بلفظ الفطرة فليس كذلك، وإن أراد أعم من ذلك فلا تنحصر في الثلاثين بل تزيد كثيراً».

أهمية سنن الفطرة:

لسنن الفطرة دور بارز في تشكيل معالم شخصية الإنسان المسلم حتى تظهر بصورة مناسبة تميزه عن غيره من المخلوقات التي تشترك معه في بعض هذه الصفات، فيكون بمحافظته عليها صحيح الجسم، سليم التفكير، قوي الهمة، عظيم النشاط.

والعجيب كما ذكر ذلك الدكتور/ أحمد الشرباصي في كتابه «توجيه الرسول للحياة والأحيا» [١٣]: «إن هذه السنن تمتد مواطنها من أعلى هامة الانسان إلى قدميه. ففي أعلى الرأس تكون سنة ترجيل الشعر وتنظيفه وتطيبه، وفي الأنف تكون سنة الاستنشاق، وفي الفم تكون سنة السواك وسنة المضمضة، وفي الإبطين تكون سنة نتف الشعر، وفي وسط الانسان تكون سنة حلق العانة، وسنة الختان، وسنة الاستنجاء، وفي الكفين تكون سنة غسل البراجم، وسنة قص الأظافر، وفي القدمين تكون سنة قص الأظافر منها أيضاً» ويضاف الى ذلك: وفي الوجه تكون سنة قص الشارب وسنة اغفاء اللحية.

وذكر ابن حجر [١٤] في فتح الباري موضحاً أهمية هذه السنن: «انه يتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والاحسان الى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة

وقال فيه: [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة] {الاحزاب/٢١}. وهو الذي بعثه الله لأمته معلماً ومزكياً ومريئاً. قال تعالى: [لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة] {آل عمران/ ١٦٤}. وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال له

سبحانه في كلمات موجزات: [وإنك لعلى خلق عظيم] {القلم/٤}. فكان كل خلق فاضل وسلك سليم متمثل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة.

وبذلك جسّد الرسول صلى الله عليه وسلم منهج التربية الإسلامية السامية في الواقع العملي لحياته متمثلاً في سنن الفطرة. من هنا كان للمحافظة على هذه السنن أثر تربوي عظيم يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما:

* التصديق بما ورد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتقليد والاتباع له في التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات وهذا بدوره كفيل بتعود المجتمع المسلم بمن فيه من أفراد على السمع والطاعة والامتثال لأوامر الله والرسول صلى الله عليه وسلم، لا سيما وأن في الناس نزعة فطرية لتقليد ومحاكاة من يحبون، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم].

* اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الأول والمربي الأعظم صلى الله عليه وسلم كشخصية فذة متكاملة متوازنة. وتتضح هذه القوة في اهتمامه بالجوانب المتعلقة بالجانب

كريمة، ومخالفة شعار الكفار والمجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: [وَصُورُكُمْ فَأَحْسَن صُورَكُمْ] لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة لذلك. وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، وعلى التألف المطلوب.

من هنا نرى أن على المسلم أن يحافظ على سنن الفطرة كاملة وأن يفعلها كلها بنية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل شأنه، وأن يحرص على متابعة هديه المبارك، والتربي بترتيبه النبوية المباركة ليحصل له بذلك الأجر والثواب وليتحقق تمسكه بالسنة النبوية فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

سنن الفطرة نموذج تربي نبوي:

تحتاج كل تربية إلى نموذج واضح يجسد معالم هذه التربية ويوضح تعاليمها بصورة واقعية تنقل المجرّد إلى محسوس، والقول إلى عمل، والنظرية إلى تطبيق. وفي ذلك يقول سعيد حوى في كتابه: «الرسول صلى الله عليه وسلم» [١٥].

فالأمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها، وبلا تربية يعرف بها كل فرد من أفرادها واجبه. تصبح أمة فوضوية، تصرفاتها غير متوقعة وغير منضبطة. ولكل فرد من أفرادها سلوك يخالف سلوك الآخر وعادات وتصورات تختلف. فلا تكاد أمة تغلغ بهذا ولا فرد.

وفي التربية الإسلامية لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل من شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتكون نموذجاً حياً، وقدوة حسنة للإنسان المسلم في كل زمان ومكان. ولا ريب فهو من أصطفاه ربه جل وعلا

في:

« الطهارة الحسية الجسدية، وهي مما يحبه الله سبحانه ». قال تعالى: {والله يحب المطهرين} (التوبة/١٠٨). ولما روي عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» رواه ابن حبان. ويمثل ذلك في تطهير البدن بالوضوء والغسل فيعكس ذلك بدوره على المظهر الخارجي.

* الطهارة المعنوية التي تفرس في النفوس تطهير الضمير كعبادة وطاعة وامثال لأوامر الله سبحانه ورسوله [صلى الله عليه وسلم].

وهذه التربية الجمالية تؤدي بدورها الى تطهير النية والعمل والسلوك، فنظافة المظهر مدعاة لنظافة الجوهر، ونظافة الشكل مدعاة لنظافة الضمير، ونظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع. وبذلك يتحقق بعدُ تربوي اسلامي عظيم متمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام، فترتفع النفس المسلمة من رجس الفوضى وأحوال الوحشية إلى نظافة الأخلاق وتهذيب السلوك. ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للنفس والعقل والجسم.

وليس هذا فحسب بل إن في هذه السن مدعاة لتأليف القلوب ومد جسور المحبة والمودة، وتوطيد الصلة بين الإنسان المسلم وزوجه، فتكون حياتهما مبنية على الرحمة والمودة، وقائمة على السكن والزراعة والقبول، وليس أجمل من أن يكون كلا الزوجين مناسباً للآخر، وملئاً له، مقبولاً عنده في شكله وهيئته لأن ذلك مدعاة للائتلاف والرضى، وسبب مباشر لقناعة كل منهما بالآخر. وهذا بدوره سيؤدي

الجسمي والنظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقصها، وفمه فينظفه، وأسنانه فيسوكها، وشاربه فيقصه، وإبطيه فينتفهما... إلخ.

وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل القائل بأن الاسلام لا يهتم بالناحية الجسمية بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمام التربية الاسلامية ورعايتها لختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية، فلا يستغرب بعد ذلك أن يُعرف المسلم لأول وهلة حين يُرى سمته ووقاره، وهيئته الخارجية وشكله العام الذي يميزه عن غيره من الناس. لأن هذه السن في مجموعها جعلت له شخصية مميزة ومظهراً خاصاً ونموذجاً فريداً يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقسوة الناس أجمعين [صلى الله عليه وسلم].

سنن الفطرة والتربية الجمالية:

تدعو التربية الاسلامية دائماً، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصي والناحية الجمالية، ليكون المسلم جميلاً في مظهره، متناسقاً في هندامه، بعيداً عن الدروشة والقدارة والاهمال. قال تعالى: {يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد} (الاعراف/٣١).

فاله سبحانه كما جاء في الحديث: «جميل يحب الجمال». وليس هذا فحسب بل ان في ذلك اشباع لحاسة الجمال في نفس المسلم، فيتولد في اعماقه إيمان شديد بعظمة الخالق سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه، والذي صورنا فأحسن صورنا، وخلقنا في أحسن تقويم.

ومن عناية الاسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة التي تربي المسلم تربية جمالية تتمثل

يهمل على حساب الجانب الآخر. وهذا هو ما نلمسه في هذه السنن التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء، وتكسبه الأجر والثواب متى ما قصد بها وجه الله سبحانه والافتداء بهدي النبوة. وهذا بدوره يربط بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الإسلامية. وبذلك يتحقق التوازن في شخصية الإنسان المسلم حينما نرى أن التزامه بهذه السنن يجعل الجسم يحظى بحقه من العناية والرعاية والاهتمام فيما يخص المظهر الخارجي والشكل العام اللائق المقبول. فيدل ذلك على أن الإنسان ينعم بعقل راجح وتفكير سديد، ومدارك واسعة وفهم عميق لحقائق الأشياء وجوهرها. الأمر الذي يدفعه من ثم إلى سمو الروحي والرفعة الإنسانية والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرها وحطامها المادي الحقير. كما أن في اتباع المسلم لما يسمى بسنن الفطرة يؤدي بطبيعة الحال إلى ما يسمى بالقبول الاجتماعي للفرد. حيث يقترب منه الناس ويطمنون إليه ويعاملونه بكل حب وتقدير واحترام لأنه يفرض ذلك عليهم بحسن مظهره وحسن تدبيره.

لذلك كله نقول ونؤكد أن دين الاسلام هو الدين الوحيد القادر على ربط الإنسان بخالقه واصلاح حاله في كل زمان ومكان حينما يمشي على الارض بجسمه، ويتوجه بروحه إلى السماء ليستمد منها أنوار الهداية والمعرفة فيحكم عقله فيها ويختار منها ما يناسب حاله، ويوافق قدراته، ويلبي حاجاته، فتفسير حياته وفق منهج مستقيم وهدى قويم.

سنن الفطرة دليل تكريم الله للإنسان المسلم:

لما كان الدين الاسلامي هو المنهج الرباني

إلى استمرارية سعادتهما الزوجية بإذن الله. ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قوة تحذى في هذا الشأن. يقول ابن الجوزي: «كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أنظف الناس وأطيب الناس». وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قلّ همّه، ومن طاب ريحه زاد عقله، ومن طال ظفّره قصرت يده». ثم إن المسلم بالتزام سنن الفطرة يقرب من قلوب الخلق، وتحبه النفوس لنظافته وطيبه. كما أن سنن الفطرة تنمي لدى الإنسان الاحساس بالجمال، وتنمي طاقاته وملكاته المستشعرة لعنى الجمال في خلق الله سبحانه.

وأحسب أن قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن الله جميل يحب الجمال» إنما هو دعوة إلى التخلق والتخلي بالجمال الذي هو البهاء والحسن وجمال الصورة وجمال المعنى على حد سواء.

سنن الفطرة والتوازن في شخصية المسلم:

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على عدة وحدات هي: الجسم والعقل والروح. ولذلك فإن التربية الإسلامية حرصت على الربط بين هذه الوحدات لتجعل منها كياناً واحداً مترابطاً، واختطت لذلك منهجاً مزيدياً في احاطته بجميع الجوانب الإنسانية، فجاء هذا المنهج متوازناً مهتماً بالذات الإنسانية في كل حالاتها. ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله، روحه ووجدانه، خلقه وسلوكه، سرائه وضرائه، شدته ورخائه، أي أنها تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهر أو كبت أو فوضى أو تسبب أو افراط أو تفريط.

ولذلك جاءت شخصية الانسان المسلم متوازنة سوية متكاملة، لا يطغى فيها جانب أو

الاطافر مثلاً تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات ذات المخالب من كواسر وقوارض ونحوها - وفي حلق الشعر وقصه وتنقحه تمييز للإنسان المسلم عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسلّة والمسدلة على أجسادها بلا ترتيب ولا انتظام - وفي السواك والمضمضة تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات التي لا تنظف أفواهها ولا تعتني بنظافة أسنانها - وهكذا -

وهذا فيه رفع لمستوى الإنسان المسلم وتكريم له على غيره من الكائنات والمخلوقات الأخرى إذا كان على الإنسان المسلم أن يحترم هذه المكانة التي أنزله الله إياها، ولا يهبط بها عن مستواها الإنساني الرفيع الذي خصه الله به عن سواه - ومن هنا نرى أن سنن الفطرة دليل على تكريم الخالق سبحانه للإنسان المسلم لأمرين هما:

* أن تكريم الله سبحانه للإنسان نابع في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله في الأرض، وأن هذا المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين أحدهما متمثل في اتباع الهدي النبوي والسنة المطهرة -

* أن من السنة الاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهذا يحصل للمسلم عن طريق محافظته على سنن الفطرة - إن شاء الله -

سنن الفطرة والاستقامة الإسلامية:

من المسلمات أن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق غاية عظمى، وهدف أسمى يتمثل في استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة. وذلك أمر لا يمكن تحقيقه إلا بممارسة شرائع الإسلام واتباع تعاليمه، والالتقياد لأوامره

المتكامل والمناسب تماماً للفطرة الإنسانية، لأنه جاء من عند الخالق عز وجل لصياغة شخصية الإنسان صياغة متوازنة متكاملة، لا ترفعه إلى مقام الألوهية، ولا تهبط به إلى درك الحيوانية أو البهيمية، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الأرض - فقد خصه جل وعلا بتكريم يليق به لكونه جُعل في الأرض خليفة ليعمرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها - ثم لأنه - جل وعلا - خلقه في أحسن تقويم فكرمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل، فكانت سنن الفطرة عاملاً مهماً في إبراز هذا الجمال والحفاظة عليه، وليس هذا فحسب بل إن الله كرم الإنسان بأن نفخ فيه من روحه، قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (سورة ص/ الآية ٧١ و ٧٢) فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات، إضافة إلى ما خصه الله به من نعمة العقل - فكان للجانب العقلي انعكاس على سلوكه وتصرفاته تجعله يحكم ذلك العقل كثيراً، لا سيما وأن ذلك العقل يعد مناط التكريم الإلهي للإنسان -

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن في هذه الخصال والسنن النبوية نمط تربوي إسلامي يتناسب تماماً مع مسئوليات هذه الخلافة ووظائف تعمير الكون، إلى جانب كونها تحقق مبدأ التكريم الإلهي للإنسان في هذه الحياة الدنيا - وهو أمر يميز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى لقوله تعالى: {ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً} (الاسراء/ ٧٠) - ففي قص

وصدق المثل الأعلى والصورة الحية للاستقامة
الإيمانية قولاً وعملاً.

الهوامش :

(١) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ١١ نقلاً عن المجموع
شرح المذهب للنووي.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٢،
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩١هـ -
١٩٧١م، ج ٤ ص ٥١٠.

(٣) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ٩ نقلاً عن لسان العرب
لابن منظور.

(٤) محمد بن علان الصديقي، دليل القائلين لطرق رياض
الصالحين، الطبعة الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ج ٢ ص ٦٧٧.

(٥) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٢٩.

(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وبرة
عين الأخبار في شرح جوامع الأخبار، الرئاسة العامة لإدارات
البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٥هـ - ص ٤٧.

(٧) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ١٢ نقلاً عن معالم السنن
الخطابي.

(٨) المصدر السابق، ص ٦.

(٩) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٢٧.

(١٠) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (مرجع سابق)،
ص ٤٧.

(١١) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ١٢ نقلاً عن المجموع
للنووي.

(١٢) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٢٧.

(١٣) أحمد الشريفي، توجيه الرسول للحياة والأحياء، دار
الجيل ببغداد، ص ١٣٠.

(١٤) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٢٩.

(١٥) سعيد حوى، الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٢، دار
الكتب العلمية ببغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ١٨٠.

والابتعاد عن نواحيه. فالاستقامة إذاً مرحلة
ثانية تأتي بعد الإيمان لأنها أثر من آثاره
ونتيجة من نتائجها. قال تعالى:

«وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» (النساء
١٢٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «قل أمنت
بالله، ثم استقم» رواه مسلم. فهذه الاستقامة
الإيمانية لا تتحقق إلا بالفقه الشرعي ومعرفة
أمور الدين، والاحاطة بتعاليمه، ورعاية الأخلاق
وتطبيقها في واقع الحياة ليصبح الإنسان
المسلم بذلك كله قنوة صالحة وأسوة حسنة. ثم
لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله
سبحانه وعلى خشيته وتقواه في كل لحظة وفي
كل صغيرة وكبيرة: استقامت جوارحه كلها
على الطاعة والامتثال. وهذا يؤهل من قام به
والتزعم ليكون من حملة الرسالة الخالدة الذين
قال الله سبحانه فيهم: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ] (فصلت/ ٣٠).

ومن هنا يمكن القول بأن من ثمرات التزام
المسلم بسنن الفطرة ما تحققه من ملامح
الاستقامة الإيمانية عنده حينما يطبقها بشكل
مناسب ومقبول يعتمد في المقام الأول على
الاعتدال والاعتزان والاتباع لهدي النبي (صلى
الله عليه وسلم) نوماً إقراطاً أو تفريطاً. إضافة
إلى تربية المسلم على الاستمرارية والمواصلة
والمحافظة على هذه السنن المباركة والخصال
الحميدة بما فيها من خير للفرد وصالح
للمجتمع.

وقيل هذا أو ذاك فهي سنن جاء بها المربي
الغظيم (صلى الله عليه وسلم) الذي هو بحق

في ظلال القرآن:

إحصاء لفظ الجلالة [الله]
والأرب [والله] في
المصحف الشريف وذلك ذلك
على الإيمان بالله تعالى

وتارة يذكر صفات أخرى».

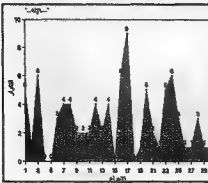
واسترسل فقال: «إنه تبين لذلك لا تكاد صفحة من المصحف الشريف تخلو من لفظ الجلالة [الله] أو إشارة إلى ذاته الكريمة بلفظ [رب] أو أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى وهي تكاد تكون موزعة توزيعاً منتظماً على المصحف الشريف» ثم حاول بطريقة مبسطة إحصاء هذا العدد للفظ الجلالة [الله] وانتهى إلى (أنه قد تكرر حوالي ثلاث آلاف مرة) شغلني هذا المعنى وقررت إجراء هذه الدراسة وعهدت بإحصاء لفظ الجلالة في جميع أوضاعه مثل «الله ، بالله ، تالله ، فوالله، والله ... الخ» إلى طالبين نجيين من الكلية في الفصل الدراسي الأول لعام ١٤١٥هـ وقد أنجزا هذه المهمة باقتدار فجزاهما الله خيراً والطالبان هما: عمر علي باسيف ويندر محمد صالح الحسني. وقد تم مقابلة إحصائيهما بالحاسب على ما هو موجود في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

قمت بعد ذلك بإحصاء اللفظين الكريمين (رب) و(إله) في جميع أوضاعهما على أجزاء المصحف الشريف باستخدام البرنامج «قرآن، Quranā على حاسب متوافق مع I.B.M. وهذا البرنامج يتيح البحث بطريقة قواعد البيانات على مستوى الحرف وعلى مستوى الكلمة وخلافه وتم مقارنة الأعداد الناتجة من الإحصاء مع مثيلتها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

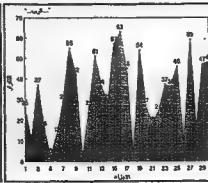
بقلم: د. ممدوح الطويل كلية
المعلمين - مكة المكرمة

حدثنا الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير في جامعتي الأزهر الشريف وأم القرى بمعنى عظيم شغلني التفكير فيه فترة من الزمن. قال الشيخ: «إن المصحف الشريف يكاد يكون كتاباً يتحدث فيه الله عن نفسه الشريفة فيعرف نفسه لعباده حتى يوقوه حق قدره العظيم وينشغلوا بعبادته وحده لا شريك له بعد أن أقام عليهم الحجة وأطنب في تعريف نفسه لعباده بطرق مختلفة، فتارة يذكر اسمه لفظ الجلالة [الله] والذي ليس له سمي في القديم أو الحديث.

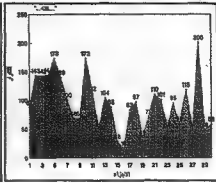
وتارة يذكر لفظاً يدل على ذاته الكريمة وهو لفظ [رب] وأحياناً يذكر لفظ [إله] وتارة يشير إلى نفسه بالضمير وتارة بالأسماء الحسنى



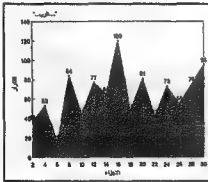
شكل (١ - ج)



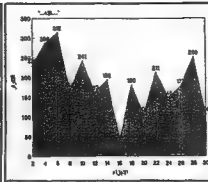
شكل (١ - ب)



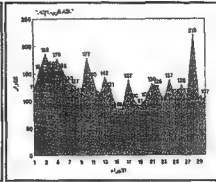
شكل (١ - ا)



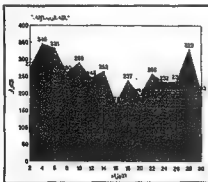
شكل (٢ - ب)



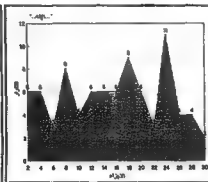
شكل (٢ - ا)



شكل (١ - د)



شكل (٢ - د)

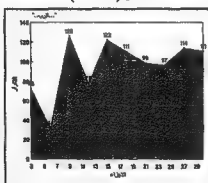


شكل (٢ - ح)

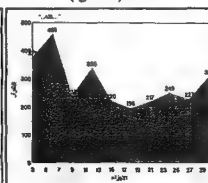
الكريم وتطابقت الأعداد بحمد الله بعد استيعاد بعض الألفاظ التي لم يقصد بها الرب الخالق وكذلك الألفاظ التي لم يقصد بها الإله الواحد كما سنبين فيما بعد .

منهج البحث:

هو المنهج الإحصائي في أنواته ودلالاته . فقد صمم الطالبان استمارة تقي لهذا الغرض وتم الاتفاق على الاستشهاد بطبعة الملك فهد للمصحف الشريف وكل جزء



شكل (٣ - ب)



شكل (٣ - ا)

ضمن السورة المشتملة عليها وبذلك زدنا في إحصائنا على الحاسب عدد مائة واثنى عشر لفظاً عما هو موجود في المعجم المفهرس

فيه يقع في عشرين صفحة تقريباً . وقد اعتبرت الفاتحة من الجزء الأول وتم أخذ فاتحة السور «بسم الله الرحمن الرحيم» من

ألفاظ جاءت
في سورتي
يوسف
والأنعام
كالآتي:

١ - الأنعام (٧٦): {فلما
جنّ عليه الليل
رأى كوكباً
قال هذا ربّي
فلما
أفل...}

٢ - الأنعام (٧٧): {فلما
رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي فلما أفل
...}

٣ - الأنعام (٧٨): {فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربّي ...}

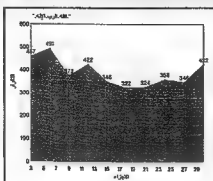
٤ - يوسف (٤١): {يا صاحبي السجن أماً
أحدكما فيسقي ربّه خمرأ وأماً الآخر ...}

٥ - يوسف (٤٢): {وقال الذي ظنّ أنّه ناج
منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر
ربّه قلبت في السجن بضع سنين}.

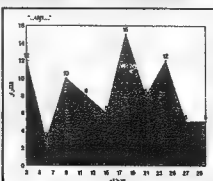
٦ - يوسف (٥٠): {وقال الملك أئتوني به
فلما جاءه الرسول قال ارجع إلي ربك فأسأله
ما بال النسوة ...}

ولقد تمّ استبعاد ألفاظ جمع رب مثل:
أرباب ، ربايون ... الخ، لأنها لا تدل على
المعنى المقصود.

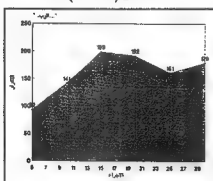
كذلك تمّ استبعاد الألفاظ التي لا تدل على
الإله المعبود الواحد الأحد وهي كالآتي:



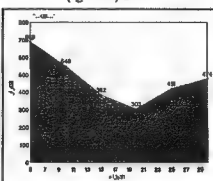
شكل (٣ - د)



شكل (٢ - ج)



شكل (٤ - ب)



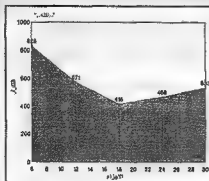
شكل (٤ - ا)

بسبب أننا
عددنا لفظ
الجلالة (الله)
في البسملة
في أول جميع
السور وهي
مائة وثلاثة
عشر عد
المعجم
المفهرس منها
بسملة سورة
الفاحة فقط.
ثم قمتم
باعداد جداول

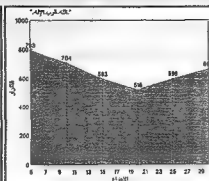
خاصة لإحصاء اللفظ الكريم (رب) مع
استبعاد الألفاظ التي لم يقصد بها الرب
الخالق العظيم كما سنبين بعد قليل كذلك
تمت دراسة اللفظ الجليل (إله) بشكل مماثل
كما سبق مع استبعاد ما لا يدل على الإله
المعبود. ويعد إعداد البيانات تمّ رسمها
باستعمال راسم هارفرد Harvard
(2.3). وقد تم رسم بيانات لفظ الجلالة
(الله) ثم لفظي (رب) و (إله) وذلك على عدة
مستويات من تجميع الأجزاء جزء ثم جزآن
وهكذا حتى ستة أجزاء. وذلك لدراسة ظاهرة
الانتظام. ثم تمّ الجمع بينهم في دراسة
تجميعية.

المستبعد من الألفاظ في الإحصاء:

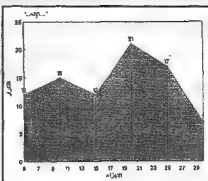
استبعدت الألفاظ التي لم يقصد بها الرب
الخالق العظيم سبحانه وتعالى وهي سبعة



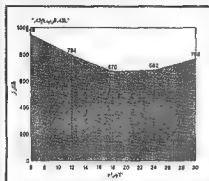
شكل (١ - ٥)



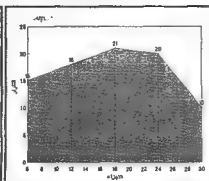
شكل (٤ - ٥)



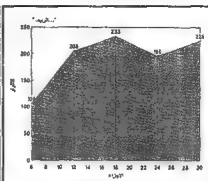
شكل (٤ - ٥)



شكل (٥ - ٥)



شكل (٥ - ٥)



شكل (٥ - ٥)

المساحة على مستوى جزئين .
شكل (٣): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى ثلاثة أجزاء .
شكل (٤): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى خمسة أجزاء .
شكل (٥): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى ستة أجزاء .

وفي هذه الأشكال يمثل «أ» التوزيع
التكراري للفظ الجلالة «الله» ويمثل «ب»
التوزيع التكراري للفظ الكريم «رب» ويمثل
«ج» التوزيع التكراري للفظ الجليل «إله» بينما
يمثل «د» التوزيع التكراري لمجموع هذه
الألفاظ .

المناقشة والنتائج:

إن دلالة ذكر لفظ الجلالة (الله) أو (رب)
أو (إله) في القرآن الكريم دلالة عظيمة . وفي

لفظ [إله]: الأنبياء/٢٩ ، المؤمنون/٩١ ،
القصص/٣٨ ، (اللفظ الأول فقط) ، طه/٨٨ .
لفظ [إله]: الأعراف/١٣٨ ، الحجر/٩٦ ،
الإسراء/٢٢ ، الإسراء/٣٥ ، الكهف/١٤ ،
المؤمنون/١١٧ ، الفرقان/٦٨ ، الشعراء/٢٩ ،
الشعراء/٢١٣ ، القصص/٨٨ ، ق/٢٦ ،
الذاريات/٥١ .

لفظ [إلهك]: طه/٩٧ .
لفظ [إلهكم]: طه/٨٨ .
لفظ [إلهه]: الفرقان/٤٣ ، الجاثية/٢٣ .
لفظ [إله]: النمل (من ٦٠ إلى ٦٤) .
كذلك تم استبعاد الألفاظ التي تدل على
مشئى أو جمع «إله» مثل إلهين وآلهة .

الأشكال:

شكل (١): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى جزء واحد .
شكل (٢): التوزيع التكراري معد بطريقة

المستوى الجزء الواحد يقع في الجزء الثامن والعشرين ، شكل (١ - أ) ، وكله مدني من بداية سورة المجادلة إلى نهاية سورة التحريم . ومن المعلوم أن المعاملات والجهاد والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غالبية في ذكر الآيات المدنية وهذا يدل على أصالة التصاق هذه المعاملات بمعرفة الله سبحانه وتعالى وتقديره وتعظيمه حق شأنه حتى لا تكون هذه الأعمال هباء منثوراً .

وفي الجانب المقابل نجد أن الأجزاء الست الأولى تحتوي على نسبة ١٠٪ تقريباً من تكرار لفظ [رب] ونجد أن الجزء الثامن والعشرين يحتوي على ١٦ تكراراً فقط من مجموع ٩٦٤ تكراراً للفظ الكريم [رب] وملحقاته . أما بالنسبة للفظ الجليل [إله] فإن سدس التكرار تقريباً يقع في الأجزاء الست الأولى مع ملاحظة أن أعداد لفظ [إله] تأتي في كل جزء بالأحاد ، بينما أعداد لفظ [رب] بالعشرات . أما لفظ الجلالة فهو بالمئات غالباً .

ثانياً:

أقل تكرار للفظ الجلالة [الله] يقع في الجزء السادس عشر وهو ١٦ مرة ، انظر شكل (١ - أ) . وهو جزء يحتوي على نهايات سورة الكهف وسورة مريم وسورة طه وفيها استغراق في ذكر قصص الأنبياء والصالحين بشكل مفصل . وعلى سبيل التعويض نجد أن هذا الجزء يحتوي على أكبر تكرار للفظ الكريم [رب] على مستوى الجزء الواحد وهو ٦٣ مرة ، انظر شكل (١ - ب) . الأجزاء الست الأخيرة تحتوي على ٢٥٪

الغالب (والله أعلم بمراده) فإن موقع ذكر اللفظ يكون تعريفاً من الله سبحانه وتعالى بنفسه للبشر أجمعين . انظر سورة البقرة مثلاً: [ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء] (البقرة/٢٧٢) ، [واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله] (البقرة/٢٨١) ، [واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم] (البقرة/٢٨٢) ، [الله ما في السموات وما في الأرض وإن تبوءوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير] (البقرة/٢٨٤) . وهذا التعريف بالله يعلمنا به الله قدره ويلزمنا الحجة بالعبودية له وحده واتباع شريعته وحده ولذلك نجد الأجزاء عامرة بذكر لفظ الجلالة (الله) أو ذكر اللفظ الكريم (رب) أو اللفظ الجليل (إله) ولقد تكرر لفظ الجلالة (الله) في جميع أوضاعه (٢٨١٤) مرة موزعة على الأجزاء كما هو مبين في شكل (١ - أ) . أما اللفظ الكريم (رب) في جميع أوضاعه فقد تكرر (٩٦٤) مرة كما يبين شكل (١ - ب) . ويبين شكل (١ - ج) تكرار اللفظ الجليل [إله] في جميع أوضاعه وهو (٨٤) مرة . وبدراسة الأشكال يمكن أن

نخلص إلى النتائج التالية:
أولاً:

حوالي ثلث تكرار لفظ الجلالة [الله] في جميع أوضاعه يقع في الأجزاء الست الأولى كما هو موضح بالشكل (٥ - أ) على سبيل المثال . وهذه الأجزاء تحتوي على السور المدنية الطويلة: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة . ونلاحظ أيضاً أن أكبر تكرار على

فإن معدل ذكر هذه الألفاظ يكون لفظاً واحداً لكل سطرين أو تقريباً ٧ ألفاظ لكل صفحة. وهذا يعطي دلالة على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يذكر عبياده بذاته وصفاته حين يقرء القرآن من خلال كل صفحة من صفحات المصحف الشريف أو من خلال كل سطرين تقريباً سواء كان قارئاً من حفظه أو تالياً في المصحف.

النتيجة العامة:

اجتماع الألفاظ الكريمة [الله] و[الرب] و[الإله] في جميع أوضاعها يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور عبد الستار إلى أن الله سبحانه وتعالى قد وزع ذكر اسمه وصفاته على صفحات المصحف الشريف توزيعاً منتظماً شاملاً وهذا يبرهن على الإعجاز القرآني وأنه كتاب منزل من لدنه سبحانه وتعالى ولا يستطيع أن يؤلفه بشر ما. والبرهان الكامل لهذه الحقيقة القرآنية يتطلب إحصاء الآتي:

أ - لفظ الجلالة [الله].

ب - اللفظ الكريم [رب].

ج - اللفظ الجليل [إله].

د - أسماء الله الحسنى.

هـ - الضمائر العائدة إلى الله تعالى.

نرجو من الله أن يمكننا من الخطوتين «د» و«هـ» ليتم هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة. وجزى الله شيخنا الكبير الأستاذ الدكتور عبد الستار خيراً عن علمه وتواضعه لإعطائي وقتاً ثميناً من وقته المحدود في مناقشة وتنقيح هذا البحث ونتائج.

تقريباً من تكرار اللفظ الكريم [رب] بينما تحتوي على ١٨٪ تقريباً من تكرار لفظ الجلالة [الله] و ١٢٪ من تكرار اللفظ الجليل [إله].

ثالثاً:

الأجزاء الخمسة عشر الأولى يتكرر لفظ الجلالة [الله] ١٦١٩ مرة بينما يتكرر في الأجزاء من السادس عشر إلى الثلاثين ١١٩٥ مرة. أما بالنسبة للفظ الكريم [رب] لنفس الأجزاء على الترتيب السابق فهي: ٤٣٢ و ٥٣٢. وهي ٣٩ و ٤٥ بالنسبة للفظ الجليل [إله] وعند إضافة أعداد الألفاظ الثلاثة إلى بعضها تكون كالآتي: ٢٠٩٠ و ١٧٨٢ وهما بذلك أقرب للانتظام بين شطري المصحف الشريف فالنسبة تتحسن من ١٣٥ (قسمة ١٦١٩ على ١١٩٥) إلى ١٨١ (قسمة ١٦١٩ + ٤٣٢ على ١١٩٥ + ٥٣٢) إلى ١٧ (قسمة ١٦١٩ + ٤٣٢ + ٣٩ على ١١٩٥ + ٥٣٢ + ٤٥) على الترتيب. وهذا يدل على أن الألفاظ المذكورة تدور في القرآن الكريم على نظام بالغ الدقة والإعجاز.

رابعاً:

كما هو موضح بالأشكال (١، ٢، ٣، ٤، ٥ - د) على مستوى الأجزاء المختلفة، نجد أن إضافة لفظي [الرب] و[إله] إلى لفظ الجلالة [الله] أدّى إلى تقارب التوزيع وانتظامه في الأجزاء المختلفة. فإذا كان معدل السطور في الصفحة الواحدة في القرآن الكريم، طبعة الملك فهد، هو ١٥ سطراً ومجموع الألفاظ الثلاثة في المصحف الشريف هو ٢٨٧٢ لفظاً

في كل أسرة مسلمة.

إن الحياة الاقتصادية القاسية - وفي أيامنا هذه خاصة - قد فرت أفراد كل أسرة بحسب الأعمال المختلفة التي يقوم بها أعضاء كل أسرة. إن أعضاء الأسرة الواحدة لا يعملون في العادة عملاً واحداً ولا يعملون في مكان واحد - من أجل ذلك يقل وجود أعضاء الأسرة الواحدة في بيت الأسرة في وقت واحد. وفي العالم أسر قلما يجتمع أفرادها في كل يوم أو في كل اسبوع. أما في

رمضان فإن مناهج العمل تتبدل وأنماط الحياة تتغير، والوقت الواحد للسور والوقت الواحد للإطعام

يجمعان أهل البيت الواحد في وقت واحد على طعام واحد. إن هذا الكسب الاجتماعي في الأسرة قلما يستطيع الإنسان أن يقدره قدره. ولا ريب في أن هذه الصلة الوثيقة في الأسرة في العالم الإسلامي - وهي صلة قد فقدت فقداً تاماً في العالم الأوروبي والأمريكي - راجعة إلى العنصر الاجتماعي البارز في شهر رمضان.

ومن بركة شهر رمضان في الجانب الاجتماعي من الحياة وجه يدعو الإنسان المفكر إلى كثير من العجب والدهشة ثم يكشف عن قيمة اجتماعية لا يكاد المرء يتخيل مثلها - فضلاً عن أن يرى مثيلاً لها - في وجه اجتماعي آخر!!

في كل شعب قوم متدينون وقوم مهملون وقوم عاصون. كذلك كان البشر من قبل بعثة الأنبياء، وكذلك هم إلى اليوم. وأهلهم سيبقون على ذلك إلى ما

شاء الله.

أما في الإسلام فإذا جاء رمضان فإن هذه الصورة تتبدل تبدلاً كبيراً، فإن نفراً من المهملين الغافلين ومن العصاة المجاهرين يرجعون إلى الله مولاهم فيقيمون الصلاة ويعملون الصالحات ويهجون الخمر والفسق ويتبدلون بعادتهم الأولى من الاستهتار والانحراف سماً معتدلاً من التقوى والخشوع. ومع أن جانباً من هؤلاء

رمضان شهر الصوم. والصوم في الأديان قديم: قال الله تعالى: [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (البقرة/183)، ولا شك في أن الأديان أصلها واحد من عند الله، وجاء الدين صالحاً حكيماً مفيداً، ذلك الدين الأول الذي أوحاه الله تعالى إلى أنبيائه ورسله مرة بعد مرة.

ومن الإسلام هذا الصوم الذي ينعم به المسلمون في كل عام شهراً كاملاً. ويبدو لي أن الذين قالوا في الصوم قد قالوا كثيراً في وجوه الدينية والصحية والروحية والنفسية. وأحسب أنهم لم يكتفوا القول بعد في الجانب الاجتماعي.

أفحسب أنا أن أتناول هذا الوجه الاجتماعي بشيء من التفصيل، وبالإضافة إلى أن الصوم في الإسلام عبادة مفروضة وطاعة لله تعالى: [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ]. فإن للصوم في الإسلام مظهرين اجتماعيين بارزين لا يزالان إلى اليوم واضحين في جميع البلاد الإسلامية وفي جميع البيئات. ما إن يطل رمضان على المسلمين، وقبل أن يطل أيضاً، تتبدل حياة المسلمين صفاراً وكباراً، ومقراء وأغنياء ومتساهلين ومتشددين، ثم يبدو الشهر وكأنه من أوله إلى آخره عيد يعم المسلمين كلهم بالسرور. فهذا أول مظهر اجتماعي لشهر رمضان: شهر يضع المسلمين كلهم في حياة واحدة فيشعر كل فرد فيها أنه جزء ملازم من هذا الجسم الكبير في العالم كله.

في غير رمضان تحاول الحياة

القاسية أن تقطع الناس طبقات كثيرة تنصرف كل طبقة منها إلى العمل الذي تقوم به في سبيل معاشها، ولما يشعر بعض الناس في أثناء ذلك أنه مرتبط بسائر الناس الذين يعيشون معه في بلد واحد أو مكان واحد أو حي واحد. أما في رمضان فإن هذه الألفة تعود إلى طبيعتها في المجتمع الكبير الذي يضمهم. وأعظم من تلك الألفة العامة بين عامة المسلمين في رمضان تلك الألفة الخاصة

فيصل صالح أسعد - جده -

أكانوا أقارب أو غير أقارب ما داموا على مستوى واحد في السلم الإجتماعي أو على درجات متقاربة من ذلك السلم. أما المظهر الإجتماعي الثاني من صيام رمضان في الإسلام فهو مظهر النفع الإجتماعي بين أغنياء المسلمين وغير الأغنياء من المسلمين.

من أعظم فضائل رمضان أن الإسلام ربط الصيام فيه بصنقات من التطوع ثم بصنقة مفروضة هي صنقة الفطر أو زكاة الفطر. وقد جعل الإسلام لهذه الصنقة خاصة وجهاً اجتماعياً براقاً. إن قيمة زكاة الفطر عن أهل بيت واحد هي مقدار ما ينفقه أهل ذلك البيت على طعامهم وبشرابهم في يوم واحد بحسب درجاتهم من الثروة، قل ذلك أو أكثر. ومن أراد أن يزيد فيها فهو خير له. ثم إن أئمة المسلمين استحسنا في إخراج هذه الزكاة طريقة نافعة. لقد أحبوا ألا تجزأ هذه الزكاة بين الأفراد كما يجوز في صنقات التطوع، بل أثروا أن تبقى زكاة الفطر عن أسرة واحدة مبلغاً واحداً مجموعاً وأن يعطى هذا المبلغ الواحد إلى أسرة واحدة حتى تستطيع هذه الأسرة بهذا المبلغ كله أن تشارك المسلمين كلهم في يوم عيد الفطر في سعادتهم وأفرارهم.

هذان الوجهان الاجتماعيان من شهر رمضان: - الوجه الإجتماعي المعنوي والوجه الإجتماعي المادي - هما مظهران بارزان في الإسلام يشدان كل مسلم إلى كل مسلم آخر برباط من الأخوة الصحيحة ومن العطف المفيد النافع. والذي يعجب منه العاقل أن العالم يسعى إلى أشياء من الإصلاح الإجتماعي في ميادين الحياة المختلفة ثم لا نراه يحقق نفعا صغيراً في جانب من الناس إلا بعد أن يحدث أثراً سيئاً في جانب آخر. ولو أن هؤلاء المربين للإصلاح التفتوا إلى الإسلام التفتاتاً عاقلاً لوجدوا فيه العلاج الصالح للأواء التي يشكو منها أقوامهم. وأعلموا فاعلموا!!

وأخيراً...

ننتهي إلى الله أن يجمعنا على الحق وينصرنا بالإرادة القوية. وأن يعيد هذا الشهر الكريم على القبلية الأولى وقد تحرر مسجداً الأقصى وتحررت كل بلاد المسلمين مما تعاناه، وتطهرت قلوبنا ونفوسنا بالإسلام ومجد الإسلام وعزة الإسلام.

يعود بعد رمضان سيرته الأولى في الحياة، فإن جانباً آخر منهم تثبت قعماه على الصراط المستقيم. إن هذه القيمة الإجتماعية تأتي في الواقع من أن الإنسان الفرد قد تأثر بالخير تأثراً شخصياً فطبع ذلك في نفسه من الأثر ما لا تستطيع طبيعة النشأان المختلفة ووسائل الإقناع من صناعة النطق!!

ونعود إلى الأسرة مرة جديدة:

إن رب الأسرة يشعر في رمضان شعوراً جديداً، سواء أكان أفراد أسرته صغاراً في السن أو كانوا كباراً. ترى البخيل في رمضان قد أصبح على جانب من الكرم، ثم ترى الكريم قد ازداد كريماً وأنا لا أقصد هنا الكرم المادي وحده، ولكنني أقصد الكرم المعنوي، فلئن الإنسان يصبح بالصوم في رمضان أكرم خلقاً في نفسه وأحسن سلوكاً في الناس وأنبى عملاً في المجموع، وفي صوم رمضان حقيقة قلما ولقأها المتكلمون في رمضان حقها من الإشارة. إن رمضان يقطع الإنسان عن نفسه الداخلية ثم يبرزه لعالمه الخارجي، ذلك لأن حلجات الجسم التي ضعفت تزعاتها بالصوم تريد أن تعبر عن توقها إلى العمل العام الصالح. إن الإنسان في العادة يقضي وقتاً طويلاً من يومه في طعامه وبشرابه ولهوه بالمباحات. فإذا حل رمضان واستغنى الجسم عن هذه كلها أصبح محتاجاً إلى أن يعلا ما فرغ من وقته بأعمال جديدة. من أجل ذلك نجد أن الصائم الحق أحسن في رمضان أعمالاً منه في كثير من سائر أشهر السنة.

أما أسعى صور هذا التحول النبيل من حياة الصائم الداخلية إلى حياته الخارجية فتتبدى في المعارك التي خاضها المسلمون في شهر رمضان المبارك. وأشير هنا إلى ثلاث معارك، واحدة من تاريخ الإسلام الأول هي معركة بدر الكبرى التي أرسى قواعد الدولة الإسلامية وبدأت على أن المسلمين قد أصبحوا قوة عسكرية مرهوبة الجانب، ثم معركة عين جالوت التي رد فيها المسلمون عن بلاد الإسلام وعن الإسلام جحافل التتار ثم معركة وادي لكة، وهي التي فتحت بلاد الأندلس للفتح الإسلامي والإسلام زماناً طويلاً ولمحضارة الإسلامية إلى اليوم. ذلك كان المظهر الإجتماعي الأول، المظهر الإجتماعي الخالص، المظهر الذي يربط بعض الناس ببعض، سواء

وما النجر إلا من عند الله

برغم أن موقعة بدر لم تستمر لأكثر من نهار واحد، وأن الأعداد التي شهدتها لم تكن بالكثرة التي شهدت باقي معارك المسلمين، فإنها كانت بحق من أهم المعارك الإسلامية نوباً عن الرسالة، كما إن تحقيق الانتصار فيها كان بداية لانتصارات بكت حصون الكفر والضلالة، وقادت البشرية إلى نور الحق والهداية.

فقد غرست هذه الموقعة في الأرض شجرة الحرية حيث أرسدت الدعائم الأولى لحرية العقيدة والرأي والتفكير، فما شهر المسلمون فيها سيفاً ضد عابد قانت، لكنهم أرادوا أن يمارسوا حقهم الكامل في حرية العبادة والعقيدة، فاعترضتهم قريش تريد أن يظلوا على دين الآباء والأجداد... وهو اغتيال ومصاررة لحريتهم... فعن يلوهم!!

فكلموا منه الصبر بكل أوجهه... جوعاً وعطشاً وجهاداً لإعلاء كلمة الحق.

وبهذا استحققت بدر أن تكون أعظم الغزوات

بسبب ما

صانها

ولاحقها من

دروس وصبر،

فكانت مثلاً

ومرجعاً

وتاريخاً أسفرت عن نتائج سياسية واجتماعية نوت في الأرض نوباً كبيراً لأنها نصر الله، كما نوت في السماء نوباً عظيماً لأنها إرادة السماء، وكانت فتحاً ونصراً فصل بين عهدي الذلة والعزة والضعف والقوة.

لذلك لا عجب أن نرى هذه

الموقعة تحظى باهتمام الكثير

من المؤرخين والكتاب خاصة وأن كل ما تلاها

من فتوح وما تحقق من انتصارات إنما هو

مدن للفتح المبين في ميدان بدر يوم الفرقان

كما أسماه رب العزة في محكم كتابه حين

يقول: [وما أنزلنا على عبنا يوم الفرقان يوم

وكما أرسى الإسلام في بدر مبدأ الحرية،

فقد أرسى مبدأ آخر لا يقل أهمية عنه. إنه

نظام الشورى، فهذا نبي يعلم ويسمع، بل

يقدم نفسه مرة

باعتباره رسولا

نبياً وأخرى

باعتباره بشراً

عادياً... وهكذا

حتى

استأنسوا منه هذه الصفة بالممارسة وعرفوا

جيداً كيف يفرقون بين كلام الله وقالة الناس،

وبين ما تطاله أيديهم وما لا ينبغي لهم النظر

فيه كما تعلم المسلمون من هذه الموقعة أن

القوة لا تغني من الحق

شيئاً، وأن المؤمن مطالب -

وهو في نزوة النصر- أن

يميز ما بين الاستعداد والملد وأن يأخذ

بالأسباب التي توصله لتحقيق كل منهما -

وفوق ذلك كله فقد وقع هذا الحدث العظيم

في تاريخ المسلمين في رمضان، وفيه من

الدلالة ما يكفي لو قدره الناس حق قدره...

مع بدر يوم النسي البهمن

بظم: هـ ناول عبد الهادي - المغرب

عن عددهم - إنهم كثير لا يحصى عددهم، فاستفسر عما ينحرون من إيل؟ فتجيب بأنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً فقال: هم بين تسعمئة وألف، فكانوا خمسين وتسعمئة، وسأل عن رجالاتهم، فعرف منهم عتبة بن ربيعة وأخاه شيبه وغيرهما.

تجاوب الأنصار:

لقد جرى العمل في السرايا التي كان يقوم بها المسلمون مع بداية قيام دولة الإسلام بالمدينة أن يُعهد بها إلى المهاجرين نون الأنصار فلم يندب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلها أحداً منهم ولم يحدث ذلك إلا في بدر، وذلك على اعتبار:

١ - أن المهاجرين هم الذين أوتوا في أبدانهم وجروحوا في مشاعرهم وكرامتهم، وبالتالي فهم أشد الناس رغبة في القصاص ممن آتوهم ومن ثم فهم أولى ببقاء قريش من غيرهم.

٢ - كما أنهم هم الذين استضعفوا وأراد أهل الشرك إذلالهم فكان لقاءهم بهم وفرار الآخرين منهم أكثر تعبيراً عن أن الحق قد علا وأن الله قد مكّن لهم في الأرض.

٣ - ثم إنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم وخلفوا وراءهم أموالهم فكانوا أحق القوم مطالبة بحقوقهم المكتسبة وديارهم المسلوبة ومنعاً لأهلهم ونوحيهم الذين لم يهاجروا وكفائتهم شرور هؤلاء الجبابرة.

٤ - على أن أهم الأسباب وأقواها في ذلك هو أن عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الأنصار إنما كان على الإيواء والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساعهم

التقى الجمعان (الأنفال/٤١) ليؤكد من خلال هذه التسمية أنها فرقت بين الحق المستضعف والباطل المتفطرس - وأنه سبحانه أعز بها الحق وأذل الباطل.

ومن المفيد أن نذكر لمحة تاريخية خاطفة عن هذا اليوم نستخلص من أحداثه العبر والدروس .. فما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه اليوم بالأمس بالأمس الدابر، أو ربما يعيد التاريخ نفسه كما يقولون.

وكان من خبر هذه الواقعة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمع بمقدم أبي سفيان من الشام في غير عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارتهم، وكانت الأخيرة ممعنة في تصديها للدين الجديد صداً عن سبيله، وإقامة للعثرات في وجه أتباعه، فما أن سمع الرسول بأمر أبي سفيان، وكان من أشد الناس عداوة للإسلام، حتى ندب الناس للخروج إليه تعويضاً لهم عما خلفوه وراءهم بمكة من أموال، وما إن علم أبو سفيان بخروج المسلمين للملاقاة قافلت حتى غير طريقه وأرسل يستصرخ قريشاً كي تمنعه وقافلته، ونهض أهل مكة مسرعين فحشدوا من حولهم من قبائل العرب، وورغم إفلات أبي سفيان بغيره فإن زعماءهم أصروا على المداومة والنزال.

ذهب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بدر ليدرك العير فلم يدركها، وأدركه النفير فلم يكن من القتال بد، وقد أقبلت قريش بخيلها وخيلاتها، وتعرف النبي القائد إلى العدو فقدّره ما بين التسعمئة والألف وذلك من خلال ما كانوا يعقرون من إيل فقد قيل له - وقد سأل

لكاني أنظر إلى مصارع القوم. فكان هذا أول أمر قيادة بالتحرك للقتال من وادي نهران، وتقدمت القوة بين ثنانيا الوديان تجنباً لظهورها ووقاية من عين العدو.

التحرك بتشكيل القتال:

كان ذلك يوم الإثنين لثمانى ليال خلون من شهر رمضان في العام الثاني للقرار بالمدينة، حيث خرج رسول الله في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً لم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بغيراً يعقب الإثنان والثلاثة منهم على البعير الواحد يستوي في ذلك الجندي والقائد والتابع والمتبوع، فكان منهم رسول الله وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة، ودُفع باللواء إلى مصعب بن عمير وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ، وكان التحرك منظماً بتشكيل القتال لأول مرة في تاريخ العرب، حيث قسمت القوة إلى مقدمة وكتائب أساسية ومؤخرة، فالمقدمة كان مهمتها تأمين القوة الأساسية من المفاجآت، وقد انطلقت منها طليعة أمامية للاستكشاف والحصول على معلومات تفيد المسلمين، وتألقت القوة الرئيسية من كتيبة المهاجرين تتبعها كتيبة الأنصار وكل منهما رايتها السوداء، وتقدمتهما جماعة القيادة برابيتها البيضاء التي حملها مصعب. في حين أسند أمر حراسة الجوانب لكل من الزبير بن العوام على الميمنة والمقداد الكندي على الميسرة، أما حراسة المؤخرة فقد عهد بها إلى قيس بن أبي صعبعة وجماعته.

الرسول يغزل على رأي الحباب:

حقق الرسول القائد بهذا التشكيل النظامي

ونرياتهم، ولم يكن في ذلك حض على الخروج معه في حرب، وإن كان يفهم منه ضمناً أنهم معه في الحرب والسلام، غير أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يرد أن يخرجهم معه فيما لم يتقرر صراحة بنص البيعة وإذلك لم يدفعهم للمشاركة في هذه السرايا التي سبقت بديراً.

وما إن جد الجد وخرجت قریش لمواجهة نور التوحيد بجيش كثيف من أهل الشرك قوامه قرابة الألف حتى بدا له أن يشاورهم ويناقشهم في الأمر حتى يستيقن ويعلم ما عندهم فقال: أشيروا علي أيها الناس (يريد الأنصار). . . وتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم تكلموا فأحسنوا . . . وحين أعادها فهم الأنصار أنه يقصدهم فبادر سعد بن معاذ قائلاً: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها ألا تتصرك إلا في ديارهم؟ إني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فإظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وإعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك. . . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله سعد وقال: سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله

جنول رقمي إحصائي عن غزوة بدر:		
الوضع: مقارنة رقمية	(المسلمون -)	(الشركون)
عدد المقاتلين في معركة بدر	٣١٤	١٥٠ نحو
عدد الفرسان والخيول	٢	٢٠٠ -
عدد الإبل	٧٠ نحو	٣٥٠ نحو
عدد القتلى	١٤ شهيداً	٧٠ شهيداً
عدد الأسرى	—	٧٠ أسيراً
ملاحظة: كانت كتبية المهاجرين مؤلفة من ٨٣ وكتبية الانصار مؤلفة من ٦١ من الأوس - ١٧٠ من الخزرج		

مباشرة إدارة المعركة والتخطيط للعمليات، حتى لو اضطر المسلمون للتراجع أمام ضغط القوى المعادية يستطيع الرسول من مقر القيادة تنظيم خطة الانسحاب إلى المدينة دفاعاً عنها، ويُنِي المقر (عريش) على تل يطل على ساحة المعركة. وعقيب تمامه خرج صلوات الله وسلامه عليه يخاطب جنده ليرفع من معنوياتهم ويحفزهم على الثبات بقوله: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

وبعد تمام الشخن المعنوي على هذا النحو عاد إلى مقر قيادته ليصدر التعليمات إلى جنده، ويأمر تسوية الصفوف وأمرهم ألا يبدؤوا القتال حتى يتلقوا أوامره، كما رسم طريق التعاون بين حملة السيوف وحملة السهام فقال: «إذا اكتفكم العدو (أحاط بكم)

مبدأ الوقاية فكانت أول مرة في تاريخ الإسلام والعرب يطبق فيها مثل هذا الأمر، ونزلت القوة بأرض بدر، وقام الرسول بنفسه يتبعه أحد أصحابه يستكشف المنطقة فعرف أن قريشاً على مقربة منه، وعاد ليرسل بدورية أكبر للاستكشاف الموسع ضمت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وبعض الرجال فعدوا بغلامين من سقاة قريش أمكن الرسول أن يتعرف منهما إلى حجم القوة المعادية، وكانت دورية أخرى قد انطلقت إلى ماء بدر لمعرفة موعد وصول تلك القوة إلى بدر، وبعد أن توافرت المعلومات ووضحت الصورة كاملة صدر الأمر بالتحرك لتكون الوثبة التالية إلى مياه بدر، واستقر جيش التوحيد بأبني مصادر المياه غير أن الحباب بن المنذر أشار بالتقدم لأقرب موارد المياه لجيش العدو، ولمس باقي الأبار حتى لا يظل على الساحة سوى مورد واحد بأيدي المسلمين يبنون عليه حوضاً يملؤونه فيشربون منه ويمنعونه عن عدوهم، وهو ما حدا بالرسول وهو القائد أن ينزل على رأي الحباب لما رأى فيه من تحقيق لمصلحة جيش المسلمين... حيث نهض ومن معه من الناس حتى إذا أتى أننى ماء من القوم نزل عليه وأمر بالأبار فتسدت وبني حوضاً على البئر الذي نزل عليه فملئ بالماء».

عسكرية قيادية:

اقترح سعد بن معاذ أن ينيي المسلمون مقراً للقيادة العامة استعداداً للطوارئ بحيث يكون مقراً ثابتاً يستطيع النبي القائد منه

فانضحوه بالنبل».

وهكذا تجلت عبقريته القيادية - بجوار رسالته العظمى التي هي الأساس ومصدر الإلهام والهداية - في قيادته لجنده، وتعبئته الحكيمة - وسدّه لمنافذ الخطر والهجوم، وتقديره الصحيح لقوة العدو وعدده ومواضع نزوله... على النحو الذي فصلته وقاضت به كتب السير والمغازي.

والنضى الجمعان:

نزات قريش بالجانب الغربي بالعدوة القصوى، وهي كثيب من الرمل مرتفع بعيد عن بدر، ونزل جند المسلمين بالعدوة الدنيا منها، ولما تراعى الجمعان إذا برسول الله يتوجه إلى الله طالباً النصر الذي وعده فيقول: «اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكُتّب رسولك».

وكانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من رمضان، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها التي يبلغ قوامها تسعمئة وخمسين رجلاً معهم سبعون فرساً والكثير مما يركبونه وينبؤونه لماكلهم... غير أنهم مع كثرة عددهم وعنتهم كانت تنقصهم العزيمة والإيمان بل والرغبة القاطعة في القتال، وما إن رأى المشركون المؤمنين بعين المتحسّس منهم هالهم حالهم فاسترهبوهم على قلتهم.

وبذلك فقد أرى الله المؤمنين المشركين قلة يستهان بها ولا يهولهم حالها، ولقد رأى الرسول ذلك في رؤياه الصائقة، ورأوهم كذلك رأي العين وهو قوله تعالى: إِنْ يُرِيدُكَ اللَّهُ فِي

نماك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتكم في الأمر ولكن الله سلّم إني عليم بذات الصدور * وَإِنْ يَرِيكُمْوَهُمْ إِذْ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (الأنفال/ ٤٣ - ٤٤).

دعاء وتضرع:

رُوي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: لما كان يوم بدر نزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه «ثلاثئة وتسعة عشر رجلاً» فاستقبل النبي القبلية ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجزني ما وعدتني، اللهم إني تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض».

فقد علم الرسول أنه لو وكل المسلمون لأنفسهم وقوتهم فالنتيجة معلومة واضحة، ولما رأى الكفتين غير متكافئتين كان لا مفر له من الاستغاثة بالله الذي لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه كي يرجع كفة القلة المؤمنة فأخذ يبتهل إلى الله بهذا الدعاء الذي تجلت فيه الثقة والسكينة والافتقار لنصر الله سبحانه. وما ذاك إلا ليعلم جند الحق يوماً أن يدينوا بأن القوة والحماسة ومعد الحرب كلّها وخططها جميعها مغلولة القوى، مسلوية القدرة، طائشة المرعى ما لم تكن مؤيدة بنصر الله وتوفيقه.

وبهذه العقيدة يقدمون على عنوهم مزودين بقوى كثيرة، فالسلاح - وإن قل - بأيديهم، والحماسة تملأ نفوسهم، والتدبير المحكم متوفر

الكافرين) (الأنفال/ ١٧، ١٨).

وكانت البداية بالمبارزة التمهيدية حيث أمر الرسول ثلاثة من نوي قرياه بالخروج للنزال فصرعوا مبارزينهم، وبدأ هجوم قريش حيث ثبت المسلمون التزاماً بـتعاليم الرسول وانضباطاً في السلوك وبالسيطرة على النفس والسلاح، وأخذ النبي يقاتل معهم ويشد من عزيمتهم وذلك في صفوف متراسة فاجؤوا بها عدوهم بأسلوب وتنظيم لم يألوه المشركون ولا باقي العرب من قبل، بما اعتانوه في الحرب من كروفر وهو ما زادهم إرهاقاً وتدهوراً وعجل بهزيمتهم وفرار من بقي منهم أمام جيش التوحيد الذي ظل يبدد ثلاثة أيام بعد المعركة أمام احتمال عودة الغلول الهاربة لهجوم مضاد.

وهكذا كانت الحال يوم بدر، عدد وعدة وكفة راجحة لمصلحة معسكر الشوك، وكذا كانت الحال دائماً في معارك الإسلام الأولى، وكان للمسلمين الغلبة والنصر بتأييد من الله سبحانه..

أما المواقع التي هُزم فيها المسلمون فكان القصد منها تأليب الفرور، واستخلاص العبرة، وتعليم المقاتل ألا يزمو بنصره ويتعالى بقوته، وينظر بمرآة الفرور بنشوة وخيلاء.

فما أحرانا اليوم أن نستفيد من بئر وبروسها في كيفية إدارة صراعنا مع أعدائنا، خاصة ونحن نواجه من التحديات أكثر وأخطر مما يمكن لأمة أن تقوى على مواجهتها والتغلب عليها.

في قياتهم، وفوق هذا وذاك فإن قلوبهم متيقنة أنهم إذا ما حققوا النصر فإنما هو ثمرة نصر الله وتأييده علاوة على ذلك.

السماء تستجيب للدعاء:

وظل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يبتهل إلى الله ويتضرع إليه أن ينجز ما وعد، وما زال يستغيث حتى استجاب الله سبحانه لتضرع عباده الصالحين فأنزلت السماء عليهم مطراً شديداً شرب منه المسلمون وتطهروا، وذهبت عنهم وساوس الشيطان أن أعداءهم قد يهزمونهم، وثبتت الرمال تحت أقدامهم فسهل عليهم السير إليهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أمدهم الله بجند من ملائكته أنزروا دعاة الحق، ويثوا الرب في قلوب أهل الباطل، فهزموهم بإذن الله وهم الأقل عدداً والأضعف عدة، وهو قوله تعالى:

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَتَطْمَئِنُّ بِهٖ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُفَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَيُرِيْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (الأنفال/ ٩: ١٢).

وقوله تعالى: [.. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ويؤيِّلِي المؤمنين منه بلاء حسناً إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ كِيدٌ

رمضان في الأدب السعودي المعاصر

للناس من ظلم قسباً .. وعداء
* ثم نجد الشاعر الكبير ينادي رمضان باسم
البائسين على أن لهم أملاً كبيراً فيه، حيث البؤساء
يبتغون الخير في هذا الشهر المبارك فيقول:

رمضان إن البائسين تطلعوا
أملاً اليك .. فجد على البؤساء
بالخير تشعلهم به وببسمه
يشتاقها العانون للتبساء
من ذا أحق بذاك منك وأنت في
عالي الذي متريح ببهاء
الله من مكث من الآله
فاشكره - بالنعمة - على الآلاء
فإذا نظرت من المشارف للورى
فرايت ثم اللهو في الأبهاء
* والشاعر المبدع حسين عرب حضور دائم لدى
مناسبة دينية أو وطنية، وأشهر الصيام عند حسين
عرب انطباع خاص ومبدع
في شعره، فنجده ينادي
شهر رمضان بقوله:

الشرق يرقب في هلاك طالعا
يعنوليه، الكفر والطغيان
ويك استهام فؤاد كل موحد
يسموبه الإخلاص والإيمان
* ثم يواصل شاعرنا الكبير في ابداعاته
الشعرية حيث ربط المناسبة الدينية وهي شهر
الصيام بمناسبة وطنية وهي القضية الفلسطينية
فيقول:

أشرق بنورك في الربوع، وكن لها
أملاً، يزول بلمحه العنوان
وانكر «فلسطين» النيحة، أرضها
مجلى الردى وسماؤها نيران

لشهر رمضان المبارك مركزه العظيم بين
المواسم الاسلامية التي يتجلى الله عز وجل فيها
على عباده بالرحمة والمغفرة والرضوان، ما أقبوا
عليه ولأنوا به وأنابوا اليه.

والقد تميز شهر رمضان من بين سائر شهور
العام بأنه شهر الفضائل التي يسبغها الله تعالى
على خلقه، ويغمر بها عباده، وأنه شهر الآلاء
الكبرى والآيادي البيضاء التي حبا الله بها البشر،
وأنعم بها عليهم.

ولو لم يكن من فضائل شهر رمضان سوى أنه
كان ظرفاً لنزول القرآن العظيم الذي شرف الله به
الخلق من حيث غدا أعظم منهج خاتم عرقته الدنيا
لكفى ..

القرآن الكريم الذي هو أقوم طريق علوي جمع
الله فيه أطراف الخير وجوهر الحق، وخلاصة ما
يتطلع اليه البشر في مجالات العقيدة والشريعة،
والخلق، والسلوك، والمبادئ والمثل.

ونجد الشعراء السعوديين يتناولون
الصيام وشهر رمضان ما بين
ترحيب بمقدمه وتويع له مع استقبال الفيد، هذا
فضلا عن تناولهم لأخلاقيات المسلم في هذا الشهر
المبارك وسلوكياته التي يجب ان يلتزم بها .
ففي قصيدة «رمضان» للشاعر الكبير محمد
حسن فقي يقول:

رمضان .. ما أرى ونورك غامر
قلبي فصبحي مشرق ومساى
أنال بعد مثالي ومساوى
بك منهما، بعد القنوط شفاى
ويأتني سئال منك حمايتي
وقايتي من مفضل الأرزاء
ما أنت إلا رحمة ومحبة

وهوى فى الأمــــــــــــــــراض
ينهشها ويقطع كالحمام
يا ليتك إذ صام صام
عن النائم والحرام
واسـتاك إذ يستاك عن
كـذب وزور والحرام

* ثم يختم الشاعر السنوسى أبياته هذه بأن
شهر رمضان نجوى مخلصه للمسلمين وقصة لبث
روح السلام بينهم فيقول:

رمضان نجوى مخلص
للمسلمين وللمسلم
تسموها الصلوات
والدعوات تضطرم اضطرام
لله جل جلاله
ذي البر واليمن الجسمام
أن يلهم الله الهداة
الرشد فى كل اعتزام

ورمضان بالنسبة للفرزوى فترة روحية يتصل
فيها العبد بربه ويتخلص من عبودية المادة.

ليت هذا العام كله شهر صوم
وخشوع وخشية واقتراب
تسامى الأرواح فيه انطلاقا
فى رضا المهيم من التواب
انما الصوم جنة وهو بره
من سقام وعصاة من عذاب
ينضج الخير ما أطل علينا
ويعيد الرشاد للأبواب
أصبح الناس صائمين وكل
كانت خاشع تقى منيب
ذاكر شاكر سميع مطيع
وبه خشية وفيه وجيب

فجر اليهود بها، وزاد فجورهم
مستعمر، بعهوده خوان
دارت عليها الدائرات فلصحت
يتساب فيها، البؤس والأحزان
شيخ تخضب بالدماء، ومصلح
ينفى، وحام للناماريهان
وفتى يعذب فى السجون، وغادة
تسبى، وطفل لعمه هتان

* أما الشاعر محمد بن على السنوسى رحمه
الله فقد تناول شهر رمضان فى شعره بإبداع
حيث تناول به أنه أمل النفوس الظامنة الى السلام
وأنه نور من الفرقان آياته تشفى السقام. . يقول:

رمضان يا أمل النفوس
الظامئات إلى السلام
يا شهر بل يا نهر ينهل
من عذوبته الأنام
طافت بك الأرواح سباحة
كسراب الحمام
ومنها:

سور من الفرقان يرفعها
إلى أسامي مقام
آياته تشفى السقام
واقظ يطفى الأوام
رمضان معصرة فلانا

لا وراء ولا أمام
* ثم نجد الشاعر محمد على السنوسى يتناول
حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القائل . .
ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما الصيام
عن اللغو والرقث . . الحديث . . يتناول هذا
حديث الشريف فى أبياته فيقول:

رمضان رب فم تمنع
عن شراب أو طعام
ظن الصيام عن الغذاء
هو الحقيقة فى الصيام

نهر الأمنيات

أشرق النور هلالاً من حنايا الداجيات
يحمل البشرى رجاء للنفس القانطات
فينير الروح صفواً كالدراري الزاهرات
يتجلي الحق فيه للقلوب الطاهرات
والمعاني فيه تسمو عن وضع الرغبات
والأمني في شذاها كالزهور اليانعات
رمضان شهر طهر وشعار الطيبات

أنت يا شوق الأماني للرياض الخالدات
أنت لي انسام عطر كالورود الناضرات
أنت لي نور يقيني من صنوف الموبقات
أنت لي مصباح فكر يرتقي للسابحات
يهتدي فيك انطلاقي للأمور المعجزات

فيك يحلو نكر أي وابتهاال في الصلاة
والتساييع اشتياق وعناق الصالحات
في ثنايا العشر يخفي كنز كل الأمنيات
ليلة القدر تجلى للقلوب الزاكيات
تنزل الأملاك والروح بانوار الهبات
من لدن رب كريم خالق للكائنات

أهلاً رمضان

رمضان شهرك بالأفضال متصل
فيك الثواب ، وعنك الشر مرتحل
من صامه ببقى ، جاء الخير ينهمل
إن في لياليك للديان يبتهل

فيك الملائك بالقرآن قد نزلوا
آياته لجميع الخلق تشتمل
بشرى لمن صامه ، بشرى لمن بذلوا
بشرى لمن من عطاء الله قد نهلوا

في ليلة القدر يأتي الخير والامل
وكانها ألف شهر كلها عمل
فيها السلام وفيها الامن لا الوجل
فالخير منطلق ، والشر معتقل



الصوم والصحة

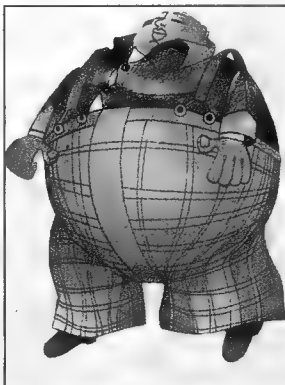
صوموا
تصحوا:

بقلم:
د. مهدي الدين
بغية
المدينة
المنورة

الفضيل بما فيه عدم
الأسراف في تناول
الطعام والشراب
والاقلال من وجود
أطباق الأغذية الغنية
بالسكريات والدهون
على مائدة الطعام والتعجيل بالفطر
وتأخير السحور.
في حالة عدم تحمل سكر الجلوكوز:

اهتمت الديانات السماوية بشؤون
حياة الانسان واختص الإسلام
بالشمول فطلب ما يستحق أن يطلب
لما فيه الفائدة وأباح ما فيه عوناً له
على فعل ما فُرض عليه من واجبات
وليس في الدين الإسلامي ما يمكن
القول ليت أنه لم يطلب هذا أو لم يتنه
عن هذا أو لم يحل هذا، وفرض صوم
شهر رمضان كأحد الأركان الخمسة

للإسلام، والصيام
نظام حياتي
يمارسه المسلم في
رمضان يجب
التزامه بأدابه
لتحقيق المنفعة
المرجوة منه روحياً
ونفسياً وصحياً
وتقليد سلوك
المسلمين الأوائل
في هذا الشهر

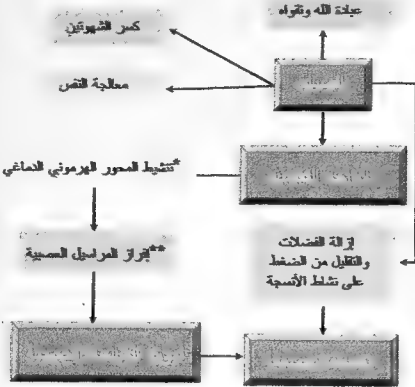


اصطاح الأطباء
تسمية ارتفاع مستوى
السكر في الدم بين
٦ و ١٠ و ١٠٠ ميلي
جزيين/ليتر أو بين
(١٢١ و ١٨٠ ملجم/
١٠٠ ملليتر) بعد
امتناع عن الطعام
خلال الليل، وبين ٧ و ١١
ميلي جزيين/ ليتر
أو بين (١٤٠ و ١٩٨
ملجم/ ١٠٠ ملليتر)

بعد ساعتين من تناول الطعام بحالة عدم تحمل سكر الجلوكوز وينتشر حدوثها بين الأشخاص زائدي الوزن وتحسن هذه الحالة باتباع حمية غذائية قليلة السعرات الحرارية وخلال ساعات الصوم وقد يختفي عندما يتخلص المريض من وزنه الزائد، لكنها تسوء في رمضان عند اسراف المريض في تناول أصناف الطعام وألوانه بين الافطار والسحور.

تأثيراته على الصفات الدوائية:

يعاني بعض مرضى القلب زيادة في قابلية الصفحات الدموية لديهم على التجمع والالتصاق ببعضها وتكوين الخثرات الدموية التي قد تسبب حدوث انسداد في أحد الشرايين الدموية الكبيرة في الجسم وظهور أعراض صحية خطيرة؛ ولقد أجرى فريق من الأطباء مؤلف من الدكتور محمود كردي وزملائه بقسم علم الوظائف - Physiol



ميكانيكية تقوية الصيام للجهاز المناعي في الجسم

Hypothalamic - pituitary - adrenal (HPA) axis
Serotonin, Noradrenaline, Acetylcholine, Dopamine etc.

ogy بكلية الطب جامعة الملك/ سعود دراسة حول تأثيرات صوم رمضان على سلوك الصفحات الدموية في ٢٣ متطوعاً صحيح الجسم، ويؤثر الاجهاد الذي يتعرض له جسم الانسان على وظيفة الصفحات الدموية في التجمع وانحلال الليفين ويسبب الصوم في الطقس الحار مع العمل الشاق خلاله حدوث حالة الاجهاد في

الجسم، واكتشف أولئك الباحثون انخفاضاً في استجابة المركب ثاني فوسفات الأدينوزين A D P بمقدار ٢ ميكروغرام/ ليتر وهرمون الأدرينالين ومركب الكولاجين وحمض أراشيدونيل للجمع أثناء شهر الصوم بالمقارنة مع الشهور الأخرى من السنة، وهذا يعني أن الاجهاد الذي يتعرض له الصائم في رمضان كما يظهره تجمع الصفحات الدموية يقل معدله عن ما عليه أثناء أيام الفطر وهذا يعني قلة فرص تكوين الخثرات الدموية في مرضى القلب الصائمين خلال شهر رمضان.

في علاج البدانة:

هناك اعتقاد شائع بين عامة الناس أن صوم شهر رمضان يفيد في انقاص وزن الجسم ويتحقق ذلك عند اتباع الصائم التعاليم الإسلامية في الصوم بما فيها الاعتدال في تناول الطعام والشراب والاكتفاء بوجبتين خفيفتين من الطعام عند الافطار والسحور والابتعاد عن تناول أطباق الحلويات والأغذية الأخرى التي توفر سعرات حرارية كثيرة وممارسة نشاط عضلي بشكل كاف لصرف جزء من الطاقة عوضاً عن تخزينها في أنسجة الجسم على شكل دهون، وحول تأثيرات صوم رمضان

على وزن جسم الانسان أجرى الدكتور حامد تكروري بقسم التغذية وعلوم الأغذية بكلية الزراعة في الجامعة الأردنية في عمان دراسته على ١٣٧ شخصاً بالغا (٩١ ذكراً و٤٦ أنثى) تراوحت أعمارهم بين ١٩ و٥٩ سنة، نشرتها المجلة الطبية السعودية في ١٩٨٩م اكتشف فيها حدوث نقص في أوزانهم في نهاية شهر رمضان، ولاحظ أن هذا النقص بين زائدي الوزن كان أكبر في النصف الأول من شهر رمضان عنه في النصف الثاني منه، وبلا شك فإن هذه النتائج خاصة بأشخاص لهم عاداتهم الغذائية الخاصة في شهر الصوم، ويختلف ذلك عما يحدث لآخرين في بلد إسلامي آخر يحولون معظم نهارهم في رمضان إلى نوم وكسل ويسهرون خلال ليلائه وتكون موائد طعامهم عامرة بما لذ وطاب ومفتوحة بين غروب الشمس والسحور.

حمية غذائية قليلة السعرات (مقترحة):

- * وجبة افطار رمضان:
- ٥ حبات من البلح أو التمر
- ربع دجاجة أو ١٥٠ جم من اللحم بدون عظم أو سمك.
- صحن خضروات سلطة (خيار - خس - بندورة).

يَسْتَطِيعُ قَلْبُهُ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» - أي وقاية من المعاصي.

وهناك حاجة لإجراء دراسات علمية حول تأثيرات الصوم على مستويات الهرمونات في الجسم لاكتشاف دورها في سلوك المسلم خلال شهر رمضان.

فوائده النفسية:

لقد فرض الله تعالى الصوم وفيه يمسك المسلم عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طاعة وامتنالاً لأمره وطمعاً في نيل الأجر والثواب في دار الآخرة، وفي ذلك اطمئنان للقلوب وراحته لوعده الله عز وجل، وهناك أحاديث عديدة تذكر فضل الصيام، فروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال الله عز وجل {كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة}، وقال أبو عبيد: إنما خص الله تبارك وتعالى الصوم بأنه له وهو يجزي به وإن كانت أعمال البر كلها له وهو يجزي بها لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا بفعل فتكتبه الحفظة إنما هو نية في القلب وأمساك عن حركة المطعم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفاً» رواه الجماعة إلا أبو داود.

التهاب المفاصل الروماتيزمي:

أجرى فريق من الأطباء النرويجيين تجاربهم العلمية حول فوائد الصوم في علاج مرضى التهاب المفاصل الروماتيزمي ودرسوا تأثيرات امتناعهم عن الطعام بين ٧ و ١٠ أيام وتناولهم بعد ذلك أغذية نباتية فترة سنة، فلاحظوا حدوث تحسن ملحوظ في الحالات المرضية التالية ضعف المفاصل، وانتفاخ المفاصل، والشكوى من الألم، والشعور بخشونة في المفاصل صباحاً وضعف قوة المسك باليدين ومعدل الترسيب في الدم وعدد كريات الدم البيضاء للمرضى وتفيد هذه الدراسة في فتح المجال أمام علماء المسلمين لدراسة تأثيرات صوم رمضان على مرضى التهاب المفاصل الروماتيزمي.

تخفيف الرغبة الجنسية:

يفيد الصوم في تقوية ارادة المسلم على مجاهدة نفسه والابتعاد عن اتیان المعاصي والتفكير بها، ويساهم شعور الصائم بالوهن والضعف في جسمه أثناء ساعات النهار في تخفيف حدة رغبته الجنسية وينصرف جل هممه إلى اشباع غريزتي الجوع والعطش لديه، وجاء في صحيح البخاري قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) {يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم

أمراض تضاد الصيام:

(الملاريا) والكوليرا والدوسنتاريا.

* عند حدوث أمراض تزداد شدتها نتيجة الصوم مثل حالات فقر الدم الشديد وبسوء التغذية.

نصائح:

يمكن تحقيق الفائدة المرجوة من الصوم عند الالتزام بأدابه التي تشمل ما نكره بعض السلف مثل:
- التعجيل بالافطار عند غروب

الشمس.

- أن يوفر طعام الإفطار احتياجات الجسم من العناصر الغذائية الضرورية بعد ساعات الصوم.

- تأخير السحور وتناول طعام فيه يوفر طاقة كافية لخلايا الجسم والكبد لاستخدامها خلال ساعات النهار.

- الاقلال من تناول الطويات والأغذية الدسمة لما توفره من سعرات حرارية كثيرة قد تسبب له التخمة وعسر الهضم.

- الابتعاد عن تناول الأغذية الملحة كالمخللات اثناء وجبة السحور خاصة لأنها تزيد الشعور بالعطش خلال ساعات الصوم.

اكتشف الأطباء وجود حالات مرضية تضاد الصيام أهمها:

* عند دخول المريض المستشفى لعلاج الصالات الحادة لعلل صحية ألت به، مثل القرحة المعدية والمغص الكلوي أو المعوي وداء النقرس والذبحة الصدرية واحتشاء العضلة القلبية.

* في المراحل المتقدمة لمرض الكبد مثل التليف الكبدي المصحوب بالحين ASCITES * مرضى السكر عند عدم نجاحهم في ضبط مستوى سكر الدم قريباً من حدوده الطبيعية.

* عند اجراء عملية جراحية للمريض.
* عند تعاطي المريض أدوية بشكل منتظم وعدم توفر ما يؤخذ منها عن طريق الحقن بالعضل أو تحت الجلد مثل مضادات تخثر الدم وموسعات الأوعية الدموية.

* عند الإصابة بالسرطان.
* في المرضى الذين يعانون من حالات فرط افراز هرمون الأنسولين ونتيجة أورام في البنكرياس أو تناول أدوية معينة.
* في حالات انخفاض سكر الدم التفاعلي.
* عند الإصابة بأمراض مثل البرداء

الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد} (رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي).

* وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله

{صلى الله عليه

وسلم}: {ما من

عبد يصوم يوما

في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا} (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: {من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه} (رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي، وابن ماجه مختصراً).

* وعن سلمان رضي الله عنه قال:

{خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في آخر يوم من شعبان قال: يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيامه ليلة تطوعاً، من

* روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: {الأعمال عند الله عز وجل سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل

بسبعمائة،

وعمل لا يعلم

ثواب عامله

إلا الله عز وجل، فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار، ومن عمل سيئة جُزي بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جُزي مثلها، ومن عمل حسنة جُزي عشرة، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته: الدرهم بسبعمائة، والدينار بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل} (رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي).

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: {إن في

بشرى للصائمين

باختصار عنهما).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: [إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين] (رواه البخاري ومسلم).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يصوم الإثنين والخميس، ف قيل: يارسول الله إنك تصوم الإثنين والخميس، فقال إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا مهتجرين يقول: دعمهما حتى يصطلحا (رواه ابن ماجه، ورواته ثقات).

* عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [عن صوم يوم عرفة قال: يُكْفَرُ السَّنَةُ الماضية والباقية] (رواه مسلم).

* عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: [يكفر السنة الماضية] (رواه مسلم).

[رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] (سورة البقرة/ ٢٠١)

[رَبَّنَا آمِنًا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] (سورة المؤمنون/ ١٠٩)

تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزَادُ في رِزْقِ المؤمن فيه، من فَطَّرَ فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن يُنْقَصَ من أجره شيء. قالوا يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يَظِرُّ الصائم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يُعْطِي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر، أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوَّلُه رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاء الله من حوضي شربة لا يظلم حتى يدخل الجنة (رواه ابن خزيمة في صحيحه، ثم قال صح الخبر، ورواه من طريق البيهقي، ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب

للشاعر:
يس تطلب الفجل
- مصر -

رمضان .. بالحب تأتي

بالحب تأتي، وبالإيمان تألق
وبالهـداية فوق الأرض تنطلق
تأتي .. فتوقظ من ضلت مشاعرهم
ومن تردوا، وفي آثامهم غرقوا
تدعو إلى الله في صمت، تحيط به
سكينة ، من زوايا النفس تنبشث
في كل عام - إذا ما جئت - تحملنا
إلى السماوات آمال ، بها نثق
وحين ترحل عنا .. والفراق لظى
نظل عامسا بنار الشوق نحترق
نظل ننتظر اللقيى ، على أمل
أن لا تحيد بنا عن غاية طرق

شهر الصيام .. على الإيمان تجمعنا
فلا يطيش بنا في لحظة نزق
ننوا من الله شهرا ، ليس يعدله
في العام شهر ، لمن في صومهم صلوا

ونستحي من خطايانا وقد كثرت
ويستببد بنا في ليلنا أرق
ونطرق الباب ، تستجدي مشاعرنا
من يستجيب ، لمن أبوابه طرقوا
ونحن في كل ما ننتيه ، يؤلنا
أنا على الشوق يوما سوف نفترق

شهر الصيام .. وهذي أمة جمحت
والثوب من حولها عاثت به فرق
والخوف والجوع والإملاق أرقها
والناصحون لها مما رأوا صُعقوا
شهر الصيام .. تعالى الله خالقنا
ما شاء كان ، وحر الحائق اللبق
فانقل إلى الملأ الأعلى توجعنا
لأمة لم يعد في رشدها رmq
وكن لنا سندا فوق الصراط غدا
إذا تمايل ساق .. والتوت عنق
وعد كما أنت نبراسا يضيء لنا
وكن إلى النور بابا ليس ينغلق

السواك .. مظهرة للدم مرضاة للرب!

السواك .. في معامل البحث

الاعتراف بقيمته الصحية وتفوقه، بل لعلي أعهده من أرقى وسائل تنظيف الأسنان ..
وما هي تجاربي تؤكد على احتوائه على مركبات قاتلة للميكروبات تشابه في تأثيرها فعل البنسلين».

ونقرأ لغير العالم الألماني، أنهم في جامعة منيسوتا الأمريكية أجروا دراسة مسحية للتعرف على الوضع الصحي لأفواه مجموعة كبيرة من الزنوج المسلمين، ظهر منها أن هؤلاء الذين يستعملون السواك سليمو الأسنان واللثة مقارنة بمن يستعملون الفرشاة

بقلم:

د. فوزي عبد القادر الفيثاوي

كلية الزراعة - جامعة أسيوط - مصر -

والمعجون.

شاهد آخر (من أهلها) هو الباحث الطبي «كينيث كيويديل»، يقف أمام المؤتمر الثاني والخمسين للجمعية الدولية لأبحاث الأسنان، في أتلانتا الأمريكية، معلناً: «إن عديداً من التجارب العلمية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك، وجود مادة تمنع تسوس الأسنان ضمن مكونات السواك، كما تؤكد الدراسات المسحية تمتع مستعمل السواك بأسنان صحية قوية،

الباحث الألماني «رودات» مدير معهد الميكروبيولوجيا والأوبئة بجامعة «روستوك» الألمانية تجربة مثيرة يحدثنا عنها فيقول: «قرأت ذات مرة كتاباً لرحالة أوروبي يصف أسفاره ومشاهداته في بعض البلدان العربية والإسلامية، وقد استلقت نظري سحرته اللاذعة من أهل هذه البلاد الذين ينظفون أسنانهم - في القرن العشرين -

بقطعة من الخشب يسمونها (السواك Siwak) ..

وعلى خلاف ما يوحي به أسلوبه الساخر الجارح، فقد قفز في ذهني فجأة

سؤال جاد وحيوي: ترى أليكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية باهرة؟ لشد ما أتمنى إجراء بحوث علمية ودراسات على فرشاة الأسنان العربية تلك!! واحسن الحظ، لم يمض وقت طويل حتى تحقق ما تمنيت، إذ قُيِّمَت لي الفرصة كي أفحص السواك وأخضعه لسلسلة من تجاربي الكيميائية والميكروبيولوجية .. واليوم لا يسعني إلا

قليلة - ما بين علل الأفواه، وعلل الأبدان من صلات قوية لا ريبه فيها . ألم يكشفوا النقاب مؤخراً عن مخاطر البؤر الصديدية العفنة بالأفواه المعتلة، حينما تتساق ميكروباتها وسمومها - عبر تيار الدم - إلى سائر أعضاء البدن فتصيبها في الصميم؟ هذا كله صحيح، فهم كثيراً ما يحدّثونا عن آثار تلك البؤر وهي تمتد بخطرهما إلى العيون والجيوب الأنفية، ويذكرون أيضاً أنها قد تسبب التهابات في الأغشية المخاطية المبطنة للمعدة، أو ينشأ عنها التهاب في القولون والزائدة الدودية، وربما تفرح بسببها الاثنى عشرى، أو التهاب المرارة والرئتان والكلبتان، وكذلك يصاب الجلد . واذ يستفحل ضررها تعتل مفاصل البدن ويكون من وراء ذلك ألم شديد .

وقصارى القول، فإن الضريبة التي تفرضها علل الفم والأسنان على سائر أعضاء البدن تكون باهظة في كثير من الأحيان . واذن فلم يكن غريباً على دين يعد المؤمن القوي (في كل أحواله) هو الأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، أن يوجه بعض عنايته إلى سلامة وصحة أفواه المسلمين، ضماناً لسلامة أبدانهم وحفظاً لعافيتهم .

وهكذا وجدنا في الاسلام، فضلاً عن المضمضة اللازمة لغسل الغشاء المخاطي للحلق والزور، وهي التي تعتبر جزءاً من الوضوء الذي يسبق الصلوات الخمس اليومية، رأينا النبي (صلى الله عليه وسلم) يحض

مما شجع العديد من شركات الأدوية والمستحضرات الطبية، على انتاج معاجين جديدة للأسنان مزودة بخلاصة السواك الطبيعية تلك شهادات بعض الباحثين من أهل الاختصاص . . ولا تزال شهادات أخرى كثيرة تتوالى . . ولا تزال معجزة السواك - في قلب معاملي البحث - تتفجراً .

معجزة السواك . .

هدية الاسلام إلى الناس :

الاسلام ، كما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، دين ودنيا، ثم هو عطاء حضارى متجدد، سبق زمانه بعدة قرون . . فهو في كل عصر يومض في العقل البشرى ومضات مضيئة هادية، تبهر ألباب الأبعدين والأقربين وتتلج صدور المؤمنين . . وما نحن اليوم في حضرة احدى هذه الومضات المعجزة . . أجل، فالسواك - وهو هدية الاسلام الصحية إلى الناس - هو بلا ريب معجزة صحية شاء المولى عز وجل أن تتفجر بعد ألف وأربعمئة عام من حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وهذا حق، ففي معرض حرص الاسلام على صحة الأبدان، لفت الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنظار المسلمين - على نحو غير مسبوق - إلى العناية بنظافة الفم والأسنان، في عشرات الأحاديث الشريفة . وهو أمر مازال يثير دهشة وعجب أطباء الأسنان والباحثين من أهل الاختصاص، وهم الذين عرفوا - منذ سنوات

المسلمين على استعمال السواك في تنظيف الأسنان وإزالة ما يعلوها، أو يتخللها من فضلات الطعام التي تؤدي عند تحللها وتعفنها لكثير من العلل والأدواء. وسوف يلحظ الناظر في عشرات الأحاديث النبوية إحاطة واسعة بأمر صحي بشكل دقيق ومعجز، في حقبة من الزمان لم تكن المعارف الطبية المتداولة قد عرفت أو سمعت به.

السواك .. سنة وبركة وخير:

ربما لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن السواك لم يكن ليفارق النبي (صلى الله عليه وسلم) في كل أحواله... في غدوه ورواحه... في يقظته ومنامه... وفي ليله ونهاره... وعلى ذلك كان أصحابه (صلى الله عليه وسلم)، حتى أنهم كانوا يروحون والسواك على آذانهم... وفي ذلك يقول أبو سلمة: «رأيت زيدا يجلس في المسجد وإن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، وكلما قام إلى الصلاة استاك» (نصيب الراية للإمام الزيلعي).

وها هو أبو هريرة رضي الله عنه - وقد وعى توجيه النبي وحته الدائم على الاستياك - يقول: «لقد كنت أستاك قبل أن أنام وبعدما أستيقظ وقبل ما أكل وبعدما أكل حين سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ما قال...»

والآن، ماذا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عن فضائل السواك ومكرماته؟

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «تسوكوا

فان السواك مطهرة للغم مرضاة للرب» (رواه البخاري). وتقول أيضا (رضي الله عنها): «ما زال النبي (صلى الله عليه وسلم) يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه قرآن» (الامام الطبراني في الكبير). وجاء في صحيح مسلم، عنها (رضي الله عنها): «أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك». وأخرج الطبراني في معجمه، عن زيد ابن خالد الجهني قال: «ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخرج من بيته لشيء من الصلوات حتى يستاك». وعن عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مالا أحصى يستاك وهو صائم» (رواه أصحاب السنن وابن خزيمة). وأخرج البخاري عن أنس بن مالك، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لقد أكثرت عليكم في السواك» وعن ابن عباس «أنه صلى الله عليه وسلم كان يستاك من الليل مرارا» (رواه الامام أحمد).

وأخرج الامام أحمد في مسنده، عن ابن عباس قال: «لم يزل يأمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء». وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك» (رواه الامام النسائي وابن ماجه والحاكم وصححه على شرطهما). وعن أبي أمامة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «تسوكوا فان السواك مطهرة للغم مرضاة للرب، ما جاعى

ويرضى الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات.

ولا ريب أن ذلك كله، انما يدعوننا أن نسأل أهل العلم والباحثين من رجال الاختصاص عن ذلك السر الخفي، الذي أودعه الله في بنية السواك وتركيبه، فاستحق به ما ذكرنا من تكريم عطر وثنا... أجل فلنسألهم... أياكون السر حقاً فيما عرفتموه عنه من روعة البناء، وما يحويه من نافع مركبات الكيمياء؟

في معامل البحث: السواك تحت المجهر:

إن أول ما يضربنا به رجال العلم عن السواك، هو أنه يجلب عادة من شجرة خاصة تنتمي للفصيلة السلفانورية، تعرف بالآراك، اسمها العلمى (سلفانورا برسيكا)، وهذا بعينه هو سواك النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي يحدثنا عنه ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: «كنت أختبئ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) سواكاً من آراك». وكذلك يقول أبو خيرة الصباحي: «كنت في الوفد فرؤدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بآراك وقال استاكوا بهذا».

ونعود نسأل العلماء عن شجرة الآراك: ما صفتها؟ ونعرف أنها: مما يكثر في الأودية الصحراوية ويقل في الجبال، أما الأجواء الحارة والاستوائية فهي مناخ نموها الأمثل، ولذا توجد في مناطق عديدة بالملكة العربية السعودية مثل عسير وأبها وجيزان، وكذلك توجد في السودان واليمن وإيران وشرق الهند

جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي ولولا أني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته عليهم، وإنني لأستاك حتى خشيت أن أحفي مقادير فيمي» (رواه ابن ماجه). وعن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والامام أحمد). وقد روى ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء عند كل صلاة». ويعلق الفقهاء على ذلك، بأن المنفي إنما هو فرضية الاستياك خوف المشقة، ثم هم يجمعون على سنته عند كل صلاة. وحول هذا المعنى يقول الامام ابن قدامة في كتابه (المغنى في الفقه): «واتفق أهل العلم على أنه سنة مؤكدة لحث النبي (صلى الله عليه وسلم) ومواظبته عليه وترغيبه فيه ونديه اليه وتسميته اياه من الفطرة». وفي معرض الحديث عن السواك ومآثره، نقرأ في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) للامام ابن القيم «أن السواك يطلق اللسان، ويمنع الحفر، ويطيب النكهة، وينقي الدماغ، ويشهى الطعام، ويطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويصنع المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجازي الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرده النوم،

خشبي . وكما يبدو، فهما يشكلان الجزء الخارجي الواقى، الذى يحمى بداخله طبقة الألياف الداخلية حيث روعة البناء . فالألياف هنا مرتبة بنظام دقيق فى حزم متراسة الى جوار بعضها البعض، وفى كل حزمة تتراص عشرات الليفات الدقيقة، ليصنع الجميع أروع فرشاة أسنان بشهادة أهل الاختصاص . هل تصدق؟ مازال خبراء صناعة فرشاة الأسنان - حتى اليوم - يحاولون تقليد السواك كفرشاة، ويسعون بهمة للإفادة من خصائص أليافه السيليولوزية المدهشة فى صناعة شعيرات الفرشاة!

سائل يسأل عن العلة، ونقول بأن الروعة الحقيقية فى بناء الألياف تكمن فى صفتين اثنتين لا نظير لهما، وهما: قوة البناء، ومرونته فى نفس الوقت . فالألياف على درجة من القوة تكفى لتنظيف الأسنان وإزالة ما يلتصق بسطوحها من طلع جرثومية، بغير أن تؤذى اللثة أو تدميها . هذه واحدة، والثانية أنها على قدر من المرونة يكفى للولوج بسهولة بين الأسنان وفى الثغرات، بغير أن تتعرض للتقصف والتكسير .

وصفوة القول، ان السواك يعد - من وجهة النظر البنائية - أفضل منظف ميكانيكى، وليس أفعل لصحة اللثة والأسنان والأفواه من منظف ميكانيكى كفاء كالسواك . هكذا يقول باحثو

وفى بعض نواحي مصر كالوجه القبلى وشبه جزيرة سيناء . والأراك شجرات جميلة دائمة الخضرة طول العام، قصيرة من حيث الطول ولا يزيد قطر جذعها عن قدم واحد، وأوراقها مغزلية، أما أوراقها فلامع سطحها، وهى تخرج زهراً أصفر اللون مشرباً بخضرة محببة . ومن الزهر يخرج ثمر يؤكل، وهو بحجم حبات الحمص .

لنلحظ وصف للأراك، فماذا عن السواك؟ إنه يؤخذ عادة من جنور الشجرة وهى بنت عامين أو ثلاث، وقد يؤخذ من أغصانها أيضاً، وإذا ذاك يكون جافاً وربما أخضر يتميز برائحة طيبة وطعم مميز، ولكن لا بد من تجفيفه، ثم يحفظ فى مكان جاف لا تصله الرطوبة، إلى أن يجهز للإستعمال الشخصى . ويلزم عند تجهيزه نقع طرفه فى الماء بعض الوقت، ثم يدق حتى تسقط قشرته الخارجية وتتباعد أليافه، فيبدو عندئذ كئنه فرشاة . . وإن شئت الدقة قل: إنه أفضل وأكمل فرشاة عرفها الانسان . وهو قول لا نسوقه جزافاً، بل هكذا أثبت العلماء، وقيمون الدليل على صحته من تحت المجهر، حينما يفحصون قطاعاً عرضياً منه .

ها هو السواك يبدو أمام الفاحصين، وكأن الله قد هدأ على أكمل وجه وأحسنه لتنظيف وحماية الأفواه والأسنان . ففى القطاع المعروض، يلحظ الرأى ثلاث طبقات متعاقبة: واحدة من نسيج فلينى، وأخرى من نسيج

واعتواً مكونة لطعاً جرثومية Bacterial Plaque تبدو على هيئة طبقة طرية لزجة يميل لونها الى البياض، وأحياناً تبدو بلا لون، وهي تحتضن عدداً هائلاً من البكتيريا، يقدر بنحو ٢ مليون خلية في كل مليجرام (المليجرام يمثل جزءاً من ١٠٠٠ جزء من الجرام) - ان لم يبدأ الخطر الحقيقي يزحف على الأسنان. فثمة سلالات من بكتيريا البلاك من أمثال: Strep-tococci & Lactobacillus & Actinomyces لا تزال سادرة في غيها حتى تنخر بعض الأسنان. وهي مهمة ليست سهلة بطبيعة الحال، اذ تقتضي في البداية اطلاق انزيمات خاصة على بقايا السكريات، لتحويلها الى سكريات أبسط كالجلوكوز، الذي لا تزال محلة اياه، حتى ينتج عنه جملة من الأحماض العضوية كاللاكتيك والبيروفيك والخليك والبروبيونيك. ولا يخفى ما لهذه الأحماض من قدرة على اذابة وتحليل الجزء الصلب الملاصق لها من ميناء الضرس، محدثة ما يسمونه «فجوة تسويس الحامض»، عندها يبدأ سطح الضرس في التآكل، ممهداً لدخول موجات جديدة من البكتيريا إلى أعماق أبعد وأبعد حتى يصل الهدم إلى غايته فيموت الضرس بموت خلاياه الحية، ويتكون «خراج» عند جنوره.

الآن، صدق من قال: «لا تسويس بدون البلاك» أو بشكل آخر «لا وقاية ضد التسويس بدون ازالة البلاك» ولكن من يزيل البلاك؟ دعنا

أمسراض الفم والأسنان، وهكذا تدل عليه بحوثهم.

خطر الأفواه يدعى (البلاك):

بعد سنوات طويلة قضاهها باحثو أمراض الفم والأسنان، سعياً وراء علة الأفواه، خرجوا من بحثهم بثلاث عبارات ذهبية نسوقها:

١ - لا تسويس يصيب الأسنان في غيبة البلاك.

٢ - لا التهابات تطال اللثة في غيبة البلاك.

٣ - لا صحة للأسنان واللثة والأفواه بغير ازالة البلاك.

ولكن ما هو البلاك؟ وفيه خطره؟ ومن يقدر على ازالته؟ وماذا عن السواك والبلاك؟ أسئلة عديدة تحتاج لمن يجيب عنها، ولكن لا بد أن نعلم أولاً أن في فمي وفمك أعداداً هائلة من البكتيريا عدها البعض قبلت زهاء ٥٠٠ مليوناً من الخلايا في كل سنتيمتر مكعب من اللعاب. واللعب - كما تعرف وأعرف - هو ذلك السائل الذي تسبح فيه الأسنان دوماً، بحيث تكسو كل سن منها طبقة رقيقة منه، على أن المهم، أن بكتيريا الفم ليست أبداً ساكنة هادئة، بل هي وافرة النشاط لا سيما في وجود بقايا من مواد سكرية بين الأسنان، اذ تشرع على الفور في استغلالها لإنتاج جزئيات طويلة من سادة جيلاتينية، تلتصق بقوة على سطوح الأسنان. وكما تتوقع تماماً فإن ملايين البكتيريا سوف تستمر في العيش في كنف تلك الطبقة الجيلاتينية، حيث تزداد نمواً وتكاثراً

بكتيريا الصديد مع سموها إلى بقية أجزاء الجسم - عبر تيار الدم - على النحو الذي أسلفنا - يا لها من نهاية مخزنة، ما كانت لتحدث بإزالة وافية للبلاك... أليس كذلك؟ معك كل الحق، ولكن أما أن نعرف شيئاً عما يزيل البلاك؟

السواك في وجه البلاك:

الباحث الطبي الألماني «فريدريك فيستر» باحث أصيل ومثابر، أنفق من عمره سنوات قبل أن يجيب عن سؤالنا الأنف. وما هو ذا يقول: «لا حل لمعضلة البلاك بغير التنظيف الميكانيكي للأسنان مرات عديدة في اليوم... ذلكم هو السبيل الأمثل لصحة الفم والأسنان...» ثم يضيف مفجراً قنبلة علمية غير متوقعة: «أننى شخصياً - طوال السنوات السبع الأخيرة - لم أستعمل في تنظيف أسناني غير فرشاة الأسنان وحدها، وبدون معجون... وأستطيع أن أؤكد بكل ثقة على أن لثنى وأسنانى لم تكن في يوم من الأيام بأفضل مما هي عليه اليوم... فلا التهابات في اللثة، ولا نخر في الأسنان».

حقاً؟ فرشاة أسنان عادية (مسكينة) تفعل كل هذا! ترى ماذا يمكن أن تفعله فرشاة الأسنان (المثالية) المعروفة بالسواك؟ إن الأمر سيغدو مبهرأ لا شك في هذا... ولكن يبدو أن ثمة مفاجأة أكبر تنتظرنا حينما ننظر بعرق يتزايد بإطراد في مقولة البروفيسور فيستر بشأن «التنظيف الميكانيكي للأسنان مرات

نؤجل الإجابة حتى ننظر في القاعدة الذهبية الثانية القائلة: «لا التهابات لثوية بدون البلاك...» حقاً؟ ولكن ما معنى هذا؟ القول الحق، أن طبقة البلاك الرخوة - إن هي أهملت - لا تلبث أن تتصلب قليلاً في غضون ١٢ - ٢٤ ساعة، بحيث تغدو عسوية على فرشاة الأسنان. ويدهي أن تزيد صلابة مع توالي الأيام، ومع استمرار الإهمال، لتصبح على هيئة «رواسب جيرية» قوية. وهذه لا تزال تتآزر (بل تتآمر) مع فضلات الطعام التي تنتشر هنا وهناك على سطح الأسنان، حتى تفرخ المؤامرة التهاباً بسيطاً في اللثة. إنه بسيط حقاً، ولكن اعطه زمناً ومزيداً من الإهمال، وستجد المفاجأة، إذ يتغلغل شيئاً فثيناً في خيوط النسيج الرقيق الذي يثبت الأسنان في مواقعها، والذي يربط جذور الأسنان بعضهم الفك المحيط بها، ومن ثم يزداد التهاب ضراوة، مما ينذر بتآكل شديد يصيب العظام. لقد تمت فصول المؤامرة على أكمل وجه، وعما قليل تتكون بؤرة صديدية عفنة فيما بين جذور الأسنان والعظام، لا تزال تمتليء بخلط من صديد ممتزج بخلايا ميتة وكتانات دقيقة وفضلات طعام، حتى يصاب المرء «بالبيوريا» ويصبح معرضاً لفقد أسنانه. وحتى قبل السقوط الحتمي، يظل الجسم معرضاً للأخطار... فالصديد العفن يتحلب في فمه ليل نهار، ومن الفم يسير قدماً إلى بقية جهازه الهضمي فيمرضه، وكثيراً ما يتسرب

وعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان لا يستيقظ من ليل أو نهار إلا تسوك قبل أن يتوضأ» (رواه أحمد وأبو داود). أبعد هذا ما يقال؟ معذرة، إن الحديث لا يزال في مطلع، فبعد وقفنا أمام روعة البناء، ندلف إلى المختبر نسأل عن تركيب السواك، وما يحويه من نافع مركبات الكيمياء.

فرشاة طبيعية

ذات قوة تنظيف ثلاثية:

قليلون هم الذين يعرفون أن السواك هو فرشاة الأسنان الوحيدة ذات قوة التنظيف الثلاثية: ميكانيكية، وكيميائية، وحيوية، فالسواك - من الوجهة الميكانيكية - يفيد في طرح بقايا الطعام الكامنة بين الأسنان، كما يزيل عن سطوحها الأوساخ والصبغات واللطم الجرثومية. ويتفق هذا - كما ذكرنا - مع طبيعة أليافه السيلولوزية من حيث القوة والمرونة. بقي أن نعرف شيئاً عن خواصه الكيميائية، وهي كثيرة ومبهرة، منها أن بالسواك نسبة حسنة من الفلورايد، وهو عنصر حيوي يمنح ميناء الأسنان صلابة ومقاومة ضد التأثير الحامضي للتسوس. ومما يستطاب ذكره، أن باحثاً في جامعة جراتز النمساوية، كان أول من كشف هذه الحقيقة، إذ لاحظ عند تحطيمه لمادة البازلت الصلبة، أن الفلورايد هو العنصر الوحيد الذي تتفرد به عن بقية المواد الأخرى الأقل صلابة. وهكذا تولدت في ذهنه نظرية جديدة تقول بإمكانية تقوية الأسنان بواسطة الفلورايد. ولم

عديدة في اليوم» ثم نتمعن النظر فيما أوصانا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإذن لا يسع المرء إلا أن يغرق في تأمله خائراً واجماً... ألم يوصنا عليه الصلاة والسلام باستعمال السواك (وهو أكفأ أداة للتنظيف الميكانيكي) مرات عديدة أقلها خمس مرات في اليوم، كما في الحديث المشهور «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». ولنلاحظ النظرة العلمية الشاملة في الحديث، لا سيما وقد دلت دراسات الباحثين على إمكانية حدوث تراكم للبكتيريا بعد وقت قصير من عملية تنظيف الأسنان. وهكذا كانت الوصية بالإستياك مرات عديدة في اليوم بغية التخلص أولاً بأول من اللطم الجرثومية المترسبة على الأسنان، وإزالة طبقة البلاك وهي لم تزل بعد بكرة لم تنضج فتزداد التصاقاً وعتواً على أنسجة الفم الرخوة والصلبة على حد سواء.

شيء آخر لا بد من ذكره، فالباحثون يرون في ركود اللعاب - كما يحدث عند النوم - تنشيطاً لعملية ترسيب اللطم الجرثومية. وربما يفسر ذلك ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من أنه كان أشد حرصاً على السواك كلما قام من الليل، ففي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك». وعن عمران عن النبي (صلى الله عليه وسلم) «أنه كان لا ينام إلا والسواك عنده فإذا استيقظ بدأ بالسواك» (رواه أحمد وأبو داود).

اللازمة من الفلورايد هي ٠.٢٥ ملليجرام للأطفال حتى سن عامين، ٠.٥ ملليجرام للأطفال في عمر ٢-٣ سنوات، واحد ملليجرام فيما يزيد على ٣ سنوات حتى سن البلوغ. ومعنى ذلك أن قدرة الفلورايد على حفظ الأسنان لا تقف تماماً بعد اكتمال نموها، بل تستمر ولكن من خلال تشجيعه إعادة معدنة التهاك المجهرى قبل الوصول الى مرحلة التاكل وحدث النخر.

عود الى المختبر:

وغير الفلورايد يوجد في السواك بللورات صلبة من مادة السيليس، تبلغ نسبتها ٤٪، وهى احدى المواد الزالقة ذات الفعل التنظيفي، حيث تحك طبقة البلاك وتخلص الأسنان منها. وتوجد أيضاً مادة بيكربونات الصوديوم التى أوصى مجمع معالجة الاسنان التابع لجمعية أطباء الاسنان الامريكية بإضافتها الى معجون الأسنان. ويكشف التحليل عن وجود كمية وافرة من مادة السيستوستيرول، الى جانب كمية من فيتامين ج. وكلا المركبين هامين فى تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة، وبذلك يتوفر وصول الدم اليها بالكمية الكافية. وتدل التحاليل على أن بالسواك كمية حسنة من مواد قابضة تمنع نزيف اللثة وتساعد على تقويتها، نذكر منها: مادة العفص (حامض التنيك)، وهذه المادة تستخدم فى إيقاف النزيف الذى قد يحدث بعد خلع الأسنان، كما تعمل على

يمض وقت طويل حتى شاعت نظريته، وباتت الدول المتقدمة صحياً تعتمد هذه الخطة كأسلوب فاعل فى الوقاية الفمية الشاملة. وقد دلت دراسات الباحثين، على أن أكثر المستفيدين من خطة الفلورايد هم الأطفال، إذ تكون أسنانهم فى مرحلة النمو والتكون. فالثابت، أن ميناء الأسنان الدائمة يتم تكوينه - تقريباً - فى السنوات الثمانية الأولى من عمر الانسان. وهذا صحيح، ففى هذه المرحلة يشق الفلورايد طريقه الى الأسنان قيد النمو، حيث يجل محل ذرات أقل تفاعلية مثل الصوديوم والبيوتاسيوم فى البنية التحتية لميناء الأسنان، وتكون الروابط الذرية التى تشكلها المادة الجديدة أقوى بكثير من روابط العناصر التى حلت محلها، وهو ما يؤدى الى أن تصبح الأسنان أكثر قوة وصلابة. ويكفى أن نذكر أن تعرض مادة الميناء - فى هذه المرحلة - للفلورايد يحولها من الصورة (Hydroxyapatite) إلى صورة أخرى أكثر صلابة هى (Flou-roapite). والمرء أن يأمل بحق فى أن يعود الآباء أطفالهم - لا سيما فى مرحلة تكوين ميناء الأسنان - على استعمال السواك، فقد تبين أن استعمال أملاح الفلورايد موضعياً على الأسنان - على نحو صحيح - يضمن حمايتها بمشيئة الله من التسوس طيلة العمر كله. وهنا لا بد أن نشير إلى المستوى الصحى اللازم، الذى أقرته منظمة الأسنان الأمريكية والاكاديمية الطبية للأطفال. فالجرعة اليومية

مواد عطرية زيتية طيبة الرائحة تخلص الأفواه من كريه الرائحة وتعطرها بأريجها الفواح، وغير ما ذكرنا، فقد دل التحليل على وجود مادة «الأنثرايتون» ضمن مكونات السواك، وهي مما يساعد على تمام نظافة الأفواه وفتح الشهية أول الهضم وتنظيم حركة الأمعاء، ومن آخر ما كشف عنه الباحثون، أنهم وجدوا للسواك تأثيراً مضاداً للأورام السرطانية، كما تأكّدوا من وجود مواد مثبطة لنشاط خلايا السرطان. ولا يزال الباحثون اليوم قائمين على كشف المزيد من عجائب مركبات السواك التي لا تقفأ تأثير أعجاب الكثيرين.

البكتيريا الفمية وقوة السواك الحيوية:

ترى أيكون للسواك دور حيوي مباشر في قتل جحافل البكتيريا الفمية؟ سؤال قد يبدو بسيطاً، غير أن الإجابة عنه اقتضت اجراء مئات البحوث، فلعل المشكلة الحقيقية تكمن في أفواه الناس، إذ هي تعد - برأى الباحثين - محاضن مثالية لنمو وتكاثر الميكروبات. ففي تجويف الفم أنواع عديدة من البكتيريا في حالة مدهشة من التوازن، فبعضها لا يمكنه الاستغناء عن الهواء، بينما يتسم بعضها الآخر في وجود أكسجين الهواء. جيوش بكتيرية رهبة يزيد عددها في المليجرام الواحد من اللطعة الجرثومية، على ٣٠٠ مليون خلية. إنها أسباب لعل الأفواه عظيمة، لا يدري الناس من أمرها شيئاً، ولكن العلماء

تضميد اللثة بعد عملية مضغ وتقطيع الطعام، فتتمنع نزيف الدم منها وتشفى بجروحها الصغيرة. ومما يستطاب ذكره، أن أطباء الأسنان درجوا على توصية مرضى التهاب اللثة بتدليك لثاهم بمزيج يتكون من ٢٠٪ حمض التنيك مع ٨٠٪ جليسرين، وهي تركيبة مفيدة ولكن يعبها طعمها الحريف اللاذع غير المقبول. هذا، في حين، أن وجود حامض التنيك ضمن مكونات السواك وبنفس النسبة تقريباً، لا يؤثر سلبياً على طعمه، بل إن للسواك طعماً محبباً لدى الكثيرين. وعلى ذكر الطعوم، فقد عرف أن لطعم السواك دوراً في زيادة افراز الفم للعاب. والفم - كما نعلم - يفرز من اللعاب ما بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب في الأربع والعشرين ساعة، وهو دائم الافراز لترطيب الفم وزيادة دفاعه العضوى وتنظيفه وتزليج أجزائه وتسهيل حركات اللسان فيه والكلام.

وثمة وظيفة أخرى للسواك لا تقل أهمية وهي تعطير أفواه وإزالة ما يجتاحها أحياناً من روائح كريهة بسبب إهمال نظافتها. فالفضلات الغذائية، إذ تتجمع بين الأسنان أو على سطوحها المختلفة أو في فجوات الضروس المتسوسة، تشجع ملايين الخلايا البكتيرية على العمل والتحليل وانتاج مواد كالأحماض الدهنية وكبيريكتور الأيدروجين، وهي مركبات ذات روائح نفاذة قوية، تجعل رائحة الفم كريهة منفرة. ولقد تبين أن بالسواك نحو ٨٪ من

(أليل) مع سكر الجلوكوز اليميني. وزيت الخردل هو بيت القصيد، نظراً لما يتميز به من رائحة حادة وطعم حراق وتأثير مطهر قوي وقدرة عالية على قتل الميكروبات. وعلى هذا، فقيمة السينجرين الحقيقية هي في وجود هذا الزيت، الذي لابد أن ينفصل أولاً عن الجزء السكري، وهو ينفصل بفعل انزيم طبيعي في اللعاب يسمى (Myrosin)، وبدون ذلك لا يظهر أثره المبيد على الميكروب. وكما نعلم، فإن لكل كشف علمي قصة، وقصة الكشف عن المبيدات الحيوية بالسواك تبدأ بمجموعة من الباحثين الأصلاء استلقت ثراء مكونات السواك أنظارهم، فراحوا يستخلصون مركباته واحداً.. واحداً، ثم شرعوا في دراسة تأثير كل منها على جماعات بكتيرية بغية الإمساك بالمركب الفاعل (قاتل الميكروبات). وطال البحث، ولم، يعثروا على قرينة هادية، وهنا تساءلوا: لم لا نغير خطتنا ونبحث في مركبات السواك وهي في لعاب الإنسان.. وسطها الطبيعي؟ وكانت المفاجأة، فقد عثروا في اللعاب على مركبات جديدة لم يسبق التعرف عليها في خلاصة السواك العملية. وكان السؤال الحيوي: من أين جاءت هذه المركبات؟ وبعد تجارب تحليلية دقيقة تبين أن المركبات هي في الأصل من مكونات السواك الطبيعية، غير أنها تتواجد فيه متحدة كيميائياً بمركبات أخرى تقيدها فلا يظهر تأثيرها المرغوب. وهكذا، ما ان حانت لها فرصة الفكك من قيدها بواسطة

لأخطارها واعين فاهمون؛ ولقد أبدوا منذ زمن اصراراً وحزمًا على المواجهة، فابتكروا معاجين للأسنان مزودة بأنواع من مضادات الحيوية. غير أنها لم تكن صاحبة حظ، حيث عارضها الأطباء بعد وقت قليل، بعد ما تسببت في الاخلال بالتوازن الطبيعي لبكتيريا الفم. ليس هذا فحسب، بل إنها تسببت في نشوء سلالات بكتيرية مقاومة للمضادات، مما كان يندب بشيوع هذه الصفة على أوسع نطاق في بقية السلالات. معاجين أخرى ظهرت تخلو من مضادات الحيوية، ولكنها تحتوي على مركبات معقمة ومبيدة للميكروبات، وهذه أيضاً تعرضت لهجوم من بعض الباحثين منهم البروفيسور الألماني فيستر. وهؤلاء يرون أن معاجين الأسنان «المعقمة» و«القاتلة» لجميع أنواع البكتيريا الفمية تفضي حتماً إلى الاخلال بالتوازن الحيوي الدقيق السائد في تجويف الفم، مما يندب بحدوث اضطرابات فمية ويمهد لتسويس الأسنان. لعل البعض يتساءل الآن: أهو عود إلى بدء؟ أليس ثمة حل عملي يكفل القضاء على البكتيريا الفمية (البضارة) من دون الاخلال بالتوازن الطبيعي المنشود؟

السواك يجد الحل:

أجل هنا يبرز الدور الحيوي للسواك، فهو من هذه الوجهة يعد البديل المثالي الذي يطلبه الباحثون من أهل الاختصاص، فلقد عثر المطلون في السواك على مادة عضوية كبريتية تدعى «سينجرين»، وهي - في لغة الكيمياء - مادة جليكوزيدية تتكون من اتحاد زيت الخردل

الأنواع - عن تسهيل عملية انزلاق الفرشاة على الأسنان أثناء تنظيفها، توقياً من أضرار الاحتكاك، بل وحتى معاجين الأسنان الحديثة التي أضافوا إليها مركبات عديدة كالفلورايد ومانعات التعفن وقاتلات الميكروب، لم تف بالقدر اللازم للمحافظة على صحة الفم والأسنان، كما أخلت بالتوازن الحيوي في تجويف الفم، وما يعنيه ذلك من اضطراب - من كل هذا الذي وصفنا نرى أن ثمة فروقاً جوهرية بين السواك، وبين المعجون، ففي الوقت الذي كشفت فيه آثار المعجون السلبية، تأكدت وبقوة فوائد السواك ومنافعه الصحية.

حقاً إنه لأمر شديد الاثارة أن نسلم رجالاً من أهل الاختصاص يحملون القضية في سطر واحد «إننا مقتنعون تماماً بتفوق السواك على جميع وسائل تنظيف الفم الأخرى» سبحانه يا الله... بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عن السواك، وفي عصر الطب النووي، وعصر التكنولوجيا الباهرة التي استحدثت من الجديد الكثير ما لم يخطر في بال أو يسرح في خيال، لا يزال السواك في المقدمة، ولا تزال معجزته في كل يوم تتفجر - وهي معجزة طبية وصحية ما كان لأحد من الناس أن يتعرف على شيء منها في زمن النبوة، فمن ذا الذي أبلى محمداً (صلى الله عليه وسلم) بها، وهو النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يحسب، إنها - وأيم الله - معجزة خالدة متجددة نزلت من السماء، على لسان خاتم الأنبياء.

انزيمات اللعاب حتى راحت تصول وتجول بين جحافل بكتيريا الفم الضارة، بحيث قضت في زمن قياسي على نحو ٩٧٪ من أفرادها. على أن القصة لم تنته بعد، فثمة مفاجأة أخرى عرفها الباحثون، حينما كشفوا النقاب عن دور عكسي تقوم به انزيمات اللعاب صوناً للمادة الفعالة الزائدة من الضياع. فلو حدث وكان معيار المادة الفاعلة أكبر من حاجة الفم في لحظة ما، فإن الزيادة تتقيد ثانية مع مركبات في الفم وتحت تأثير انزيمات اللعاب، وعندئذ تفقد ولا شك سطوتها على الميكروبات. ولكن كل شيء هنا بحساب ومقدار، فما إن تغير حموضة اللعاب بفعل النشاط الميكروبي، حتى ينقلب الحال، فتتنشط انزيمات اللعاب، لتحرر جزءاً من المادة الفاعلة التي تتولى سريعاً مهمة قتل البكتيريا الضارة بحكمة واتزان. ويكرر نفس السيناريو مرات عديدة على مدار اثنتي عشرة ساعة. وتلك هي الحقيقة التي نود أن نعيها، فالسواك ليس منظفاً عادياً للأسنان، بل إنه منظف حيوي (مستمر)، وهو في ذلك يختلف تماماً عن معاجين الأسنان، التي يعدها الباحثون مجرد منظفات (مؤقتة)، إذ يعود المستوى الميكروبي إلى سابق عهده، بعد عشرين دقيقة من الاستعمال. ولابد الآن من اذاعة الحقيقة، فلا ينبغي أن تصدق مطلقاً أن أيّاً من معاجين الأسنان له أي وظيفة علاجية لأي مرض من أمراض الفم والأسنان، فالحقيقة أن وظيفة المعجون لا تزيد - في معظم

تأليف :

المعجم المعاصر .. والتكنولوجيا

الحديثة

وقد اعتنى أحمد فارس الشدياق في كتابه «القاموس على القاموس» عناية واضحة «بالقاموس المحيط» وقد نسق فكره وأراد به سهل الترتيب واضح التعاريف، وأن يشمل الألفاظ والكلمات التي استعملها قادة الأدب العربي في النثر والشعر في أزهى عصور اللغة العربية. ناعيا على الفيروز ابادي التزامه بالايجاز حتى أصبح ضربا من الألفاظ.

ولم يكن الشدياق أول من نقد المعاجم نقد اللغوى البصير فقد سبقه محمد مصطفى زاده عندما ألف (الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط) [٢].

وكانت حركة طبع المعاجم وتصويبها ونشرها حركة نشطة مما دعا الى تأليف معاجم جديدة تكون سهلة التراكيب، واضحة المعنى ميسرة الأسلوب، فألف (أقرب الموارد) الذي رتب حسب حروف الهجاء (ومحيط المحيط) و(متن اللغة) و(الوجيز) و(الوسيط).

وانتشرت الدعوة الى تسهيل تصنيف المعاجم وتبسيط اسلوبها ودقة معاني ألفاظها ووضوح التبويب تأثرا بالمعاجم الغربية [٣] والسير على أساليبها في الكشف عن الكلمات والألفاظ.

ومحاولة التخلص من التعاريف العامة مثل شجر

كانت العناية بالمعاجم العربية جزءاً من احياء تراث الأمة وحضارتها في بداية عصر التنوير، ونشر مخطوطاتها أسوة بالكتب الأدبية والتاريخية والعلمية، فقد نشر وحقق عدد من هذه المعاجم كالقاموس المحيط، ولسان العرب، وأساس البلاغة ومختار الصحاح .. لأن اللغة العربية هي الوعاء

الذي حفظ الثقافة العربية والحضارة الاسلامية [٤].

وقد نقد العلماء نصوصها وفحصوها بعناية كبيرة للتخلص مما بها من تحريف وتصحيف وأغلاط جاءت من النسخ، وتلافي ما فيها من عيوب وادخال الجديد من اللغة فيها،



بقلم:

أ.هـ. يوسف عز الدين

جامعة أم القرى - كلية التربية

معروف أو ضرب من الحيوان [٤].

ولعل سبب هذا الاختصار هو نقل المؤلفين عن سبقهم مع بعض التغيير في الشكل أو الترتيب كما صنع ابن دريد عندما غير اسلوب كتاب (العين) الصوتي الذي اعتمد على مخارج الحروف والأصوات ودلالاتها حسب موضع خروجها من داخل الفم، واتخذ الألف باء منهجا في التصنيف ٠٠ حتى هاجمه بعض العلماء [٥] واتهمه معاصره نفلويه بسرقة الجهرة من (العين) ومسحها بالتغيير والتبديل قال:

ابن دريد بقـــــره

وفيه عي وشـــــره

ويدعي من حمـــــقه

وضع كتاب الجمهره

وهو كتاب العين إلا

أنه قد غـــــيره

وقد جاء نقد المعاصرين للمعاجم بالخير على المعاجم فقد شُدِّبَتْ ونُقِّحَتْ ودرِّسَتْ أَسَانِيدُهَا وَمَنَاهَجُهَا وَحُقِّقَتْ أَعْلَامُهَا وَشُرِّحَتْ بعض غوامضها .

غير أن الحياة المعاصرة وكثرة المخترعات والمكتشفات الجديدة التي لم تكن تخطر على بال الأسلاف دعت الى ضرورة وضع ألفاظ ومصطلحات ومعاجم جديدة تلائم هذا التطور الحضاري، وإذا كان الأسلاف قد وضعوا حوالي الألف ونصف الألف من المعاجم ومع ذلك فقد قال جامع أسمائها: «انه قصر في الفهرسة واكتفى بالمعاجم التراثية دون

سواها مما مسته الحداثة بأثر قليل أو كثير» .

ولابد أن أذكر أن عصر محمد علي باشا اهتم بالمعاجم والمصطلحات التي احتاجها في الطب والهندسة والفنون الأخرى، واهتم بالمعاني اهتماما واضحا، فقد وجدت معجما للكلمات الفرنسية والاطالية والانكليزية مقابل الكلمات العربية لتسهيل دراسة العلوم، ويمكن ملاحظة أثر هذا المعجم بالمصطلحات التي استعملت في كتب الطب والعلوم وهي مطبوعة وفي (روضة المدارس) و(يعسوب الطب) غير الكاملة في دار الكتب المصرية دليل على أن اللغة العربية لغة مرنة يمكن الاشتقاق منها بسهولة والاستفادة منها في وضع المصطلحات

وهذا ما قامت به المجامع، وقد استفاد منها الباحثون فائدة واضحة وصدرت بعض المعاجم مستفيدة من جهود العلماء في عصر محمد علي العلمية، ونقد القديمة منها، فقد كتب احد الباحثين [٦] أن بعض المعاجم لا تفرق بين الجذب والقحط والمحل، ولا بين الرسن والعنان والزمَام والقياد، واضطرت الى الاستعانة باللغة الانكليزية لتمييز معنى عن معنى آخر ٠٠ والواقع أن هناك مصادر للبحث عن الخيل وعن أدوات هذه الخيل [٧] يمكن أن نجد فصلا كاملا في ذكر آلات الخيل كاللجام والعنان والشكيمة والمهماز والسروج [٨] ويمكن مراجعة المخصص [٩] وفي المغرب [١٠] والصاحح [١١] ويظهر أن

الفكر المعاصر والحياة الحضارية المتطورة، فهل يقدر المعجم العربي المعاصر على استيعاب هذا الزخم الحضاري من الاكتشافات والمخترعات وامكانات العرب العلمية والمالية كبيرة ولكن الحضارية محدودة بحدود ضيقة؟ وليس هناك وعي عند الأغنياء والمسؤولين لدعم المعاجم ومساندة اللجان التي تقوم على وضعها وتطوير المصطلحات الجديدة ووضعها في معجم كبير شامل للجديد المستحدث مع أصول اللغة العربية وجنودها التي جاوزت مئات السنين ولم تأت هذه المخترعات والمكتشفات اليوم انما هي وليدة حضارة الغرب وثوراته الصناعية، فالثورة الصناعية كما تعلمون مرت بعدة أنوار أولها: نور اختراع الدوالب والعجلة حتى القرن التاسع عشر الميلادي عندما اكتشف جيمس واط البخار وأدار به المحركات وزاد من انتشاره والاستفادة العملية منه عندما اخترع المهندسون الاحتراق الداخلي لهذه المحركات ووجدنا طفرة كبيرة في المخترعات التي استعملت المخترعات الحديثة بالوانها المتعددة في البحر أو في السماء أو تمشي على الأرض، ويمكن أن نقف مع الثورة الثانية في أوائل القرن العشرين الذي شهد غزارة في المخترعات وتطورها وتعقدها، فما نصنع اليوم بالحسابة وآلاتها والعالم المتطور يطورها تطورا سريعا بل تتطور كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وتأتي بأشياء متنوعة واستعملت لأغراض متعددة..

وضوح القصد حال دون مثل هذه التعاريف، ولما وصلت الخيل الى أوروبا وضعت لها التعاريف والحدود كما وضع غير العرب من المسلمين النحو.

أما ما جاء في تعاريف الخيل وأنواعها وأصولها فقد كان حفظا للأنساب وضرورة معرفة الجيد منها من غير الأصل ولا يهم الراكب أن يصف نوع الرسن والجام بقدر معرفة أصل الفرس والحصان لذلك أطنب العرب في ذكر أدوات القتال كالسيف والرمح والترس مع أصول الخيل وأنواعها.

لا جدال بأن المعاجم العربية المعاصرة تطورت تطورا كبيرا وقد أخذت جانبا من المصطلحات الجديدة ولا سيما الوسيط والكبير مما يقوم به المجمع، ولكن ما هي خطط المستقبل في المعجمات التي سوف توضع أمام هذا الزخم الكبير من المخترعات التي تتوالى علينا كل يوم وتطورها السريع في مختلف الفنون والعلوم، وقد تنبه مجمع اللغة العربية الى دخول العلوم التقنية الى العربية بمجلته منذ عددها الأول الصادر سنة ١٩٥٧م ولا يكاد عدد من أعداد مجلة المجمع يخلو من مجموعة من هذه المصطلحات [١٢].

المفروض أن المعجم يحوي جميع اللغة بأشكالها المتعددة وتطور ألفاظها واختلاف مصطلحاتها العلمية والفنية والأدبية، وأن يكون المعجم قادرا على استيعاب تطور اللغة باستمرار والا أصبح قاموسا بغيدا عن حياة

مما لا نعرفه. لأن الدول المتقدمة مازالت تحافظ على سرية الأجيال الجديدة المتطورة وتبيع الأجيال الأولى لعالمنا الشرقي بأثمان عالية. ما يكون موقف المعجم الجديد من رقائق الالكترن المتعددة، إضافة الى مخترعات تجزئها الدول المتقدمة لنفسها للمستقبل المجهول!!!

لا شك بأن الغرب لم يرسل للشرق الا الأجيال الأولى من المخترعات والصناعات والتي انتفت حاجتهم منها، فقد كنت مدعواً لزيارة أحد مصانع المعاهد العلمية التقنية في بريطانياة وأخذني مدير المعامل بزورة في أرجاء المعهد ووجدت ماكينة ضخمة لا تعمل وحسبت أن فيها عطلا فنيا فسألت المدير عنها فقال: أصبحت قديمة وسوف نبيعها للشرق الأوسط.

واذا تركنا المكائن والسيارات والقطارات سوف نجد في الطب تقدما كبيرا فقد استعمل الطبيب أشعة الليزر عوضا عن المبضع والمشرط وأصبحت أدوات الجراحة طريقة قديمة في المعالجة وأخذ العلم يدرس حياة الطفل وهو في رحم أمه ويتابع التطورات التي تطرأ عليه ويقوم بالأعمال الجراحية له.

أما ميدان الزراعة فقد تطور باستخدام الموروثات في تطور الزراعة والاستفادة من التربة واستعمال الحشرات لمكافحة الحشرات.

والاتجاه الآخر هو تصغير هذه الآلات

والمخترعات والآلات فقد صنعوا بطارية توضع في (الريوت) الذي لا يزيد حجمه على الغرامات المحدودة ليسير في جسم الانسان ويرسل بأخباره الى شاشة التلفاز يصف حالة دم المريض وقلبه وشرابينه وأوردته والتغيرات التي تحدث له، فما هي الأسماء التي وضعت لهذه الاختراعات والآلات؟ ولا شك في أن المعاجم الغربية قد حوت أسماء هذه الآلات الصغيرة والكبيرة منها بل تعدى أمر العناية باللغة ذاتها وبدأوا يدرسونها ويصدرون قاموسا الكترونيا للاستثناءات النطقية في اللغة الانكليزية، وقد خصصت جامعات (أندبرة) مليونين ونصف المليون جنيهاً استرلينياً لوضع هذا المعجم فما مقدار ما خصص للقواميس العربية من الدول العربية الغنية، والبلاد العربية تمر بأغنى فترة من فترات حياتها الاقتصادية، وما مقدار ما خصصت هذه الدول للترجمة ووضع المعاجم لغير العرب الناطقين باللغة العربية!!!

ان فرنسا أسست جامعة تعني بالفرنكفونية ومعناه العناية بكل الأمم التي تتكلم اللغة الفرنسية وصرفت الملايين في سبيل نشر لغتها وبث آدابها بين هذه الأمم والحفاظ على الصلة اللغوية بينها وبين هذه الأمم والشعوب.

أقول بصراحة أن مصر التي جاهدت في نشر اللغة العربية بذلت كل طاقتها في سبيل ذلك عندما كانت غنية ونحن العرب كنا نعيش

في ظلال تلك الجهود التي بدأت منذ زمن محمد علي باشا حتى وقت قريب .
المعجم المعاصر سوف يعاني نقصا كبيرا في محتوياته بتطور العلوم ودخولها في عوالم متعددة من الاكتشافات التي لم تعرفها من قبل وما فكرنا فيها .

العالم المتطور في حضارته التكنولوجية الجديدة استعمل ألفاظا وكلمات وعبارات لم تكن موجودة في معاجمه التي ورثتها من الثورة الصناعية الثانية التي دخلت في الفترة الثالثة بتنوع المخترعات واستعمالها بكل الاشكال كالمركبات والسفن الفضائية والصواريخ والنجوم المراقبة للعالم والرموت كنترول (التحكم من بعد) والبيجر وما أرسل الى الفضاء اللانهائي من أدوات داخل السفن والاستشعار عن بعد [١٣] لدراسة الارض وما عليها من حياة ومعادن وغيرها .

كانت أجهزة الحساب كما تعلمون تملأ حيزا كبيرا وعددا وافرا من الموظفين والمهندسين لادارتها والعناية بها ، إضافة الى قوة كهربائية لادارتها ، وقد تطورت هذه الحسابات وأصبحت جزءاً من الحياة اليومية ، أما الآن فقد أصبحت الحسابات على كبرها تدار من شخص واحد ، وأصبحت هذه الحسابات في حجم علب الكبريت ولا تحتاج الى كهرباء وتعتمد على أشعة الشمس والنور الكهربائي ، وقد أخذت أوربا تتعدى وضع الكلمات في مجلدات المعاجم في الأوراق انما حولتها الى اسطوانات صغيرة الحجم ،

فالموسوعة البريطانية على ضخامتها وضعت في اسطوانة واحدة لا تكاد تخرج عن حجم الكف وتوضع في آلة تعطيك الكلمة بسهولة ويسر وتصور لك الآلة نفسها ما تريد من الكتب الأخرى المصغرة .

وقد دخلت رقائق السليكون والترانزستور في كل حاجاتنا الضرورية وأخذت المخترعات تعمّر طويلا وتكلف قليلا ، وقد حولت الترانزستورات الى رقائق السلكون بأعمال متعددة وصغرت هذه الآلات وتبارت دول العالم في تطوير الأجهزة الدقيقة في التسجيل والتصوير والسينما وجميع أدوات الانسان اليومية ، لست مهندسا أو مختصا بهذه العلوم ولكنني أقف مدهوشا أمام تعقيد الأنوات في النول المتقدمة وتطورها . . هذا بعض ما قدرت عليه من اشارة في جنور المعجم الذي لا بد أن يشمل هذه الأعمال التقنية المتعددة ، فهل يمكن أن نجاري العالم في وضع مثل هذا المعجم المتطور ؟

الاقتراحات:

ولابد لمتابعة المصطلحات والمقالات العلمية الحديثة والآراء المتعددة ، وتطور العلوم الحديثة وتآليف معجم معاصر من انشاء معهد أو مؤسسة خاصة تكون مهمتها الاولى العمل على اعداد هذا المعجم ونشره وتقصي جذوره من اللغات الأجنبية بأن :

١ - يتم اختيار خيرة العلماء العرب للقيام بهذه التجربة ، وقد نجحت الادارة الثقافية

٧ - توزيع هذا المعجم على المدارس والجامعات والمؤسسات وضرورة الاستفادة منه بعد أن تفتشت في كل بلد مصطلحات تختلف في الأقطار العربية عن البلد الآخر .
انه جلم من الأحلام، ومما أكثر ما تحققت الأحلام.

الهوامش :

(١) يقول أبو عمرو العلاء (العلم بالعربية هو الدين بعينه) طبقات اللغويين المقدمة .

(٢) يلاحظ كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لأبي محمد بن عبد الله بن بري تحقيق مصطفى حجازي وعلى النجدي ناصف ط الهيئة المصرية، ج/ ١، ١٩٨٠ / ١٩٨١ وغوامض الصحاح لصلاح الدين خليل ابن أبيك الصفي تحقيق عبد الله نيهان منشورات معهد المخطوطات ١٩٨٥ م بصدد نقد علمائنا للمعاجم .

(٣) أصدر يوسف الخياط ونديم المرعشلي طبعة جديدة من (لسان العرب) رتب حسب أوائل الحروف وأضاف إليها مصطلحات الجامع وكتبها وضع ابن منظور .

(٤) للزميل الدكتور عدنان الشبيب كتاب عن عيوب المعاجم القديمة في (المعجم العربي بين الماضي والماض) معهد الدراسات والبحوث العربية .

(٥) يلاحظ معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي أقبال بصدد المعركة حول العين من ١٩٤ - ١٩٩ دار الغرب الاسلامي بيروت ١٩٨٧ م .

(٦) الهادي الى اللغة العربية - حسن أكبر، ج ١ ، المقدمة .
(٧) الاقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل تأليف الملك علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي القسائي، دار الغرب اللبناني، ويمكن مراجعة متن اللغة ص ٥٨٨ م ٢ محمد رضا بصدد الرسن والمخصص ص ١/١٢٨ وقد حقق الاقوال الكافية يحيى الجبوري .

(٨) المصدر السابق ١٩٨ - ٢٠١ ، ص ١٨٨/٦ .

(٩) من ٣٠٠ وفي ادي شير ١٤١ والصحاح .

(١٠) طرح اللجام والمخصص ١٩٨/٦ .

(١١) جمع الدكتور نبيل عبد السلام هارون تلك المصطلحات في (المعجم الشامل) المطبوع سنة ١٩٩٠ م .

(١٢) وضع الدكتور خالد المنقري تعريفات أساسية فيها مصطلحات جديدة في كتابه (الاستشعار عن بعد) المطبوع ١٩٨٦ م تصلح قاعدة لمعجم جديد .

التابعة للجامعة العربية نجاحا باهرا عندما كان الدكتور/ طه حسين رئيسها، ونقلت عددا من الكتب الى اللغة العربية مازال الفكر العربي يرجع إليها لأنه انتخب أحسن الشباب الذين يجيدون اللغات الأجنبية للعمل معه .

٢ - يتم الاختيار من المختصين الراغبين في العمل وألا يكونوا موظفين يؤدون عملا فرض عليهم، لأن الرغبة سوف تطور المسرى العلمي وتعمق جذوره .

٣ - انشاء مطبعة مهمتها نشر هذا المعجم أسوة بمشروع طبع القرآن الكريم في المدينة المنورة .

٤ - وضع مفردات المعاجم العربية والأجنبية في الحاسبات لتكون في متناول يد الباحثين وسهولة الاستفادة منها سواء أكانت باللغة العربية أم اللغات الأجنبية .

٥ - تزويد المعهد أو المؤسسة بجميع المعاجم الأجنبية العلمية والفنية لوضع مفرداتها في الحاسب وفرز ما في المجالات والجرائد والكتب وما يلقي في المؤتمرات من مصطلحات وعبارات علمية حديثة، وإدخالها في الحاسبة، ويوجد الآن في المكتبات الغربية الشيء الكثير من المعارف، وفي خزائن الحاسبات عدد كبير من ذخائر المعلومات .

٦ - إعادة دراسة الكلمات والمصطلحات العلمية العربية في التراث الاسلامي في مختلف العلوم والاستفادة منها، وقد فشى بعضها في اللغات الأجنبية .

اللغوية، الف واستماعة وأتاتان وثلاثون

كتاب من تصنيفه في علم

الاجتماع والأخلاق والنطق والفلسفة

العامية والتصوف وتاريخ الفلسفة وعلم

النفس والتربية والقراءات ورسم المصحف

والتفسير والحديث ومصطلحه وعلم الكلام

والفقه والفرائض وأصول الفقه

والخلافيات والتاريخ العام، وتاريخ الملل

والنحل والجغرافيا وفقه اللغة، وأديها

والرسم والتحق والصرف والمعاني والبيان

والبديع والعلوم الطبيعية والرياضية

وهكذا إلى آخره.

كتاب الفرائض

ميدان التحقيق وتمكنه من ناصيته أوقعه

على كثير من التصحيفات والتحريرات

فمثلا كلمة (فرد) التي جاءت في الطبقات

السابقة وجد أن استقامة المعنى أن تكون

(قرد) واضطره ذلك إلى الرجوع إلى

المصادر التي أشار إليها ابن خلدون

وعبرها ومبهم أرسطو والفارابي،

والقرويني، وابن طفيل وابن مسكويه

وأخوان الصفا ووجد الألفاظ والعبارات

التي استخدمها عندهم وتقسيم الكائنات

إلى الأقسام نفسها

هو أكثر، وجد أن ما يربطون به بين مرتبة

الانسان والقرد وليس الفرد، ووجد أن

فكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل

آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها

عند الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة

الكتاب من تصنيفه في علم

القرويني، وفي كتاب حي بن يقظان لابن

طفيل وفي كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير

الأعراق لابن مسكويه، وفي رسائل إخوان

الصفا المشهورة - غير أن الرقي عندهم

رقي في المرتبة أي أن الكائنات مراتب

بعضها فوق بعض، وتلك هي البذور التي

بنى عليها دارون نظريته وكأنه استفادها

من الأفكار الموجودة في التراث ولكنها

عند هؤلاء العلماء تنسجم مع ما عليه

العقيدة وما نزلت به الكتب السماوية من

أن كل أصل له استقلاله الخاص به، وأن

الإنسان خلق مستقلا له تكريمه الذي

ميزه به ربه - فالرقي عند هؤلاء العلماء

رقي في المرتبة فحسب فهم يحاولون

ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى

ترتبا عقليا ومنطقيا حتى أن بعضهم

ليضع الفيل والفرس والنحل والبغايا

وبعض الطيور الذكية في مرتبة قريبة من

الإنسان وفي أعلى مراتب الحيوانية ولكن

دارون ذهب بإرائهم نفسها مذهبا آخر

ثم جاءت المفاجأة الكبرى وهي أن

ابن خلدون ذهب في مقدمته التي يحققها

والتي هي بين يديه مذاهب أخذها بتصها

دارون غير أنها عند ابن خلدون تتفق مع

ما عليه العقيدة وما نزلت به كتب الله.

الأخيرة من كل مرتبة قابلة لأن تتحول إلى الدنيا الأولى من حيث هي

...

ومن هنا فقد جاءت عبارة الدكتور علي عبد الواحد وأفي عبارة عالم مدقق وهي «وبذا تقترب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقائيين الحديثين» وإن كان دارون ومن تبعه يذهب في ذلك مذاهب أثبتت النحوث العلمية خطأها فإن ابن خلدون رأى رأيا فلسفيا يتفق مع المعتقدات الدينية ويفسر قول الله (وأقصد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا) (الأنعام: ١٣١)

فتراث علماء المسلمين في واقعه تراث عملاق أقام منه علماء الغرب بلا حدود وفيه مفتاح رقينا وطريق انطلاقنا نحو الغد الذي يجب أن نصل إليه فيما أجبر هذا التراث بأن تتصافر من جوله جهود الباحثين والدارسين وما أحق ما تركه الدكتور علي عبد الواحد وأفي من أن يفتتح كتابه ببيان هذا التراث وكتابا قيمة أربت على المائة، وراجع أكثر من مائة من المؤلفات العربية والاجتماعية التي أصدره مجمع اللغة

العربية ونشر بمجلة المجمع بحثا عظيما

في موضوع العجاض وله أكثر من مائة من المؤلفات في طيات طياته

متعددة نشرها على مدى ستين عاما أو يزيد من عمره الخافل بالعباء الذي جاوز التسعين، ومن الجدير أن نسلج له هنا رأيه الذي قاله عن ابن خلدون فقد قال «وجدت أن ابن خلدون هو الذي يستحق عن جدارة لقب مبشئ علم الاجتماع لا من الناحية التاريخية فحسب بل لأن منهجه كان أسلم وطريقته كانت أصح وكان أكثر استيعابا لمسائله، لقد وجدت أن العالم العربي ابن خلدون قد وضع علم الاجتماع على أسس متينة ومنهج سليم ومعناه أن أسس علم الاجتماع لا ترجع إلى أوجست كونت كما يذهب الفرنسيون ولا إلى فيكو كما يذهب الإيطاليون ولا إلى هيربرت سبنسر كما يذهب الإنجليز، بل ترجع إلى المفكر ابن خلدون

والدكتور علي عبد الواحد وأفي هو ابن خلدون العصر الحديث والعصر

الحديث، ابن خلدون هو علي عبد الواحد وأفي يعد الرائد الأول لعلم الاجتماع في مصر والعالم العربي وهو عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة والخبير الرئيس في المجلس الأعلى

الشيخ الدكتور أحمد زكي النور

لعلم الاجتماع وعميد كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع - مصر والحداد - العراق والمغرب والسعودية وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر سابقا وحائز علي جائزة الدولة التقديرية.

وولد في مارس عام ١٩٠٧ - وكان والده فضيلة الشيخ عبد الواحد وأبي قد تخرج في دار العلوم وعمل بها وكان من أوائل عمداؤها.

ودرس بالأزهر من عام ١٩١٥م حتى ١٩٢١ ثم التحق بدار العلوم وتخرج عام ١٩٢٥ وأوفد في بعثة علمية إلى جامعة السوربون بباريس وقضى بها ست سنوات.

وتم تعيينه بدار العلوم مدرسا للاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم النفس بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد) - القاهرة الآن.

وفور قيامه بتدريس علم الاجتماع قام بوضع مناهج شاملة دقيقة لجميع فروع هذا العلم ومحاالاته وتم تدريس علم الاجتماع في جميع مراحل علم الفلسفة بالإضافة إلى بعض الأقسام الأخرى بكلية الآداب وظل مهتما بالكشف عن البسر العجائب في الحياة.

وفي سنة ١٩٤٨م انتقل إلى جامعة القاهرة الجامعية المصرية وسارت جامعات البلاد العربية علي غرارها - وكان انفصال قسم الاجتماع عن قسم الفلسفة في جامعة فؤاد عام ١٩٤٨م واليه يرجع الفضل في إنشاء عدة جمعيات علمية متخصصة منها الجمعية المصرية لعلم الاجتماع والجمعية الفلسفية المصرية - الخ وقد تولى رئاسة كل جمعية انشأها وأشرف على إصدار مؤلفاتها - واختير عضوا لجامعة التعرف الدولي بالإسلام وعضوا بجامعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية إلى آخر ما يضيق المقام عن ذكره.

واهتمامه بمجال اللغة العربية فوق كل اهتمام فهو صاحب أول إصدارين في مصر في اللغة العربية - وهما اللغة من وجهة نظر علمية حديثة - وهما كتابه فقه اللغة وكتابه علم اللغة ومآزال هذين الكتابين عمدة هذه الدراسة ومرجع الباحثين - ولقارئ أن يتخيل مجهودات الدكتور على عبد الواحد الفكرية ومجالات نشاطه العلمية في تلك المجالات المتعددة فهو صاحب أحد أجمل الكتب ويؤلف مدة سبعين عاما منذ تخرجه من دار العلوم في اتقاد زمن وحركة دائية إلى أن توفاه الله تعالى وهو يحمل قلمه - أسكنه الله فسيح جنته وغفر



**بقلم:
محمد بن احمد
العقيلي**

من قراءاتي في الأدب الثقافي

((٢))

ألف بعد ذلك كثيراً من الكتب الرائدة ومن أشهرها كتاب «الوسائل والغايات» وهو بحث قيم في طبيعة المثل العليا - بالنسبة للغرب عامة وبريطانيا خاصة، طبع عام ١٩٣١.

وفي كتاب «الوسائل والغايات» عرض ونقد وإصلاح للأنظمة السائدة في العالم الغربي والحروب وأسبابها والأخلاق والمعتقدات، ثم

ألف «العالم

الطريف» وهو قصة

خيالية طريفة

يتصور فيها

«هكسلي» مستقبل

الإنسان إذا هو

واصل تقدمه نحو

الحضارة المنشودة

على أساس علمي - في الغرب - دون مراعاة

للمثل الإنسانية الرفيعة غير أن «هكسلي»

ينذرهم في كتابه بأن السعادة المرجوة لن

تتحقق على أساس التضحية بالمثل والقيم

الإنسانية الرفيعة.

ولد «أولدر ليونارد هكسلي» سنة ١٨٩٤م في إنجلترا، وهو من أنشط الكتاب والمؤلفين بدأ حياته الأدبية شاعراً كغيره ممن يبدأ حياته بالشعر، وهم الأغلب، ونشر شعره لأول

مرة في مجلة

«هويلز» ثم جمعه

في ديوان عنوانه

«العجلة المحترقة»

سنة ١٩١٦م وفي

تلك السنة اشترك

مع غيره من الأدباء

في جمع ديوان

شعر «اكسفورد»

وبقي شاعراً طوال حياته مخالفاً بذلك الكثير

من أدباء عصره الذين انصرفوا عن الشعر

إلى النثر، وظل شاعراً ثائراً على العالم الذي

يقوم على الأسس العلمية، كما أنه غير راض

على ازدياد نفوذ العلم في حياة الناس، وقد

أولدر ليونارد هكسلي

العالم الطريف

أخرجها في كتب أدبية وسياسية رائعة تتسم
بنصاعة الأسلوب وجميل الأداء.

وقد ألف قبل ذلك كتاباً بعنوان «الجزيرة»
وهي قصة جديدة يتصور فيها «هكسلي»
الحياة الجديدة في جزيرة نائية بعيدة عن
الحضارة، وقد أراد بهذا الكتاب أن يعدل
بعض الشيء عن تشاؤمه الذي ضمنه كتابه
السابق «العالم الطريف» إلى نوع من أنواع
التفاؤل بمستقبل الإنسان وإن العلم تقدم
ويكشف جديداً كل يوم.

أما كتابه «العالم الطريف» فخلاصة
محتواه هو تعبير «هكسلي» عن خوفه من
سيطرة العلم على حياة الناس ولعله من بين
الكتاب الأحياء في عصره جميعاً الكاتب
الوحيد الذي يستطيع أن يصور نتائج العلم
بجرأة ووضوح.

وهو في ذلك الكتاب عالم وشاعر يرسم لنا
صورة بشعة يتقزز منها القارئ، كما تقزز
منها الكاتب، في هذا الكتاب يتخيل
«هكسلي» أن العلم سوف يصل بنا إلى حد
الإستغناء عن أشياء كثيرة ومنها تكوين
الأجنة في قوارير بطريقة علمية بدلا من
تكوينها في الأرحام، ثم إلى غير ذلك.

والعالم الجديد في نظره تهمة السعادة
أكثر مما تهمة المعرفة وهي سعادة آلية لا

إن تلك الصورة الخيالية التي رسمها
«هكسلي» لمستقبل الحضارة البشرية ممعنة
في الخيال مغرقة في التشاؤم إلى الحد الذي
لا يدعو إلى تصديق وقوعها، ومع ذلك إن
كثيراً مما تنبأ به «هكسلي» في كتابه هذا بدأ
فعلاً يتحول إلى حقيقة واقعة في حياة ذلك
العصر ويسرعة لم تكن تطرأ للمؤلف نفسه
على بال. ثم بعد ذلك أخرج «هكسلي» كتاباً
آخر تحت عنوان «عود إلى العالم الطريف»
عالج الأخطار العظيمة التي تواجه العالم
اليوم، وأهمها - إذا استثنينا القنبلة
الهيدروجينية - زيادة سكان العالم، المبالغة
في التنظيم - فزيادة السكان في نظر
«هكسلي» لابد أن تؤدي إلى الحكم
الديكتاتوري.

وكان يعيش عيشة بسيطة بعد أن انتقل
إلى أمريكا. و«هكسلي» يذهل الزائر له بعمق
ثقافته وشموليته فهو على دراية تامة بتقديم
العلوم الطبيعية والتاريخ السياسي وتاريخ
الأديان والكثير من اللغات الحية واللغات
البائدة وآداب الشعوب ومشكلاتهم السياسية
والاقتصادية ونظريات التطور وعلم النفس
الحديث والقانون القديمة والحديثة وكافة
ضروبها وعلم الفلسفة والتربية، فالرجل
موسوعة علمية، امتزجت أفكاره وكون من
هذا المزيج معلوماته الخاصة والعامة التي

يليق بشيء مستحب، وما لا يليق بشيء كريه
ترابطاً نفسياً.

وأخيراً يصور «هكسلي» النزاع بين القديم
والجديد في صورة صراع ذهني شديد ينشب
في نفس شاب من منطقة المتوحشين يزور
هذا العالم الطريف فيتنقز منه وتشمئز نفسه
ويهرب منه في عزلة يفكر فيها عن ما لحقه
من دنس ويعذب نفسه حتى الموت، وبهذا
تنهزم المدينة التي نعيشها أمام «العالم
الجديد» الذي يقوم على أسس علمية بحتة،
وينتقد على ذلك الكاتب أنه سلبي أي أن
الكاتب يسخر ويتقزز بدون أن يقدم لنا حلاً
جديداً أو بدلاً صالحاً لمشكلة الحياة، فهو
بذلك يهدم ولا يبني.

وفي الأمور الروحية لا يقدم سوى مجرد
انتقاد أفكار. وفي المملكة الحيوانية رأها
تأكل وتتكاثر بغير ثمن وإدراك، وهكذا الحياة
بالمدينة الفاضلة العلمية فهي ليست إلا خيال
فئة من العلماء الطبيعيين الذين يعيشون في
خواء روحي نون عقيدة صحيحة أو اعتقاد
ديني صحيح.

ولكن نلمس من خلال الحوادث التي تقع
في القصة أن «هكسلي» ينادي بالعودة إلى
بساطة العيش وإلى الأمومة الصحيحة وإلى
الأطفال ترعاهم أمهاتهم وإلى الذي لم يلوث

توجهها نفوذ شخص، وإنما تفرض على
النفوس فرضاً، فمثلاً إذا أردت شيئاً في
العالم الجديد فانت لا تفكر فيه ولا تسعى
إليه، وإنما يكفيك أن تضغط على زر أو تدبر
مقبضاً يكون لك ما تريد، وليس من شك فإن
تلك الحياة رغم يسرها الشديد تدعو إلى
الملل، كما تؤدي إلى إهمال الفنون الرفيعة
والشعور الديني الكريم والروح العلمية
الصحيحة التي تهتم باكتشاف أسرار
الطبيعة أكثر مما تهتم بسعادة الإنسان
وراحته.

كل تلك الآراء بسطها «هكسلي» في كتابه
وهي ليست قصة بالمعنى المألوف فهي تتقدم
فيها العقدة أو تكاد ولا تأبه بتحليل
الشخصيات، وإنما هي قصة أساسها علمي،
تهتم بشرح الآراء وتحليل الأفكار، وينقض
الحضارة الإنسانية من أساسها.

وكثيراً ما يرسل الكاتب فيها نفسه على
سجيتها، لا يتقيد بترتيب معين أو منطق
خاص يدور الأفكار وفقاً لتواردها في ذهنه،
فهو يجمع بين المتناقضات ويؤلف بين الغريب
والبعيد والعلوي والأسفل في أسطر قلائل
ويؤدي به أحياناً إلى شيء من الغموض.

في العالم الجديد الذي يتخيله الكاتب
يستطيع الإنسان أن يتحكم في تربية الأطفال
بالتكرار والإيحاء فيصوغهم كيفما يشاء،
يرغبهم في هذا ويبغضهم في ذاك بربط ما

بالعلم والمادة. ولكن كيف السبيل إلى ذلك
وتقدم العلم المطرد يهددنا كل يوم؟ كيف
يمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع أقل
كامالاً ولكن أكثر جرأة وطيشاً؟

ظل «هكسلي» عدة سنوات يتخبط في عالم
من الحيرة وبدنيا من الشكوك يفكر في
الإجابة عن ذلك التساؤل، حتى استطاع
أخيراً في عام ١٩٦٢م أن يخرج بقصته
الجديدة التي أشرنا إليها قبل بعنوان
«الجزيرة» وهي صورة لعالم آخر ومجتمع
مختلف يعيش في جزيرة «بالا» إحدى جزر
المحيط الهادي وفي هذه الجزيرة لا يستخدم
العلم، كما استخدم في العالم الطريف في
اضطراد التقدم المادي الذي لا يفسح للروحية
مجالاً، ذلك لأن الهدف في «بالا» يختلف عنه
في العالم الطريف فهو في الجزيرة تحليل
الأفراد وفي العالم الجديد السيطرة عليه
والتحكم فيه، وتثير جزيرة النعيم هذه حسد
البلدان المجاورة وعداوتها وبخاصة لكثرة ما
فيها من المعادن وحقول البترول وتدير
المؤامرات للاستيلاء عليها حتى يصل إلى
أرض الجزيرة أحد أفراد المؤامرة وهو
صحفي يعرف باسم «فرنادي» يقوم برحلة
بحرية فتتحطم سفينته ويلقي به اليم على
شاطئ الجزيرة ويتعرف «فرنادي» إلى
فلسفة أهل الجزيرة وطريق معيشتهم، فيشك
في كل ما لديه من قيم ومثل أتى بها من

العالم الحضاري، وبالقيمة الجديدة التي
يجدها الرجل شائعة بين أهل الجزيرة، ويأمل
في انقاذ مدينته السابقة مما تعانيه.

وفي الفصول الأخيرة من الكتاب ينتقل
شاب من أبناء منطقة المتوحشين، منطقة
العالم القديم ويلتقي ببعض أفراد المسئولين
عن الإحتفاظ بنظامه، وتدرج بينه وبينهم
محاورات وأحاديث يستشف منها القارئ
اختلاف وجهات النظر، تورد بعضها على
وجه الإختصار:

يسأل الشاب المتوحش: لماذا لا تبيعون
قراءة شكسبير؟

- لأنه قديم ونحن لا ننتفع بالأشياء
القديمة.

- حتى إن كانت جميلة؟

- وبخاصة إن كانت جميلة فالجمال جذاب
ونحن لا نريد أن يجذب الناس إلى الأشياء
القديمة، إنما نريدهم أن يحبوا الأشياء
الجديدة.

- لكن الأشياء الجديدة مملّة سخيفة كتلك
المسرحيات - يشير إلى المسرح في العالم
الطريف - التي لا ترى فيها سوى الطائرات
المحلقة والتي تحس فيها بقبيلات الناس؟ -
وقطب جبينه عابساً ثم قال: أولئك قردة
وما عز ٠٠ ولم يجد غير هذه الألفاظ التي تفوه
بها عليل في مسرحية شكسبير أسلوباً
للتعبير عن اشمئزازه... الخ.

فلسطين في وجدان الشاعر السوداني

وفي هذا يقول شاعرنا الشيخ عبد الله البنا [١]:

ولله شوقي إذ جلا النيل للورى
فخلّده نكراً ، وجاشت غواريه
وقد رفع الأهرام بالشعر خالداً
بها وبه اعتزت وعزت غرائب
وذلك ماضي الشعر ، أما حديثه
فسلني وسئل عن معجز أنا كاتبه!
قواف تنامت في العروبة ، لم يكن
ليبلغها مستعجم الألفظ ناضب
بيامي بها صيد الفحول ، وتخلب الـ
عقول ويزهيهما من اللفظ قالبه!

* ثم انتقل شاعرنا بعد ذلك إلى القضية الفلسطينية ، فقال [٢]:

تداعى العدا ييغون كيداً لشعبنا
وقد غرّمهم من خلب البرق كاذبه
وأوحوا لإسرائيل أن زعزعي الصمى
وصولي وخير الصؤل ما اشتد غاضبه
ولولا انحلال في الوداد ، وكثرة الـ
خلاف ، وجيش وأهن العقد خائبه
لما انتهكت سينا ولا القدس روعت
ولا اقتحمت شعب السويس مصائبه
ولا كانت الجولان قفراً مروعاً
تصول على غلب الأسود ثعالبه
ولا انشطر الأردن شرقاً ومغرباً
ولا جاس في حرّ الديار أجانبه!

** هكذا أوعزت دول الغرب إلى إسرائيل بأن تقض مضاجع العرب وتصول وتجول في ديارهم مستقلة في ذلك ضعفهم وتفرقهم ونار العداوات المستعرة بينهم لتصل إلي مآربها ومآرب الذين يسرهم زعزعة أمن العرب وسلام الأمة العربية.

إن من أعظم العقبات التي تعوق إثراء المثقفين أدبياً في عصرنا الحاضر - حيث تتوارى ثمرات الأدب - قصور الإعلام الذي لم يُعرَف بهذا النتاج الأدبي ، فقد حُجبت الرؤى والمعارف ، وتوارت القيم الفنية التي تعد عصارة فكر ونبضات قلب عشق العطاء الثر ، وتبعاً لذلك لا يعرف الكثيرون - في الوطن العربي - عن شعراء السودان ، كما لا يعرفون القاسم المشترك الذي يجمع بينهم وبين رصفائهم من شعراء مصر.

ومهما يك من أمر فإن الشعراء السودانيين قد نظموا في شتى الفنون والأغراض ، كما لم يخل شعرهم من ملامح البيئة السودانية وقيمها وتراثها ومجدها الطارف التليد ، كما أسهموا بشعرهم في



تحرير الشعوب من الذل والاضطهاد والاستبداد والاستعمار البغيض ، كما نظموا في الدعوة للتضامن والتكاتف والتآزر ونبذ

الخلافات ، بقلم: **عبد خيرى**
كما عزفوا كلية التربية - جامعة الملك
للعرب عبد العزيز - المدينة المنورة -
والعروبة
أنغاماً شجية تسحر القلوب وتخابط
الوجدان،

وهكذا اغتصبت الأراضي العربية عنوة نتيجة
لضعف الجيوش العربية وكثرة الخلافات التي
كانت سائدة بين الدول العربية في ذلك الوقت.

ثم بكى الشاعر على فلسطين واسترجع أيام
قوتها وعزتها واصفاً ما آلت اليه من خراب ودمار
فأصبحت موحشة مقفرة تعج بالآرامل واليتامى
وقد أصبحت كالكليث الذي فقد مخالبه فلم يعد
يخشى بأسه، فقال في نفس القصيدة:

فلسطين قفر موحش ومرور

تداعت مبانيه، وبكت مضاربه

فلسطين ليث فلل الغل بطشه

أصبحت ثنانياه، وقصت مخالبه

فلسطين ما أشقى الأيامي وأتس الـ

يتامى، يعاليمهم من الشر لازيه!

* ويتسأل الشاعر عن العرب الذين عمروا
وشادوا فلسطين، ويتحسر على القدس وما آلت
اليه من دمار وخراب. فهل من قائد شجاع يعيد
لهذه الأمة مجدها الغابر ويمحو هذا العار الذي
ألم بها؟ وفي هذا قوله:

فلسطين ، كيف القدس؟ كيف صلاته؟

توالت رزاياه وعمت نوائبه

فلسطين أين العرب؟ أين مفارهم؟

وأين فتى يدعو علواً يضاربه؟

* ثم يفتخر الشاعر بيوم النصر الذي جاء بعد
هزيمة نكراء لدولة إسرائيل، فبوت أصوات التكبير
والتهليل بالنصر المبين وانهض حصن إسرائيل
الحصين الذي ادعوا أنه لن يقهر وإن يدك، ولقد
أسكت هذا النصر أصوات موشي ديآن وجولدا
مائير وأقمهما حجراً فسكت تبجحهما بأنهما
يقودان شعب الله المختار والقوة التي لن تقهر،
فأصبحا يعضان بنان الندم، فقال في نفس
القصيدة:

ألا إن إسرائيل ضلّت وساقها

علو خبيث الكيد سود مثالبه

لقد ربحت أرضاً، وأحيت عبادة
سنيقها ذلاً إلى الموت دائبه
ستصلى بنان الحرب من فتية الحمى

تضرمها أنجابه، وتجايبه

صواعق من جو السماء يعينها

حريق من الفبراء يسود لاهيه

ألم تر يوم النصر إذ طار حصنها

هباء وجيش الخزني قد جد هاربه؟

ألم تر جيش العرب كيف تساندت

قواه وعين الله فرحى تراقبه؟!

ألم ترمم إذ كبروا وتكبروا

عليها وساموها أنى لا تجانبه؟

وساروا كأن المصطفى في صفوفهم

بخيبر، يدعو والسماء تجاوبه!

ألم تر ديآن ومائير، إذ هوى

سلاحهما للعرب، واشتد ناهبه!

* ثم أربف شاعرنا قائلان:

ألا تلك أولى النائبات، فشمري

لأخرى ، سيصلي شرها من يصاقبه

ومن داف مر السم غلواً لجاره

فلابد أن يسقى به، وهو شاربه

* وهكذا من جرّع السم لجاره غدرأ سيسرب لا
محالة من نفس الكأس المترعة بالسم الزعاف،
وقديماً قيل الجزء من جنس العمل.

والدكتور عبد الله الطيب قصائد شتى في
العرب والعروبة متناثرة في دواوينه المختلفة، ومن
ذلك قوله في فلسطين[٢]:

في الشرق والغرب إخوان ألم بهم

صرّف الزمان فأتى الظفر والنابا

مُشرّنين بآفاق رجائهم

داج ألح جبين الشمس أم غابا

النور صارت لإسرائيل خالصة

والمال غوير أنفالا وأسلايا

تحت عنوان «لا تقربوا بيدي حجر» يقول:
 شَعَبُ الْمُقَامَةِ اقْتَدَرَ
 وَأَبَى الدُّنْيَةَ وَابْتَدَرَ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَصْلَوْهُ نَاراً
 أَضْ كَالذَّهَبِ انصَهَرَ
 وَبَدَا كَمَا انْبَلَجَ الضُّحَى
 بِهِجاً كَمَا اتَسَقَّ الْقَمَرُ
 شَتَّانَ مَا عَهْدُ أَتَى
 ضَمَّاحَ وَمَا عَهْدُ غَبَرُ
 وَفُضِحَ الطَّرِيقُ إِلَى الْخَلَا
 صَ وَابْيَسَ يَخْطُهُ النَّظَرُ
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ
 وَلِكُلِّ أَمْرٍ مُسْتَقَرُّ

* ومن حرص شاعرنا الكبير على اللغة العربية محاولته تذكير الناس بما كاد يندثر من مفردات اللغة الأصلية في ثقافتنا الماثلة كقوله «أض كالذهب انصهر» و«بهجاً كما اتسق القمر».

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف معاناة الشعب الفلسطيني مصوراً هذه المعاناة تصويراً دقيقاً رائعاً في قوله:

مَضَغَ الْأَسَى حِيناً عَهِيداً وَاسْتَنَامَ عَلَى حِزْرٍ
 وَخَطَاهُ تَضَرُّبٌ فِي دُجَى لَيْلٍ تَكَاثَفَ وَاعْتَكُرَ
 يَهْوُو إِلَى غَدِّهِ الْمُطْرُزُ بِالْأَصَائِلِ وَالْبِكْرُ
 قَدْ كَانَ مَضْجَعُهُ الْحَصَى وَالتُّرْبُ أَغْبَرُ وَالْمَرْزُ
 تَفَزُّ الْهَوَامُ السَّارِيَاتُ جَنُوبَهُ وَخَزُّ الْإِبْرِ
 وَهُوَ الدُّقْنُ عَلَى الْعَرَايِرِ فِي غَيَابَاتِ الْحُفْرِ
 * تتسم هذه الأبيات بجمال التصوير والتجسيد في قوله: «مضغ الأسى حيناً عهيداً واستنাম على حذر» ثم باستخدامه للغة القرآن الكريم في قوله:
 تَفَزُّ الْهَوَامُ السَّارِيَاتُ جَنُوبَهُ وَخَزُّ الْإِبْرِ
 وَهُوَ الدُّقْنُ عَلَى الْعَرَايِرِ فِي غَيَابَاتِ الْحُفْرِ

* فكلمة «الساريات» و«غيايات الحفر» من العبارات التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَمُسَارِبُ

بِهَافَهُمْ مَا دَهَانَا مِنْ مَوَاعِدَ لَا يُوفِي بِهَا جُعِلَتْ مَنِيناً وَكَذَّابَا
 * ونحس في هذه الأبيات بفداحة الخطب وجور الزمان الذي قلم أظافر هؤلاء القوم ولم يقدروا على شيء فتفرقوا أيدي سباً وانتهكت بلادهم وأموالهم، وإسرائيل تُمنيههم بين الفينة والأخرى بدنو حل قضيتهم بلا طائل، وهم في ذلك مثلاً إذ كان يعدنا الاستعمار البريطاني الذي جثم على صدر السودان ربحاً من الزمان بالاستقلال ولكنها كانت مواعيد عرقوب لا يوفي بها.

ثم يأتي الدكتور بابكر البسوي دشين في قصيدته «القلب الجديد» فيسوق أمنيته الخالصة وتعطشه وشوقه لتحرير الأقصى المبارك، حيث يقول[٤]:

يَا شَوْقَ نَفْسِي يَوْمَ تَلَمَعَ عِنْدَهُ
 بِيضُ السُّيُوفِ وَيَوْمَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا
 حَتَّى نَقِيمَ صَلَاتَنَا فِي مَسْجِدِ
 أَسْرَى النَّبِيِّ لَهُ وَصَلَى مَوْهِنَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي كَلِمَا
 نَادَى الْمَنَادِي لِلصَّلَاةِ مَوْثِقَنَا
 * وفي هذه القصيدة يخاطب شاعرنا خادم الحرمين الشريفين بقوله:

يَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ هَذَا فَجَرْنَا
 قَدْ لَاحَ وَالنَّصْرُ الْمُبِينُ لَنَا نَفَا
 نَكُتُ حِجَارَتَنَا الْعَصَوْنَ وَزَاوَلَتْ
 أَبْطَالَنَا جَيْشَ الْعَصَا الْأَرْعَا
 يَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ تِلْكَ أَمَانَةُ
 وَنَرَاكَ أَنْتَ بِهِمَا الْأَمِينُ الْأَقْمَنَا
 إِذْ كُنْتَ أَصْلَبَ مَكْسُراً وَأَعَزَّنَا
 وَطَنًا وَأَشْرَفَ بِالْعَقِيدَةِ مَعْنَا

* وفي هذه الأبيات تجسيد لانتفاضة أبطال الحجارة وطمأنة لهم بأن أمر رعايتهم في أيدي أمينة وحصن مكين.

وفي قصيدة للشاعر محمد عبد القادر كرف

بالنهار][ه]، وكذلك في قوله تعالى: [وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَاتِ] [٦] الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ][٧] وهي قراءة الإمام نافع، وهي قراءة سيخية يعرفها الشاعر لأنها منتشرة في غرب وشمال السودان.

ويمضي الشاعر في الانتفاضة ويشبه الشعب الفلسطيني بالريح الشديدة التي لا تأتي على شيء إلا وتجعله كالرميم، فهي لا تبقي ولا تذر، ويشبه كذلك الحجارة التي يستخدمها الفلسطينيون بالحجارة التي رميت بها جيوش أبرهة حين رام هدم الكعبة المشرفة، وذلك في قوله:

وَإِذَا بِهِ كَالرَّيْحِ يَعْصَفُ لَيْسَ يَبْقَى أَوْ يَلْزُ

بِفُضِّ الْقَيْدِ وَصَاحَ فِي وَجْهِ الْقَرَامِطَةِ الْفَجْرِ لَا تَجْزَعُوا أَنِّي هُنَا مَا فِي يَدِي إِلَّا حَجَرٌ

هَشٌّ وَلَكِنْ كُلُّمَا نَاصَ رِقَابُكُمْ أَنْفَجِرُ يَنْقُضُ تَحْسَبُهُ الشُّهُابُ شِعَاعَهُ يَفْشَى الْبَصَرُ

وَأَمَلُ سَرًّا بَثَّ فِيهَا فُوهِي بِالْفَأَةِ الْأَثَرُ صَكَّتْ فَيَالِقُ جَيْشَ أِبْرَهَةَ الْهَلْجُ فَانْكَسَرُ

قُلْ لِلَّذِي ابْتَدَعَ السَّلَاحَ وَسَامَهُ وَهْ أَنْجَرُ لَيْسَ السَّلَاحُ طَرِيقَ نَجَارِ الْحَرْبِ إِلَى الظَّفَرِ

هَذَا هُوَ الشَّعْبُ الْفَلَسْطِينِيُّ بِالْحَجَرِ انْتَصَرُ * وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ - أَيُّهَا الْقَارِيءُ الْكَرِيمُ - تَأَثَّرَ

الشاعر بلغة القرآن المجيد وذلك في قوله «ليس يبقى أو يذر» فقد اقتبس الآية الكريمة: [لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ] [٨] وكذلك الآية الكريمة: [فَاقْبَلْتُمْ أَمْرَاتِهِ فِي صَرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ] [٩].

ثم يختم شاعرنا قصيدته بقوله:

قُلْ لِلْيَهُودِيِّ الْقَبِيحِ الْوَجْهَ حَاقَ بِكَ الْخَطَرُ

تَبَّأُ لَوْجِكَ شَانَتْهُ فِيهِ الدَّمَامَةُ وَالصُّعْرُ تَارِيخُكَ الدَّمَوِيُّ فِي أَرْضِ النُّبُوَّةِ مُسْتَطَرُ

فِي تَبْرِ يَاسِينَ وَفِي صَبْرَا وَفِي الْقُدْسِ الْأَعْرُ أَنَا مَنْ يُحَرِّرُهَا وَيَنْفِي عَنْ طَهَارَتِهَا الْقَنْدَرُ

أَنَا نَوَ السَّانِ الْبُعْرِيُّ وَحَامِلُ السَّيْفِ الذُّكْرُ وَأَخُو الْقَنَاةِ وَصَاحِبُ الْفَرَسِ الْمَحْجَلِ وَالْأَعْرُ

أَنَا فَاتِحُ الْأَمْصَارِ خُصَّتْ الْمَوْتَ فِي بَحْرِ وَبَرٍ
أَنَا بَاعْتُ النَّوْرَ الَّذِي عَمَّ الْبَوَادِي وَالْحَضَرَ
وَوَرَانِي الْفَرَّ الْأَوَّلُ مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مَضَرَ
بِيَدِي كِتَابٌ كُلُّ حَرْفٍ فِيهِ يَنْفُضُ كَالْوَتَرِ

* يخاطب شاعرنا في هذه الأبيات الرائعة اليهود ويعددهم بأن الخطر ستحقق بهم لا محالة، ثم يدعو إلى تحرير أرض فلسطين المغتصبة من أيديهم، كما يظهر تأثره بالتراث وتمسكه بكتاب الله المحكم المبين الذي هو ذكر لقومه وزاد مدح نفسه، وإنه لخير الزاد.

ويطالعنا الشاعر محمد المهدي المجتوب بقصيدة بعنوان «فلسطين» يفتتحها بقوله: [١٠]

جَاشَ مِنْهَا الدَّمُ الْجَدِيدُ كَمَا جَاشَ الْبَرَائِكُنِ بِالْهَلِيبِ الْعَتِيدِ
شَفَقَ مَا فِي الْبَطَاحِ كَمَا مَا فِي غُرُوبٍ عَلَى عِبَابِ شُرُودِ

فِي فِلَسْطِينَ نَوْلَةَ لِلْيَهُودِ أَوْ عَادَ بَنُ مَرْيَمَ الْوُجُودِ
إِنْ يَكُونُوا هُمْ الْأَلَى خَلَقُوا عِيسَى وَحِيداً عَلَى جَلَالِ وَحِيدِ

ثُمَّ أَعْلَوْا صَلَيبَهُ ذَا جَنَاحَيْنِ كَرُخْ مُحَلَّقٌ بُولِيدِ
فَهُمْ رَاوُفُوا شَرِيعَةَ يَسَ وَهُمُوا بِصَلْبِهَا مِنْ جَنِيدِ

* يتعجب الشاعر من إقامة نولة لليهود في فلسطين ويذكر العالم بقبائحهم حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى عليه السلام: [وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ] [١١] ، وتظهر روعة التشبيه والصورة الفنية في قول الشاعر:

ثُمَّ أَعْلَوْا صَلَيبَهُ ذَا جَنَاحَيْنِ كَرُخْ مُحَلَّقٌ بُولِيدِ
* حَيْثُ شَبَّهَ الصَّلِيبَ الَّذِي يَتَخَذُونَهُ رَمْزاً

لَاكَانِيْبَهُمْ وَافْتَرَاةَاتِهِمْ بِطَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ مُحَلَّقاً
فِي جَوِ السَّمَاءِ .

ويمضي الشاعر إلى ذكر غدر اليهود ومكرهم مشيراً إلى قوله جل ثناؤه: [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] [١٢] ، وذلك حيث يقول:

شَعْبُ إِسْرَائِيلَ كُنْتُمْ الْفَرَّ الْخَالِصَ لِلَّهِ مِنْ نُذُوبِ الْعَبِيدِ
فَعَلِمْتُمْ وَمَا انْتَهَرْتُمْ عَلَى السَّبْتِ فَصَرْتُمْ أَثَلَةً كَالْقِرَدِ

* ثم يذكرهم بأن النبل الذي أغرق الله فيه آل فرعون وهم ينظرون ، عاد له سره القديم ولم ينس تلك العهود ، وأن الفجر قد طلع منذراً بصبح الموعيد والصبح قريب:

وَيْلَكُمْ وَيْلَكُمْ لَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ وَلَكِنَّهُ صَبَاحُ الْوَعِيدِ
رَعَشَ النَّبْلُ مِنْ مَنَابِعِ الزُّرْقِ إِلَى الْبَحْرِ جَارِقاً لِلْسُّلُودِ
عَادَهُ سِرُّهُ الْقَدِيمِ وَلَمْ يَنْسَ عَهْدَهُ الْعَلَا وَثَرَّ الْجَنُودِ
عَرَبِيٌّ يُضْمَرُ الْخَيْلَ فِي اللَّهِ وَيَحْنُو غِبَارَهَا بِالْبُنُودِ

* ويخاطب الشاعر بني العرب ويشير إلى ما اعتاده أعداؤهم من خلف الوعود ونقض العهود، فلا هم يستجيبون ولا هم يسمعون نداء الضمير العالمي لأنهم كالأموات، ويسدي الشاعر نصحه للوفود التي تطلب رد الحق لأهله بأن يحذروا مكر عدوهم الحقود. هذا ويذكرهم بأخيهام قصير الذي استطاع الخلاص من الزبأ - إحدى ملكات العرب الشهيرات - بخدعة ذكية إذ أخفى الرجال في حاويات قدمها هدية لها، فلما أدخلهم قصرها انقضوا عليها وقتلوا شر قتلة. ويربأ الشاعر بهم أن يساموا خسفاً ويجرعوا كأساً مترعاً بالمرارة تفص به حلوهم، ثم يقطع الشاعر بأنهم لن يرضوا بالذل والقره والهوان، فقال:

يَا بَنِي الْعَرَبِ قَدْ عَرَفْتُمْ وَجْهَ مِطَالِ الْعَدَى وَأَمْسَحَ الْبَعْدِ
أَتَصْبِحُونَ فِي الْأَحْدَى، وَهَلْ تَسْمَعُ هَذَا النِّدَاءَ صَمُّ الْأَحْدَى؟
عَرَضُوا بِالرُّبُودِ وَلَيْكُنَ السَّيْفُ خَيْبَةً لَدَى ثِيَابِ الْوُفُودِ
وَقَصِيرٌ أَخَوَكُمْ وَهَبَ الزُّبَاءَ مَوْتاً عَلَى بَعِيرٍ وَابِدِ
حَاشَ لَنْ أَنْ تَبْتَغُوا عَلَى الْخَصْفِ وَتَسْتَقْرُوا نَقِيعَ الْهَيْدِ

* ثم يلتفت الشاعر في أسى عميق إلى الأراضي المقدسة ويشكو مما أصاب فلسطين من العذاب المهين، ويظهر تأثر الشاعر بالتراث حيث تخيل لنفسه صاحبين له يدعوهما ليعيناه على أداء حقوق نام قاضيهما:

يَا خَلِيلِيْ عَاوَنَانِيْ فَلَاشْجُوْ حَقُوْقِيْ عَلَى فُؤَادِي الْعَمِيدِ
نَبِيّاً قَبِيْ يَنْبَرِيْ مَا نَالَ فَلَاسْطِينَ مِنْ عَذَابِ شَدِيدِ

وَارْمَقَا مَكَّةَ عَلَى أَمْنِهَا الطُّهْرَ وَسُأَ تَرَابِهَا بِالْخُدُودِ
وَالْمَسَا الْبَيْتَ رَاهِباً حَقَّهُ النَّاسُ وَجِدْأً عَلَى غُلَاثِلِ سُودِ
* ويمضي الشاعر إلى وفود الرحمن يدعوهم للتضرع والساء ويذكرهم بمهد عيسى عليه السلام وثالث الحرمين الشريفين: وإذا ما الحبيب آمن في الذكرى وأضفى على خضوع مديد فاندعوا كل مسلم عبد الله وألقى جبينه للسجود أفلستين قبله المسلم الأول في لفة الفبين الحريدا مهد عيسى أمناً من يد الله وسطر من الكتاب المجيد

* وفي قصيدة بعنوان «الفردوس المفقود» عبر الشاعر محمد أحمد محبوب عن ذكريات كان يختزنها في قرارة نفسه عندما حلّ بأسبانيا مثلاً لبلاده في مؤتمر عقد بها في عام ١٩٦٧م، و«الفردوس المفقود» هي بلاد الأندلس تشكو حال زمانها ومجدها الطارف التليد، وقد صاغ الشاعر هذا المجد المندثر في شعر اتسم بحسن السبك وعذوبة الكلمة وطلاوتها، فقال[١٢]:

نَزَلَتْ شَمْلُكَ بَعْدَ الْبَيْنِ وَلِهَانَا
فَنَقَتْ فِيهِ مِنَ التَّبْرِيحِ أَلْوَانَا
وَسَرَتْ فَيْكَ غَرِيباً ضَلَّ سَامِرُهُ
دَاراً وَشَوْقاً وَأَحِبَاباً وَإِخْوَانَا
فَلَا اللِّسَانَ لِسَانَ الْعَرَبِ نَعْرِفُهُ
وَلَا الزَّمَانَ كَمَا كُنَّا وَمَا كَانَا
وَلَا الْخُمَائِلَ تَشْجِينَا بِلَابِلِهَا
وَلَا النُّخَيْلَ سَسْقَاهُ الطَّلَّ بِلِقَانَا
وَلَا الْمَسَاجِدَ يَسْمَعِي فِي مَلَأَتِنَا
مَعَ الْعَشِيَّاتِ صَوْتَ اللَّهِ رِيَانَا

* ثم يمضي الشاعر في مسيرته مصوراً الماضي التليد الذي لم يبق منه سوى الآثار والأطلال التي تثير كوامن النفس وتوقد الوجدان، فقال في أشقوب سلس بليغ:

كَمْ فَارَسٌ أَوْفَى أَلْجَدَ شَرَعَتِهِ
وَأُورِدَ الْخَيْلَ وَيْدَاناً وَشَطَاتِنَا
وَشَادَ لِلْعَرَبِ أَمْجَاداً مَوْثَلَةً
دَانَتْ بِسُطُوتِهِ الدُّنْيَا وَمَا دَانَا

سنجعل الأرض بركائناً نجبره
في وجهه بأعْيُ يراه الله شيطاناً
فينمحي العار في راد الضحى فنرى
أن العروية تبني مجدها الأنا

* وهكذا وجدت القدس كما وجدت القضية
ال فلسطينية مكاناً سامقاً في وجدان الشعراء
السودانيين فصاغوا في ذلك شعراً مقعماً بحارة
العاطفة وعمق الشعور وصدق المعنى وحسن
السبك.

الهوامش:

(١) ديوان النيلة قصائد مختارة من الشعر المصري
والسوداني، إعداد لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر، والمجلس القومي للآداب
والفنون بالسودان (القاهرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٠م) ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) د. عبد الله الطيب: أصداء النيل، دار المعارف بمصر،

١٩٦٠م، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) «ملحق التراث» جريدة المدينة المنورة، الخميس ٢٢

جمادى الأولى ١٤١٠هـ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٩م، العدد ٨٢٥٩.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٠.

(٦) أنظر حجة القراءات لابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني،

مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م،

ص ٢٥٥.

(٧) سورة يوسف: الآية ١٠.

(٨) سورة النثر: الآية ٢٨.

(٩) سورة الذاريات: الآية ٢٩.

(١٠) محمد المهدي المجنوب: نار المجانيب، بيروت، دار الجيل،

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥٦.

(١١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(١٢) سورة البقرة: الآية ١٥.

(١٣) محمد أحمد محجوب: مسبحتي وبني (ديوان شعر) دار

المعارف بمصر ١٩٧٢م.

وهلّل الشعر زفراقاً مقاطعه
وفجّر الرّوض أطيافاً والحنان
يسعى إلى الله في محرابه ورعاً
ولجمال يعد الروح قريانا
لم يبق منك سوى نكسرى تؤرقنا
وغير دار هوى أصفت لنجوانا
أكاد أسمع فيها همس واجفة
من الرقيب، تمنى طيب لقيانا
طفنا بقرطبة الفيحاء نسلها
عن الجنود ٠٠ وعن آثار مروانا
عن المساجد وقد طالت مآثرها
تعانق السحب تسبيحاً وعرفانا
وعن ملاعب كانت للهوى قسماً

* ثم انتقل شاعرنا بعد ذلك إلى الحديث عن
فلسطين وقد بلغه اندحار الجيوش العربية في
نكسة عام ١٩٦٧م، فبكى فلسطين وحق له أن يفعل
ذلك، كما عاهد أبا الوليد - الشاعر والوزير
الأندلسي (ابن زيدون) - بأنهم عقدوا العزم للثأر
مهما كلفهم الأمر، لأن الجرح قد وحدهم وسوف
ينتصرون بلا أدنى ريب، أما القدس فسوف
يفتونها بالنفس والتفيس، فقال:

هذي فلسطين كانت والوغي نول
تكون أنديلساً أخرى وأحزاننا
نفس على النل أحزاباً مفرقة
ونحن كنا لحزب الله فرساننا
وماحنا في جبين الدهر مشرعة
والأرض كانت لخيّل العرب ميدانا
أبا الوليد عقدنا العزم أن لنا
في غمرة الثأر ميعاداً وبرهانا
الجرح وحننا والثأر جمعنا
للنصر فيه إرادات ووجدانا
لهفي على القدس في البأساء دامية
نفديك يا قدس أرواحاً وأبدانا

حوار مع: الأستاذ الدكتور / حلمي طه الشاعر،
المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية بسفارة
جمهورية مصر العربية بالرياض

أ.د حلمي طه الشاعر، في سطور:

في مقر البعثة التعليمية لجمهورية مصر العربية بالرياض التقيت بالأستاذ الدكتور حلمي طه الشاعر، وكعادته في استقبال الضيوف اسرع واقفا مع ابتسامة عريضة صاحبها كلمات الترحيب ماداً يده للمصافحة، ابتسامته تحمل طيبة المصريين وحسن سريرتهم، ويعد أن جلست معه بعضاً من الوقت في «درشة» خفيفة بدأنا حوارنا هذا حول محوره الأساسي:

نور المكتب الثقافي التعليمي المصري في خدمة المواطن والجالية المصرية بالملكة: المنهل.

* ما هو الدور الأساسي الذي تؤديه البعثة التعليمية التابعة لسفارة مصر العربية لخدمة والجالية المصرية في المملكة والمواطن السعودي؟ وما مدى التعاون بين الجهات الرسمية بالملكة وأنشطة هذه البعثة؟

** البعثة التعليمية

بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض تدرّك تمام الإدراك أنها ليست بعيدة عن وطنها فهي حقيقة في وطنها الثاني، فالعلاقات التي تربط

مصر والسعودية علاقات متعددة وقوية جداً في شتى المجالات ولها جذورها العميقة، ولذا كان على هذه البعثة أن تعطي صورة واضحة وصحيحة عن مصر بحيث تشمل إبراز معالم

* دكتوراه في الفيزياء من جامعة عين شمس «تخصص فيزياء جوامد» عام ١٩٧٥م.

* عمل بكلية التربية، جامعة عين شمس معيداً ومدرساً مساعداً وأستاذاً مساعداً وأستاذاً بقسم الفيزياء.

* كما عمل استاذاً مشاركاً بكلية التربية بالمدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) لمدة خمس سنوات ١٩٨٣م - ١٩٨٨م بجامعة الملك عبد العزيز.

* عمل معيداً لكلية التربية النوعية بالمنوفية «جمهورية مصر العربية».

* رئيس تحرير مجلة «طيبة» وهي مجلة داخلية يصدرها المكتب الثقافي التعليمي لعرض فعاليات الأنشطة الثقافية والفكرية والفنية التي تنظمها السفارة المصرية والمكتب الثقافي.

* له العديد من الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات العلمية العالمية المتخصصة.

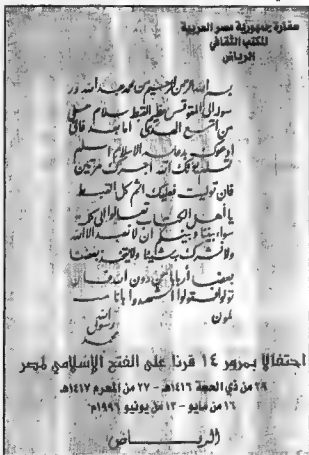
* له مشاركاته في مجال التقويم للمرحلة الثانوية المصرية.

إعداد:

عقيل بن ناجي
المكي
- الرياض -



.. الأستاذ الدكتور حلمي الشاعر في مكتبه... ومعه مجري الحوار الأستاذ عقيل المسكين.



التاريخ المصري وبيان الدور الكبير الذي قامت به مصر في سبيل تقدم الحضارة الإنسانية على مختلف العصور وكذلك عرض صورة حياة النهضة الحديثة في مختلف الميادين والتعريف بنواحي التقدم الفكري والفني بجمهورية مصر العربية في التأليف والترجمة وغير ذلك من تطور الإنتاج الفني مع بيان

المقومات الأساسية للثقافة المصرية وأنها ثقافة اسلامية في الأصل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تقوم البعثة بإعداد المواطن السعودي بالمعلومات والبيانات التي يطلبها بغرض التحاقه بالجامعات المصرية سواء في مرحلة الليسانس والبيكالوريوس أو في مرحلة الدراسات العليا، وكذلك المعلومات الخاصة بالسياحة، واني أعتقد أن مصر من البلدان المناسبة سياحياً للمواطن السعودي وذلك نظرا لعدم تواجد أي احساس بالغربة بالنسبة له عند سفره الى مصر فهو في وطنه الثاني.

أما دور البعثة التعليمية للجالية المصرية في المملكة فهي تقوم بالتصديق على الشهادات المصرية وتوضيح موقف الطلاب عند انتقالهم الى الدراسة بمصر كما أنها تقوم بالإعداد لامتحانات أبنائنا في الخارج وهذا النظام مخصص للطلاب المصريين الذين يقيمون مع ذويهم خارج مصر (في جميع أنحاء العالم) ويدرسون حسب نظام التعليم المصري حيث «يعملون حساباتهم» على عودتهم الى مصر في

أي وقت من الأوقات، هؤلاء الطلاب يسمح لهم بالإمتحان خارج مصر بسفاراتهم ويقوم المكتب بإعداد وتجهيز هذا الإمتحان، كما أن الطالب المصري الذي يدرس بالمملكة بمجرد بلوغه سن



- مجموعة من الاطفال يشاركون في الفعاليات.

الثامنة عشرة فعليه أن يخضع لنظام الإشراف العلمي وهذا الإشراف يقوم به المكتب أيضاً وله قواعده ونظمه ولوائحه، بالإضافة الى الاتصال بالجهات السعودية المسؤولة لتسيير بعض الأمور المتعلقة بالطلاب سواء من يتبع لوزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات.

ومن جهة التعاون بين المكتب والجهات الرسمية في المملكة

فإنني في الحقيقة أشيد بالتعاون التام مع القائمين على العملية التعليمية سواء في وزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات حيث أنهم لا يخلون إطلاقاً لبذل أقصى جهد ممكن لحل ما يقابلنا من مشاكل كما أشيد أيضاً بحسن التعاون مع الرئاسة العامة لرعاية الشباب وهذه الجهات هي التي تتصل مباشرة بأنشطة المكتب وهناك الكثير من الجهات الرسمية الأخرى ولكنها لا تتصل مباشرة بأنشطة المكتب وزغماً عن ذلك فإنها تبذل أقصى جهد ممكن عند اللجوء إليها.

المنهل:

* كان للموسم الثقافي للعام الدراسي المنقضي ١٩٩٥م ١٩٩٦م عدة نشاطات ثقافية وفنية وأدبية وفكرية ودينية، وأبرز هذه النشاطات الاحتفال بمرور أربعة عشر قرناً على دخول الفتح الإسلامي لمصر وهي ذكرى لا يمكن أن تنسى لأنها جزء من تاريخها الحضاري، ما هي أهم معالم الاحتفال بهذه الذكرى التاريخية؟ وما مدى تفاعل الوسط الثقافي والفكري والإعلامي سواء في داخل مصر أو خارجها؟

** الاحتفال الذي قام به المكتب الثقافي

تحت رعاية سعادة سفير جمهورية مصر العربية بالمملكة العربية السعودية وذلك بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على الفتح الإسلامي لمصر كان حقيقة كما ذكرتم من أبرز النشاطات الثقافية لهذا الموسم ونعلم تماماً أن الاسلام قد انبثق في مكة المكرمة وترعرع في المدينة المنورة وانتشر في كل بقاع المعمورة واستقبلته مصر بالرغبة والحب، ومع ذكر مكة والمدينة .. لأنني أود أن أنوه بكل التقدير والإعتراف بالجهود الكبيرة والعناية الفائقة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة في سبيل توسعة الحرمين الشريفين وفي سبيل راحة الحجاج والمعتمرين. ويخصوص أهم معالم الاحتفال بهذه الذكرى فقد تضمن الاحتفال مجموعة من المحاضرات التي بدأها الاستاذ الدكتور محمد الأحمدى ابو النور وزير الأوقاف الأسبق والاستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكانت عن «أنبياء الله في مصر» وتوالت المحاضرات عن مصر قبل الاسلام وموقف المصريين من الإسلام عند الفتح والآثار الإسلامية في مصر وجهود مصر في نشر الدعوة الإسلامية، كما كانت هناك محاضرة عن



- من الفعاليات الثقافية في المحمية.

«الخط العربي وبوره في الفنون الإسلامية والفن المعاصر» واشتمل البرنامج على أمسية شعرية إسلامية ومسابقة رسوم أطفال ومسابقة ثقافية عن لقمان الحكيم ومعرض للرسم التعبيرية لآيات القرآن الحكيم، كما قام المكتب بتوزيع بعض مقالات خاصة عن تطور المئذنة في الإسلام ومقال عن «ملاحم من الفتح الإسلامي»، كما قام المكتب بعرض فيلم عن الناصر

صلاح الدين، والذي يتعرض لفترة الحروب الصليبية وفيلم «وا إسلاماء» والذي يتعرض لفترة التتار.

وقامت بعض الجرائد السعودية وبعض الجرائد المصرية بتغطية الإحتفال ولكن كان هناك توقع للتغطية أكبر من ذلك ونرجو أن يتم هذا بشكل أوسع في المرات القادمة بإذن الله تعالى.

المذهل:

« بصفتكم مستشاراً ثقافياً ما هي برأيكم أهم السبل التي تؤدي الى التعاون البناء بين المثقفين من دول مختلفة هيفاً للوصول الى: وجهات نظر متقاربة - مناقشة الآراء - المواكبة لكل جديد في عالم الثقافة والتطور الحيوي - تبادل المعلومات - صناعة الفهم المشترك للواقع الاجتماعي في الوطن العربي - تقنية الحوار الثقافي بين الشعوب العربية؟

وما هو دور المكتب الثقافي التعليمي في إبراز هذا النوع من التعاون الثقافي بين مثقفي وأبناء المملكة ومصر الشقيقة؟

** كل ما ذكرت هي أهداف يأمل المواطن

العربي أن تتحقق وأتصور أن أهم السبل التي تؤدي الى ذلك تكمن في:

- تنظيم المحاضرات والندوات المشتركة والتي يتم فيها الإلتزام بأبذ الإسلام في الحوار والمناقشة واضعين نصب أعيننا أن لهذه اللقاءات أهدافاً محددة لمصلحة شعوبنا وولنا.

- توثيق الصلات بين أجهزة الإعلام المختلفة ومحاولة وضع اسس عامة للإطار الذي يمكن أن تتعامل به.

- معرفة كل منا بتاريخ الآخر وسيظهر في هذه الحالة عمق الإرتباط بين شعوبنا العربية المختلفة وأن علاقاتنا هي علاقات أخوة.

- تبادل الزيارات والمنح بين المؤسسات الثقافية المختلفة.

اما من حيث دور المكتب الثقافي فهو يعمل حالياً (بقدر امكاناته) على:

- تنظيم مجموعات متنوعة من المحاضرات والندوات.

- يستعد لاصدار نشرة ثقافية وأرجو أن يتم هذا في وقت قريب.

- كما يتبنى المكتب فكرة تبادل المعلومات عن المؤتمرات التي تتم بالمملكة ومصر ولكنها تسير

سيراً حثيثاً نظراً لأن ذلك يعتمد على ارسال المعلومات الى المكتب.

المنهل:

* في السابق كانت هناك بعثات للدراسة من المملكة الى مصر، أما الآن فقد تطورت المملكة وأصبح فيها الكثير من الجامعات الكبرى التي تخرج في كل عام المئات من الكفاءات والطاقات الوطنية، وهذا التطور يعطي للمملكة اكتفاءً ذاتياً في هذا المجال ما عدا بعض التخصصات العلمية الدقيقة حيث تبتعث أعداد ليست قليلة الى أمريكا وبعض دول أوروبا والنول الأخرى. ما هو رأيك في شبه توقف البعثات التعليمية الى مصر الشقيقة؟ خصوصاً وقد نما الى علمنا دعوتكم الى إعادة هذه البعثات وإجراء تعاون تعليمي بين البلدين بصورة أكبر من ذي قبل نظراً للعلاقات الوثيقة بين حكومة خادم الحرمين الشريفين ومصر الشقيقة حكومة وشعباً.

* اعتماد المملكة على نفسها هو في الحقيقة شيء يسعدني جداً فهذا الاعتماد قوة تضاف الى العرب والمسلمين خاصة وأن المملكة لها وضعها المميز في نفوس المسلمين جميعاً. والعلم بصفة عامة ينمو ويزدهر بالتبادل فالعلم ليس حكرًا على مجتمع من المجتمعات ولا يد من التبادل، ومن هنا وقد أصبحت المملكة لها إمكانياتها ومكانتها العلمية فإني أدعو فعلاً الى اتفاقيات بين المملكة وجمهورية مصر العربية لتبادل المنح والزيارات الدراسية والتعليمية على مختلف مراحلها ونوعياتها، صحيح أن هناك بعضاً من هذا التبادل ولكن الدعوة هنا الى المزيد والتوسع فيها مع مراعاة أن هذه الدعوة لا بد وأن تتم على أسس موضوعية سليمة وبما يعود بالفائدة على كلا الدولتين.

المنهل:

* للكتاب دور كبير في نشر الثقافة والفكر والمعرفة بشتى مجالاتها، ما هي علاقة المكتب الثقافي التعليمي لسفارة مصر بالرياض وعواصم النول الأخرى بعرض الجليل مما يصدر في دولة مصر الشقيقة هدفاً لتعريف وإحاطة مواطني هذه النول والجالية المصرية بكل ما يصدر في عالم الثقافة والمعرفة في مصر؟

** أعتقد بأن عرض الجديد مما يصدر في مصر يعتمد على وجود مكتبة عامة بالمكتب الثقافي وهو ما قد بدأناه فعلاً والحمد لله ونقوم الآن باستكمال أعدادها بما يلزم من إصدارات مختلفة على أن يكون بها الجديد بإذن الله من الإصدارات وعندي أمل أن تقوم بدورها في الموسم الثقافي القادم إن شاء الله تعالى.

المنهل:

* من خلال تجربتكم العملية بالمجال الثقافي في المملكة ما هو انطباعكم عن أنشطته وفعاليات الساحة الثقافية بالمملكة والتي تشرف عليها النوادي الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون والمؤسسات الصحفية والتعليمية، وما يجري تنظيمه من محاضرات وأمسيات ومعارض ومسابقات، خصوصاً وأن الكثير من الإخوة المصريين يعملون في هذه القطاعات ولهم اختلاط بالوسط الثقافي والعلمي والأدبي؟

** في الحقيقة أنا سعيد جداً بالأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتم بالمملكة والتي ذكرت أنواعاتها أو بعضاً منها، وقد قدر لي أن أحضر بعضاً من الندوات وأعجبتني نظام الحوار بها ونوعية موضوعاتها وبهذه المناسبة أيضاً أذكر لكم أن عدداً غير قليل من النوادي الأدبية قد أمدت المكتبة العامة بالمكتب الثقافي



- جانب من حضور الفعاليات الثقافية.

في بعض أوجه النشاط ورأيتم بأنفسكم ما يتم عمله وإن كنا باستمرار نأمل المزيد ونعمل على تطوير البرامج مع ما يظهر لنا من أوجه قصور أثناء التنفيذ.

المنهل:

* ما هي الكلمة التي تود أن توجهها إلى المثقف السعودي والمسؤولين عن الحركة الثقافية بالملكة في السبيل للتعاون مع المكتب الثقافي بخصوص الشؤون الثقافية والتعليمية؟

** المكتب الثقافي المصري بالرياض هو أخ لكم ويمد يده مرحباً بكم محاضرين ومناقشين ومستمعين، فالثقافة هي أخذ وعطاء وبين الأخوة هي تكامل.

في الختام نود أن نشكر الاستاذ الدكتور حلمي طه الشاعر، المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض على حسن استضافته لنا وإتاحتها الفرصة لإجراء هذا اللقاء الممتع أملين له ولكل العاملين بالمكتب الثقافي التعليمي بوام التوفيق والنجاح.

ببعض إصداراتها وليس ذلك مقتصرأ على الرياض بل وصلنا من مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، وأمل أن يستمر هذا التعاون بإذن الله تعالى.

المنهل:

* ما هو مدى تفاعل المواطن السعودي والمقيم والجالية المصرية في المملكة مع أنشطة المكتب الثقافي التعليمي في مجال الندوات والمحاضرات

والمعارض والأمسيات؟ وهل هناك برامج أخرى؟

** هو تفاعل لا بأس به حتى الآن ويتميز إقبال المواطن السعودي على الأمسيات الشعرية والمعارض بنسبة أكبر ولدينا أمل أن يزداد هذا التفاعل مع الأيام وبالرغم من أننا نركز حالياً على دعم ما هو موجود من أنشطة وإخراج عمل المكتب إلى حيز التنفيذ فإن التفكير في برنامج آخر يجول بخاطرنا وهو اشراك الشباب السعودي وشباب الجالية المصرية في موضوعات لمسابقات مختلفة وكما ذكرت لكم فإن هذا ما زال في طور التفكير.

المنهل:

* للبعض رأي خاص حيث يعتقدون بأن السفارة والمكتب الثقافي التابع لها يقبل عليهما طابع النور الرسمي وتوثيق الأوراق وتصديقها فقط وتجديد الأوراق الثبوتية وما إلى ذلك، أما الجوانب التقنيّة والأنشطة التابعة لها فتعتبر ضعيفة، ما هو رأيك في ذلك؟

** بالنسبة للمكتب الثقافي فإن هذا الاعتقاد غير صحيح وقد شاركتمونا في الفترة الأخيرة

في الامساك بتلابيب الغواية الشهرزادية.

يوميات منمنمة، صارخة

وربما مؤلة قليلا:

في البداية - كما هو الحال في باقي أعمال الخراط الروائية والقصصية - يوقعنا النص (الواحد - المتعدد) في ورطة ذات طابع إشكالي في سياق المناهج النقدية الكلاسيكية والحديثة. فالنص يحيل على مرجعية إجناسية تجد تحققها التداولي في الجنس التعبيري «الرواية» من جهة وأنساق تعبيرية محايدة مؤزعة في الفضاء النصي المتراوح بين اليوميات، الرسائل، المذكرات من جهة ثانية. . وقد أفلح الخراط في بلورة تركيبة فنية، صهر خلالها كل هذه الانساق التعبيرية المتنافرة في بوتقة واحدة منتجاً نصاً متميزاً هو عصارة هذا اللغيف المتشابك. . وذلك بتمثل هذه الانساق التعبيرية، واستيعاب قوانينها الداخلية، وصوغ تشكيلات فنية من هذا اللغيف المتداخل، تنسيقاً ومواءمة لخلق فسيفاء نصية متفردة تتجاوز بذلك السائد في التعاطي البلبد لتمرينات «مقولاتية» تجريبية تفقد هذه الانساق التعبيرية فعاليتها وإجرائيتها الخصبة التي تتراوح بين الحد الواقعي وهو ما يتطلب حداً أدنى من مطابقة النص لمستويات الواقع الذاتي منه أو الموضوعي والذي يجد تحققه النصي في (اليوميات والرسائل والمذكرات) وبين الحد التخيلي الذي يقوم على تخيل العالم الروائي وخلق، مع نبذ المحاكاة المسكوك، أو الانعكاس المرئي الذي طالما شدد عليه دعاء «الواقعية» في الرواية العربية.

فكيف استطاع الخراط المزج بين الجدين الواقعي والتخيل تبعاً لطبيعة

الانساق التعبيرية المولفة في هذا المتن؟

حدود الواقعي والتخيل في «رقرة الأحلام الملحية» لـ «ادوار الخراط»



ادوار الخراط

احتفلت الاوساط الادبية في القاهرة مؤخراً بالعيد السبعين لميلاد الكاتب المصري ادوار الخراط، وقد نظمت

لهذه الغاية أياماً دراسية عن الكاتب المحقق به. وفي هذا السياق الاحتفالي تأتي قراعتنا لاحدى التحف الروائية في سجل الروائي الحكاء، والصائغ العاشق. . ادوار الخراط تحت عنوان «رقرة الاحلام الملحية»[١].

رواية جاءت في سيرورة التراكم الابداعي النوعي للخراط، مرسخة بذلك تقاليد حكاية متميزة بنكهتها الجذابة، برقرقة إيقاعها الداخلي المنساب، رواية واحدة ومتعددة، منمنات متنوعة باهرة، لوحات تشكيلية أخاذة، أسطورية غوية لا حد لها من الاثارة الوجدانية والغوص في أقصى مناطق الكائن الانساني. . تنويع ثري

بقلم:

د. عبد الحالك

أضجون

- المغرب -

وقد تعامل الخراط مع اليوميات كنسق تعبيري مجرد، وحين خصوصيته في الكتابة الجديدة التي اعتمدت التحديث والتوزيع، والنفس الخلاق في توظيف «اليوميات» إضافة الى اختلاط فصول اليوميات نصياً واختلال البعد التراتبي والزمني، هناك التناول المتعدد لليومية الواحدة عبر مساحات نصية مقطعة، مختلفة، من خلال التقديم والتأخير أو القطع والتضمين من جهة تصبح اليومية من جهة ثانية شتاتاً خطايا متفرقة ومتحققة على طول الفصول التسعة، بدون تتابع سببي أو زمني في لم فصول أحداث كل يومية على حدة.

والغموض الآخر هو الذي يتجلى في حدود اليوميات والرسائل والمذكرات... حيث يتحقق الحد الواقعي، والحكي الذي ينظم الرواية هنا وهناك مشكلاً فضاءاً نصياً تخيلياً محايثاً للفضاء الواقعي، وبالتالي يصعب - أحياناً - فرز الواقعي عن التخيلي ذلك الفرز يعطي كل نسق تعبيري خصوصيته الاجناسية والتي درج بعض الادباء الالتزام بها كقوانين ملزمة.

تصبح رؤية الخراط الادبعية هدفاً أساسياً للاستيعاب والتمثل وبالتالي إعادة الانتاج الخلاق الذي «يجعل من الحدود الادبية بين الاجناس التعبيرية وأهية في رقعة الابداع الرخبة والفسحة».

إنها الثورة الواعية على الاشكال الادبية الخالصة التي تم ترسيم حدودها حيث ساد الاعتقاد الغامض بـ «الرواية الخالصة» و«اليوميات الخالصة» وقس على ذلك... إن هذه الهجنة مبررها عدم وجود جنس أدبي صاف وخالص. ولا يوجد جنس أدبي يشكل النموذج أو المعيار. والتفاضل بين الاجناس الادبية وهم مدرسي لا أقل وبالتالي ضرورة استحضر

إن جرأة الخراط الفنية في تأصيل الابداع الروائي تتجلى في اللباقة العالية التي تحلى بها الخراط وهو يتوسل اليوميات والرسائل والمذكرات وتعبيرات فرعية تعتبر - عادة - احتياطياً خاماً هائلاً طالما باغتتنا كل مرة بتجلياته المباشرة أو الموحى اليها، حسب ما يتطلبه المقام التداولي بون إقحام مضغوط أو رجراج للتوظيفات المستثمرة في اقتصاد الرواية.

والتعاطي مع مكونات السرد الذاتي لم يفرض على الخراط ذلك الانضباط الصارم للمقولات المحددة لكل نسق تعبيري على حدة، وهو الخلط الظاهر الذي يسم مجموعة من الاعمال الروائية الحديثة من منطلق النظريات النقدية في الابداع الروائي، وهو ما يحيل هذه النصوص الى تمرينات تطبيقية جافة ومفرغة من حيوية النص النابض، المفعم بالنضارة الفنية اللازمة.

ففي سفيساء المساحة النصية للرواية، نجدنا نتنقل بين هذه الانساق التعبيرية المتنوعة التي تزخر بها الرواية، دون استبداد نسق ما محدد. إن العمود الفقري للنص الخراطي هو هذه الهارمونيا التي يفلح من خلالها في اتقان التوزيع الفني المسترسل والمتناغم لهذه الانساق في الفضاء النصي للرواية، على غير تقليد، يوميات لا تتشكل بكل مقوماتها الاساسية: نصاً بدون رتوشات، تشطيطات مميزة لها دلالاتها، ارتعاشات الكتابة الكاليفرافية... وأشياء أخرى تدخل في صميم العناصر المكونة لهذا الشكل التعبيري الذي له تقاليده وأعلامه في دائرة الادب الشخصي عامة، بالإضافة الى ما تتطلبه الكتابة «التراسلية» من شروط لتأسيس الميثاق التراسلي الذي هو دغامة هذا النسق التعبيري وقوامه.

الأدب بالمفهوم الدينامي المتغير، لأنه متبدل بطبيعته وهذا لا يمنع من البحث الطموح لتأسيس شعرية لها أبعاد «عبر-أجناسية» تقوض التحديدات النظرية الجمركية الصارمة بين الأنواع الأدبية.

إن سر جاذبية الصنعة الروائية المتفردة للخرائط تكمن في هذا الاختراق الداخلي لكل مقومات الكتابة التقليدية، وقوانينها الصارمة حيث يصبح اكتساح كل المناطق الجمالية وتلمس تواتراتها وهزاتها، خارج إكراهات قوانين هذه الفنون استراتيجية لا محيد عنها ورهانا جماليا في أفق تطوير الرواية العربية.

أفضية نوسطالجية عميقة:

إن بؤرة الحكي عند الخراط هي منطقة الذاكرة، وما يستتبعها من مفردات رديفة لها (التذكر، التذكير، الذكريات...) هذه الآلية الأساس في إدارة أسلوب الحكي، وفي توليد عدد لامتناه من العلاقات الأرجاعية، تستحثنا لطرح السؤال الجوهرى:

لماذا هذا الاختراق العارم لمسارب الذات الشخصية (السيرة الذاتية) - أو لما يدور في فلكها (اليوميات، المذكرات، الرسائل)؟

إن هذا الاكتساح العميق لمنطقة الذات عند الخراط هو جزء من استراتيجية «تمتد إلى تلك المنطقة التي أسميتها مرة: منطقة «ما بين الذاتيات» وليست منطقة «الذاتية» وليست أيضاً منطقة التجريدات. أظن أن هذه المنطقة الغامضة هي ساحة العمل الفني» [٢].

إن منطقة «ما بين الذاتيات» هي المداك المتين الذي تنهض على أرضيته العمل الفني عند الخراط، وفي هذا العمل تظهر قسمات هذه المنطقة الفنية الخصبة في الحضور الانزياحي لليوميات والرسائل والسيرة الذاتية في فضاء

الحكي ليعلن - جمالياً - عن مزيج متفرد من الانساق التعبيرية المتفاوتة الحدود والاستعمالات ذات المقامات التداولية المختلفة.

فالتذكر عادة ما يتأسس على نسق زمني ماضوي، ممزوج بنوسطالجيا الطفولة حيث البراءة أو «الإنسان الطبيعي» الذي لم ينتقل بعد إلى مستوى «الإنسان الاجتماعي» المسيح بمجموعة من الضوابط الصارمة التي تحد وجوده داخل الجماعة والذي تسحقه إكراهات المجتمع وإلزاماته الكابحة لتطوره الطبيعي.

إن الصراع الدائر في النص بين بنيات متقابلة تتجسد في ثنائية الحب البهيمي التواق إلى الاختراق الجسدي المجنوني، والحب العفيف الطاهر من جهة ثانية. يولد نزعة مهووسة إلى الاقصاء لأحد طرفي المعادلة، هذا الصراع يفرز تسامياً نحو «مثال» غائب في الزمن الماضي، يتمظهر خلاله زمن الطفولة المستعاد كبديل متسام ومتعال، في ظل سيادة النزعة العوانية والفرائضية البهيمية في العلاقات بين الشخصيات التي تحيل على معادلات موضوعية في الواقع الاجتماعي والذي تشكل الرواية المبلور الفني والجمالي لخصائصه.

كما أن نفس السلوك الفردي لا يجد بداً من النظر إلى المرأة كجسد للشباب الفريزي بل كروية رومانتيكية بأبهى معانيها وصورها كإحالة غير مباشرة لموضوع يستوعب أحزان وآلام «الإنسان الاجتماعي» الدفينة الغامضة ويحتضن طموحاته إلى الصفاء والبراءة وهو ما يصطلح عليه علماء النفس بـ «النزعة النكوصية» والتي تدفع «الإنسان الاجتماعي» إلى الرغبة الجامحة للعودة إلى دفة الماضي الطفولي بله إلى رحم الأم حيث يعيش خارج إكراهات المجتمع وأعبائه المتعددة... وهذا كله بالنسبة لنا يشكل أسلوباً للاحتجاج الصارخ على الوجود الاجتماعي وما

فيه. من تقاليد وأعراف وسلط لا تتي تتعمق وتترسخ.

وبين «الإنسان الطبيعي» و«الإنسان الجمالي» يتموقع الخراط ليؤسس لنا القسّمات الداخلية لـ «الإنسان الجمالي» الذي يعتبر المرأة أكثر من هذا وذاك إنها الملهمة أو «الواهة» والباعثة على الخلق والابداع.. وهذا كله مصوغ في بوتقة رومانتيكية وألفة الظلال بلا ضفاف.. ومنها الخصب هو الماضي وآلة استبعائه هي «الذاكرة».

وهذه التذكريات لا توصف عادة لذاتها ولكن لما تثيره في الذات المتخنة بأعباء الحاضر وقبوده وصروفه من خلجات واستيهامات مجلّة بالعاطفة الصادقة، وبالنفس الطفولي البريء.. تذكرات متبقية من حب انهار، أو حلم تحطم.. كما تثير العاشق المعاصر ورده في كتاب أو صورة في مناسبة أو هدية متبقية بسيطة للذكرى، لا يمكن أن تقدر بثمن في ميزان العواطف.

وإذا كان ولع الخراط بالعالم الرومانتيكي الحالة (الطفولة، المرأة الطبيعية) فإن حظ الطبيعة وأزن في تأثيث الفضاء الرومانتيكي لتشكيل اللوحة الجميلة والفاتنة.. حيث يولجنا الخراط حدائق أنسه الزهرة، بيهاتها الباذخ، وسحرها الباهر، وجمالياتها اللامنتهية(*).

فإذا كان الرومانسي التقليدي قد درج على المزج بين حالته النفسية وبين أحوال الطبيعة، بحيث تصاب بالحزن والكآبة حينما يكون حزينا، وتبتهج لابتهاجه، فإن الخراط يتجاوز هذه الثنائية التي باتت من إرث رومانسي كلاسيكي ولي.. فالحساسية الجديدة تجعل من رؤية الطبيعة لا كريدف للمزاج النفسي للشخصية الواصفة، بل كفضاء له استقلال خاص، يستمد هذه الخاصية من عناصر البهاء التي توفرها الطبيعة بمؤثثاتها.. لا «الإنسان الجمالي» وهذا

كاف ليدفع الخراط لولوج هذا الفضاء الباهر، مستكشفا أسرار هذه الطبيعة وجمالياتها مبرزا ما كان خفيا ومستجليا ما استتر. وفي إطار عمله هذا يقطع صفحات يدعوها فيها لاستكشاف مستتباته الزهرة والخضرة.. بأسلوب تجسيمي رائع التشكيل تأخذ فيه الزهرة شكل الغادة الهيفاء.. وقد وضع الخراط بذكاء فني فيما مضى هوسه المفرط بالرومانتيكية قائلا: «القضية ليست قضية رومانتيكية، بل قضية العاطفة المغرقة التي أشعر أنني معرض لها.. فليس عندي مناعة إزاءها.. إن الواقع صلب وخشن ووعر وحاد.. ولا ينبغي أبداً أن يغفل المرء عن هذا الواقع وعن هذا النوع من المعادلة بين الاغراق في العاطفية والجوهر الآخر.. أليست الرومانتيكية هي الهوى المشبوب؟ ولكن المهم هو أن توضع في إطارها الحقيقي.. أو الواقعي، أو المتوازن»[٣].

وفي الأخير لا يجب أن تفوتنا الإشارة إلى مميزات أخرى كاعتماد الخراط على التكثيف الحداثي، والإدهاش الرصين، والسرعة في تعاقب الصور الصغيرة التي نحسها تافهة في حياتنا اليومية، فإذا هي عبر العمل الفني وقائع ذات قيمة كبيرة.. من خلال سيادة الرؤية المجهرية الدقيقة للأشياء التافهة في حياة الإنسان العادية وتلك إحدى مظاهر التحديث في الرواية العالمية عموماً.

الهوامش:

(١) انوار الخراط «ورقة الاحلام للمحبة» دار الآداب، بيروت ١٩٩٤ ط١.

(٢) مجلة «مواقف» العدد ٦٩ خريف ١٩٩٢، ص ٣٧.

(٣) يفرد الخراط أكثر من صفتين لوصف مستبتيه المختار .. الا حوان .. الفخشاخ، عباد الشمس، والبانسية، والاس والخزامي والزعفران وسوسن المستنقعات والخنخوخ والندى.. والورد والسيلة.. ص ٩٨ - ٩٩.

(٤) مجلة «فصول» «الرواية وفن القص» المجلد الثاني العدد ١٩٩٢، صفحة ٣٣٧.

مسائل في الإرادة والثنية والجمع

كنت أحس بنشاط في التأليف والبحث، وأنجز العمل، وأنشط لتصحيح التجارب الأولى منه، ثم يدركني العجز والملل من مواصلة التصحيح والتعديل ويتعلق نشاطي بعمل آخر لا أكرر فيه جهدي.. وبهذا السبب تكسدت لدي أسفار تنتظر معاودة التصحيح والتعديل.. بعضها مر عليه أعوام، وبعضها مر عليه شهور، فاضطرت إلى الاستعانة - بعد الله - بأخوين كريمين ضليعين في لغة العرب، بصيرين بدقائق الرسم الإملائي، فجلبا عني غمة غماء في الإسراع بإنجاز أعمالي، وصححا لي ما ند عن بصري وبصيرتي من إصلاح، وما كنت أجهله أصلاً، وترجع لي أن أعمالي مستقبلاً ستصدر إن شاء الله سليمة الأداء محكمة البناء، وكنت قبل ذلك أعاني كثرة التطبيع فيما نشر من مؤلفاتي مع أوشاب من اللكنة، وأخطاء في الرسم الإملائي.. لا أستثني سوى كتيب صغير أجهدت نفسي في تكرار تصحيحه - وهو كتيب الألوان من كتاب الفصل لابن حزم الذي صدر منذ بضعة عشر عاماً - فخرج كما أهوى بريئاً من العلل.

واستدرك أحدهما قولِي في أحد كتبي التي يصححها: بقيمتي الحق والخير، وفني التصوير والنحت، ومفهومي الإحساس والإدراك، وطعمني التفاحة الحمراء والفضراء، ومعنيي الإشعاع والإحراق.

وقلت أيضاً: وهو مذهب المفكر المعاصر أوزبورن في كتابيه نظرية الجمال، وعلم الجمال والتقد.

وقلت: «إنه تفريق مثلاً بين أساليب طه حسين والزيات وسيد قطب ودريني خشبة، وأساليب الهمداني والحريري».

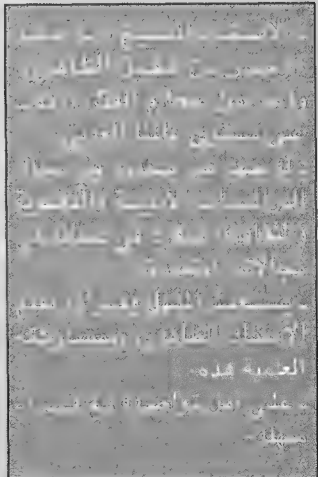
ولم يرتض لي هاته التعبيرات وهداني إلى قول



بقلم:

أبو عبد الرحمن بن غييل الظاهري

- الرياض -



الدكتور بكر أبو زيد: «لم أقل مصنفي ولا مستندي؛ لأن قاعدة العطف [أن العطف] يكون على المضاف لا على المضاف إليه، فكأن السياق: مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.. أما لو قلت: «مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة» فكأنما قيل: مصنفي عبد الرزاق، ومصنفي ابن أبي شيبة، فتنبه، وانظر: «قطوف أدبية» لعبد السلام هارون: (ص ٤٦٢) [١].

قال أبو عبد الرحمن: ما هنا أمور مختلطة، وتحقيقها يفيد قراءة المنهل، لهذا أنقل هذه الملاحظة من مقدمة كتابي «مبادئ» في نظرية الشعر والجمال، الذي سيرى النور قريباً إن شاء الله.

وكل ما ذكرته تعبير سليم صحيح على الأصل، وبيان ذلك أنك تقول: لا بد من التقيد بقيمتي الحق والخير.. والمراد قيمة الحق معطوفة على قيمة الخير.. وليس المراد أن للحق قيمتين وأن للخير قيمتين، فيكون التقدير: لا بد من التقيد بقيمتي الحق وقيمتي الخير.. فتكون القيم أربع.. وإذا أردت هذا المعنى فلا بد أن تظهر المعطوف، فنقول: بقيمتي الحق وقيمتي الخير.

وقولك: «لا بد من التقيد بقيمتي الحق والخير»: لا ينصرف فيه الذهن إلى غير قيمتين فحسب واحدة للحق، وأخرى للخير.. والبرهان على ذلك ثلاثة أمور:

أولها: أن التعبير اصطلاح فلسفي، وقد جرى الاصطلاح على أن الحق في ذاته قيمة.. إلا أن الحق أخص، لأن القيم متعددة، فالإضافة لتمييز المضاف مثل حب بر.. وليس في العرف الاصطلاحي أن الحق أكثر من قيمة إذا قوئل بالقيمتين الباقيتين وهما الخير والجمال، وإنما يقال: قيم الحق.. إذا لم تذكر القيمتان الأخريان - والمراد البراهين والأحكام.

وثانيها: أن العطف في الأصل على أقرب مذكور، وأقرب مذكور الحق، فالعطف إذن عطف مضاف إليه على مضاف إليه، فتكون القيمتان مضافتين إلى المضاف والمعطوف عليه معاً.. هذا هو الأصل حتى يقوم برهان على خلافه، وقد أسلفت البرهان على أن خلاف هذا الأصل غير محتمل، فقام لنا برهانان في توجيه الكلام بعطف الخير على الحق: أحدهما برهان الأصل، وثانيهما

برهان امتناع غير الأصل.

وثالثها: أن الأصل عدم التقدير، فلا يرد احتمال: قيمتي الحق وقيمتي الخير،

وأما الاحتجاج بقوله تعالى [على لسان داوود وعيسى] حيث أقرد المضاف إلى اثنين ولم يقل: «لساني» فغير وارد هاهنا، ولا يعني أن القاعدة إفراد المضاف بإطلاق، بل يعني خروج هذا المثال عن الأصل - بناء على أحد الاحتمالين في تفسير الآية الكريمة - وفق قاعدة متحققة وهي التخفيف على اللسان مع أمن اللبس وتعين المراد.. ويأتي شرح ذلك بعد أسطر إن شاء الله.

ولو قيل: «لا بد من التقيد بقيمة الحق والخير»: لتعين أن المراد قيمة واحدة مشتركة.

وهكذا توجه بقية الأمثلة: فني التصوير والنحت، وأساليب طه والزيات... الخ.

وقولي عن أوزيرون: «في كتابيه نظرية الجمال، وعلم الجمال والنقد» أصح من قول: «في كتابه نظرية.. الخ» لأن الاحتمال يرد بأن العنوانين اسم كتاب واحد إلا بتقدير: في كتابه نظرية الجمال، وكتابه علم الجمال.. وهذا تقدير لغير الظاهر والقاء للظاهر، والأولى حمل الكلام على ظاهره ما دام غير ممتنع.

والصواب ما أنكره شيخنا العلامة الدكتور بكر أبو زيد، وهو: مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة.. ولا يجوز مصنف - بالإفراد - إلا إذا كان المصنف من تأليفهما معاً.

وما نقله الدكتور إنما هو رأي أنستاس الكرملي الخاطيء، وليس رأي عبد السلام هارون الصحيح.

ودعوى أن القاعدة «العطف على المضاف لا المضاف إليه» يدفعها قاعدة أن العطف على أقرب مذكور.

وإنما يكون العطف على المضاف عند إظهار المعطوف إذا قلت: قرأت مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.. فتجعل مصنفاً الثانية منصوبة لأنها معطوفة على مصنف الأولى، وأملت قاعدة العطف على أقرب مذكور؛ لأن الخبر عن المضاف وليس عن المضاف إليه.. أي أن تعلق فعل القراءة بالمضاف.

والخلاف هاهنا ليس في عطف مضاف موجود

وقد أشرت إلى لغة القرآن، ولعلك تعني ما جاء في قوله تعالى: [على لسان داود وعيسى بن مريم] حيث أقرد (لسان) .. وهذه مسألة خلافية بعيدة عن مسألتنا، وهي مسألة الإضافة إلى متضمنين مفرقين [هـ] باعتبار أن اللسان جزء من داود وعيسى عليهما السلام، وانظر تفصيلها والخلاف فيها في همع الهوامع (٥/١) في نهاية باب الجمع [٦].

أما مسألتنا هذه فهي إضافة ما ليس جزءاً مما أضيف إليه، فكلمة (معجم) ليست جزءاً من أحد الشخصين .. ومذهب البصريين فيها أن ما ورد على خلاف الأصل - وهو المطابقة - فمسموع، وقاسه الكوفيون - أما ابن مالك فقاسه إذا أمن اللبس .. واللبس في مسألتنا هذه غير مأون كما أسلفت .. فما ذهبت إليه في عبارتي هو الأرجح الأصوب عند النحاة [٧].

قال أبو عبد الرحمن: إن إحالة المنع من عبارة «معجمي» إلى عبد السلام من التقييش السريع .. وقبل تحقيق هذه المسألة أحب إيراد شيء من كلام المعربين للآية من سورة المائدة، وشيء من نصوص همع الهوامع.

فأما الآية الكريمة فقد تكلم عن تأويلها السمين بقوله: «وجاء قوله على لسان بالإفراد دون التثنية والجمع، فلم يقل: على لساني، ولا على ألسنة: لقاعدة كلية، وهي: أن كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا إلى كليهما من غير تفريق جان فيهما ثلاثة أوجه: لفظ الجمع - وهو المختار - ويليهِ التثنية عند بعضهم، وعند بعضهم الإفراد مقدم على التثنية، فيقال: قطعت رؤوس الكباشين .. وإن شئت: رأسي الكباشين .. وإن شئت: رأس الكباشين .. ومنه: [فقد صفت قلوبكما] .. فقولِي: جزأين تحزن من شيشين ليسا بجزأين نحو درهميكما، وقد جاء: من بيتوكما وعمائمكما وأسيافكما لأمن اللبس .. ويقولِي: مفردين من نحو العينين واليدين .. فأما قوله تعالى: [فاقطعوا أيديهما] ففهم بالإجماع .. ويقولِي: من غير تفريق تحزن من نحو قطعت رأس الكباشين: السمين والكباش الهزيل، ومنه هذه الآية فلا يجوز إلا الإفراد .. وقال بعضهم: هو مختار .. أي فيجوز غيره، وقد مضى بتحقيق هذه القاعدة في سورة المائدة بكلام طويل فليكن بالانقبات [إليه] [٨].

ظاهر، وإنما الخلاف في تقدير ذلك المضاف وما يترتب عليه إلقاء الظاهر وهو عطف ابن أبي شيبة على أقرب مذكور وهو المضاف إليه عبد الرزاق .. وليس كل الناس يعلم أن عبد الرزاق وابن أبي شيبة - أو غيرهما - لم يشتركا في مصنف واحد، وإنما يعلم ذلك جمهور الخاصة، فلا نلبس على غير العالم ونقول: مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ونحن نريد مصنف كل واحد منهما.

قال أبو عبد الرحمن: إن الأصل حمل الكلام على ظاهره، وهو أن كل مفرد أو مثني أو جمع أحيل إلى مفرد أو مثني أو جمع فظاهره أن المضاف للمضاف إليه إذا كان واحداً، وأنه مشترك إذا كان المضاف إليه أكثر من واحد.

ويرد في كلام العرب خلاف هذا الأصل من أجل سنة العرب في طلب السهولة على اللسان في النطق .. وتحقيق هذا المطلب مشروط بأمن اللبس .. أي تعين المراد بغير احتمال معتبر، ومن هنا أسوق تحقيق العلماء لنماذج ما خرج عن الظاهر وكان أرجح من الظاهر للطفة وأمن اللبس مبتدأ بكلام أنستاس الكرملِي الذي فنده الأستاذ عبد السلام هارون.

قال أبو عبد الرحمن: ورجعت لعبد السلام هارون، فوجدته يورد كلام أنستاس الكرملِي وهو يتعقب تعبيرات لعبد السلام منها عبارته «معجمي استينجاس وريتشارد سن» فيقول: «وهذا تعبير مولد لا تعرفه لغة القرآن، وقد أُولع به المعاصرون، واستعمله صاحب تاج العروس والمصباح وغيرهما من اللغويين في إيراد شروجه لبعض الكلم .. ولو فكروا قليلاً لعدلوا عنه: لأن معناه أن لاستينجاس معجمين وريتشارد سن أيضاً معجمين: إذ قد يكون للمؤلف الواحد تاكليفان [٢] .. فالحظف يكون على المضاف لا على المضاف إليه [٣]: فكانك تقول: معجمي استينجاس ومعجمي ريتشارد سن .. والصواب معجم استينجاس وريتشارد سن» [٤].

ثم رد عبد السلام على أنستاس بقوله: «ليت شعري كيف نفرق بين وجهي هذه العبارة - التي جعلتها الصواب - إذا أريد بها مرة أن لكل واحد من الشخصين معجماً خاصاً، وأريد بها مرة أخرى أن الشخصين اشتركا في وضع معجم واحد؟

وعن قول الله تعالى: **{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما}** (سورة المائدة/٢٨) قال السمين: قوله: **{أيديهما}** جمع واقع موقع التثنية لأمن اللبس؛ لأنه معلوم أنه يقطع من كل سارق يمينه، فهو من باب **{صغت قلوبكما}**، ويدل على ذلك قراءة عبد الله: **{فاقطعوا أيماهما}**.

واشترط النحويون في وقوع الجمع موقع التثنية شروطاً من جملتها: أن يكون ذلك الجزء المضاف مفرداً من صاحبه [٩] نحو قلوبكما، ورؤوس الكهشين؛ لأمن الإلباس [١٠] بخلاف العينين واليدين والرجلين لو قلت: فقأت أعينهما وأنت تعني عينيهما، وكثفت أيديهما وأنت تعني يديهما. لم يجز للبس [١١]. فلو أن الدليل دل على أن المراد اليدين اليمينان لما شاع ذلك، وهذا مستفيض في لسانهم - أعني وقوع الجمع موقع التثنية بشروطه - قال تعالى: **{فقد صغت قلوبكما}**.

ولنذكر المسألة فنقول: كل جزأين أضيفا إلى كليهما [١٢] لفظاً أو تقديرًا وكانا مفردين من صاحبيهما جاز فيهما ثلاثة أوجه: الأحسن الجمع، ويليهِ الأفراد عند بعضهم، ويليهِ التثنية. وقال بعضهم: الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الأفراد نحو: قطعت ورؤوس الكهشين، ورأس الكهشين، ورأسي الكهشين. قال:

ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين
فقولي: «جزآن» تحرز من الشئين المنفصلين لو قلت: قبضت دراهمكما. تعني درهماً لم يجز للبس [١٣]. فلو أمن جاز كقوله: اضرباه بأسيا فمكما، وإلى مضاجعكما [١٤].

وقولنا «أضيفا» تحرز من تفرقهما كقوله: **{علي لسان داود وعيسى بن مريم}** [١٥]. وقولنا «لفظاً» تقدم مثاله، فإن الإضافة فيه لفظية [١٦]. وقولنا «أو تقديرًا» نحو قوله:

رأيت بني البكري في حومة الوغى

كفاغري الأفواه عند غرين

* فإن تقديره كفاغري أفواههما.

وقولنا «مفردين» تحرز من العينين ونحوهما. وإنما اختير الجمع على التثنية وإن كانت الأصل: لاستثقال توالي تثنيتين. وكان الجمع

أولى من المفرد لمشاركته التثنية في الضم [١٧]. وبعده المفرد لعدم الثقل [١٨]. هذا عند بعضهم. قال: لأن التثنية لم ترد إلا ضرورة كقوله:

هما نقتا في قي من قلوبهما

على النابح العاوي أشد زجاج
بخلاف الأفراد فإنه ورد في فصيح الكلام، ومنه مسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما.
قال بعضهم: الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الأفراد كقوله [١٩]:

حماة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغواذي مطيرها
وقال الزمخشري: **{أيديهما}** يديهما، ونحوه: **{فقد صغت قلوبكما}** اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله: **{والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهما}**. ورد عليه الشيخ [٢٠] بأنهما ليسا بشيئين، فإن النوع الأول [٢١] مطرد فيه وضع الجمع موضع التثنية. بخلاف الثاني فإنه لا ينقاس [٢٢]: لأن المتبادر إلى الذهن من قولك: «قطعت أذان الزيد» أربعة الأذان. وهذا الرد ليس بشيء لأن الدليل دل على أن المراد اليمينان [٢٣].

وعن قول الله تعالى: **{إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما}** (التحريم/٤) قال السمين: **{و[قلوبكما]}** من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثني استثقالاً لمجيء تثنيتين لو قيل: قلبكما.

ومن مجيء التثنية قوله:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترقع
والأحسن في هذا الباب الجمع، ثم الأفراد، ثم التثنية. وقال ابن عصفور: لا يجوز الأفراد إلا في ضرورة كقوله:

حماة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغواذي مطيرها
وتبعه الشيخ وغلط ابن مالك في كونه جعله أحسن من التثنية، وليس بغلط لليلة التي ذكرها [٢٤]، وهي كراهة توالي تثنيتين مع أمن اللبس [٢٥].

قال أبو عبد الرحمن: نلخص من هذا التالي:

١ - يضاف الجمع إلى المثني والمراد المثني لا للجمع كقوله تعالى: {فقد صغت قلوبكما} فإنما المراد به: قلب كل واحد منكما .. فهما قلبان لا قلوب.

والسوغ لذلك التخفيف على اللسان؛ لأنه لو قال: «قلباكما» لثقل الكلام بتوالي تثنيتين.

وشرط الأخذ بهذا السوغ أن يكون الجمع غير متحقق واقعاً .. فأما الآية من سورة التحريم فالليس مأمون يكون الاثنان ذوي قلبين فحسب .. لكل واحد قلب واحد.

وأما الآية من سورة المائدة عن السارق فتحتمل قطع الأيدي الأربع، إذ لكل سارق يدان، ولكن لما وجد البيان الشرعي من خارج الآية بأن القطع لليمين فحسب علم أن الأيدي بمعنى التثنية على نحو {صغت قلوبكما} لأنه ليس للسارقين غير يمينين.

٢ - إذا كان المضاف جزءاً واحداً من المضاف إليه، وكان المضاف إليه مثني جاز فيه أيضاً أن تجعل المضاف مفرداً فتقول: قطعت رأس الكيشين .. والمعنى رأس كل واحد منهما.

ووجه ذلك أن هذا المعنى متعين لا يحتمل غيره؛ لأن الكيشين لا يشتركان في رأس واحد فتحمل الأفراد على الرأس المشترك، ولا يجوز حمل المفرد على رأس واحد منهما فحسب، فلم يحتمل العقل غير أن المراد رأس كل واحد منهما .. فعمال المفرد حينئذ إلى معنى التثنية، وساغ التعبير بالمفرد أن معنى التثنية متعين واقع، وأن المفرد على تقدير لا يحتمل معه غير معنى الاثنين، وذلك بتقدير «كل واحد من» أي قطعت رأس كل واحد من الكيشين.

٣ - ومن شواهد الأفراد قول الشماخ:

حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغواذي مطيرها
لم يقل الشاعر: فاغري الفوهين، وإنما قال: فاغري الأفواه، فعلم أن المراد التثنية، لأنه ليس لهما غير فوهين.

والأفواه متعين إضافتهن إلى المثني وهو ضمير الفاغرين. ولو أريد أفواه غيرهما لبقى الجمع على حقيقته، لأنك ستطلب معنى الجمع من أكثر من فاغر.

وذكر الشنقيطي شواهد جمع الهوامع فقال:

«حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغواذي مطيرها»
استشهد به على وضع المفرد موضع المثني، والأصل: بطني الواديين.

قال أبو حيان: ومن العرب من يضع الجمع موضع الاثنين، ووجه ذلك أنه لما أمن اللبس، وكره الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة: صرف لفظ التثنية الأولى إلى لفظ المفرد؛ لأنه أخف من الجمع، وذلك قليل جداً لا ينبغي أن يقاس عليه، ومنه قوله: حمامة بطن الواديين. الخ .. أراد: بطني الواديين فأفرد. وهذا البيت لتوبة بن الحمير [٢٦]. وقال:

بما في فؤادينا من الهم والهوى
فيجير منهاض الفؤاد المشعف
استشهد به معطوفاً على ما قبله، واستشهد به أبو حيان على وجه أصرح وأبين، ولفظه: ومن العرب من يخرج اللفظ على أصله من التثنية، فيقول: قطعت رأسي الكيشين، وذلك قليل أهد.

ومنهاض الفؤاد الذي أصاب فؤاده هيض .. أي كسر بعد جبر .. والمشعف: الذي أصاب الحب شعاف قلبه، وهو رأسه عند معلق النياط. والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق [٢٧]. وقال:

ننود بذكر الله عنا من السرى
إذا كان قلبانا بنا يجفان
الشاهد فيه كالذي قبله.

قال أبو حيان في شرح التسهيل: وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: وقد ذكر للقياس من وضع الجمع كوضع التثنية، فقال: قطعت رؤوس الكيشين .. هذا هو المختار، ومن العرب من يخرج اللفظ على أصله من التثنية، فيقول: قطعت رأسي الكيشين، وذلك قليل .. قال الفرزدق: بما في فؤادينا .. إلخ .. وقال الآخر: ننود بذكر الله .. إلخ أهد.

وهذا البيت أظنه لعروة بن حزام أو لكعب صاحب ميلاد [٢٨]. وقال:

هما نفسا في في من فمويهما
على النابح العاوي أشد رجام
* الشاهد فيه كالذي قبله.

وفي شرح التسهيل لأبي حيان: وقد جمع

الشاعر بين اللغتين، وأنشد البيت .

وضمير المثني في قوله: «هما نفثا في في»
إيليس وابنه المذكورين في بيت قبل الشاهد .
وفي البيت أيضا الجمع بين البذل والمبدل منه،
وهما الميم والواو .

قال سيبويه: وأما هم فقد ذهب من أصله
حرقان؛ لأنه كان أصله قوه، فابدلوا الميم مكان
الواو، فبهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم تثبت في
الاسم، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك دم
على حاله، ومن رد إلى دم اللام رد إلى دم العين،
فجعلها مكان اللام، كما جعلوا الميم مكان العين
وأنشد البيت .

ونفثا أي ألقيا على لساني يعني إيليس وابن
إيليس؛ لأنه مما يقال: إن لكل شاعر شيطانا،
والنايح هنا أراد به من يتعرض للهجو والسب من
الشعراء، وأصله في في الكلب . . ومثله: العاوي
والرجام مصدر راجمه بالحجارة . . أي راماه،
وراجم فلان عن قومه إذا دافع عنهم . . جعل
الهجا في مقابلة الهجا كالمراجعة لجعل الهاجي
كالكاتب النابح .

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها في آخر
عمره تائبا إلى الله تعالى مما فرط منه في
مهاجات الناس، ودم فيها إيليس، لغوائه إياه في
شبابه [٢٩] . وقال:

فتخالسا نفسيهما بنواذ

كخافذ العبط التي لا ترقع
الشاهد في قوله: «فتخالسا نفسيهما» وتقديم ما
في هذا النوع . وقال ابن الأنباري: والأكثر
فتخالسا أنفسهما، لأن كل شيئين من شيئين: [٣٠]
يثنيان بلفظ الجمع كقولك: ضربت صندورهما
وظهورهما . . قال الله تعالى: {فقد صغت قلوبكما}
والضمير للشجاعين المذكورين قبل هذا البيت في
عدد أبيات من قصيدة أبي نؤيب الهذلي
المشهوره [٣١] . . ومن الله أستمع العون،
وأستلهم الرشد .

الهوامش:

- (١) تحريف التصويص من مآخذ أهل الأوهاء في الاستدلال من ٨٧ .
- (٢) قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا صحيح، بل لإرادة هذا المعنى تعبير آخر
وهو (إظهار، فيقول: معجمي فلان، ومعجمي فلان . .
- (٣) ذلك عنهما يكون المصنف الآخر طامراً، لو قام البرهان بلا ليس أنه

متعين التصويص . . وتعين هاتما: لأنه ليس كل أحد يعلم أن لكل واحد من
المذكورين معصراً مستقلاً، بل يتحمل الجاهل أنهما اشتركا في تأليه .

(٤) قول: أدبية من ٤٦١ - ٤٦٧ .

(٥) أي مفرق بين الصلف .

(٦) قال أبو عبد الرحمن: لأية احتمالاً: أحدهما: أن يكون المراد باللسان
اللسان، ويمتنع أن يكون لسان داود، ويمتنع عليهما السلام واحداً، فالكلام على
ظاهره، وثانيهما: أن يكون المراد باللسان الجارية، فحينئذ يتعين أن المراد
لساناً يتعين تقدير مصاف بشر هكذا . . لسان داود ولسان عيسى، لأنه متعين
بالضرورة أن لكل واحد لساناً، وأنهما غير مشتركين في لسان واحد . . فلما أمّن
الليس بهذا التعين اختير الإفراد لأنه أخف .

(٧) قول: أدبية من ٤٨٥ .

(٨) الدر المنصور ٢٨٧/٤ .

(٩) أي أن الواحد من المضاف كالقالب (مفرد القلوب المضافة إلى المثني) جزء
واحد من المضاف إليه وليس جزءاً فالكثير كالتبيين، فلا يقع الجمع حينئذ موقع
التثنية، لأنه لو جعل بمعنى المثني لكان في ذلك إلقاء للخصم بالجمع بلا برهان . .
والجمع هو الدلالة المستوحدة، لأن عند كل رجل يدين لتثنية، وللإثني أربع، وذلك
جمع . ولما جاءت أية السورة من سورة المائدة على التثنية لأنه قام البرهان على
أن المراد جزء واحد لا يوجد في الفرد غيره وهو اليد اليمنى، فليس للإنسان غير
يمين واحدة .

(١٠) وجه الليس أن قوله للتثنية «معيونكما» ظاهر في الجمع، لأن للتثنية
أربع أعين، فلو جعل الجمع للتثنية لكان الليس للثني بالجمع، ولا تقتضي الأمر التوقف في
دلالة «معيونكما» حتى يأتي مرجع من خارج يبين هل المراد المثني أو الجمع .
وأوجه من التفسير بأن الليس أن تقول: إن حمل الجمع على المثني حينئذ إلقاء
الظاهر وهو الجمع، وإعمال لغير الظاهر وهو التثنية بلا برهان .

(١١) أي لم يجر حمل الجمع في قوله: «دعيتكما» على معنى المثني، لأن
الظاهر الجمع، إذ لم يرد أربع أعين .

(١٢) كقالب فإنه جزء واحد من الإنسان ليس له غير قلب واحد . . قال
تعالى: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} (الأحزاب/٤) ، فالقلب جزء والرجل
كل .

(١٣) لأنه لم يتم برهان على أنه ليس عندهما غير درهمين .

(١٤) الضرب بالأسياخ يحتمل معنى الضرب على الجمع فلا يحمل على التثنية، لأن الفرد
قد يجادل بسيفين في المرة الواحدة، وقد يجادل طرفاً واحداً وأكثر من سيف في
عدة مرات . . إلا أن هذا خلاف العادة . والمصاحح إذا أريد بهما الزمان الواحد
فلا ليس، وإذا لم تترجمه الزمان فقد يكون الإنسان أكثر من مضجع في عدة
أماكن .

(١٥) فلم يقل: «على لسانيهما» فتكون الإشارة إلى مثني .

(١٦) أي مثل «قوتكما» و«ربيع الكيشين» فإن الرجلين والكيشين مثنيان لفظاً
لا تدبيراً .

(١٧) فالتثنية ضم واحد إلى واحد، والجمع ضم أكثر من واحد .

(١٨) التثنية قاصر هاتما، لأن عدم التثنية مشترك بين الجمع والتثنية . . ولما
يقال: يدير بالجمع والفرد معاً في السلسلة المذكورة لأن توالي تثنيتين مستقلة
وقد جمع على الفرد، على الرغم من اشتراكهما في السلسلة، لأن الجمع يشترك
المثني في معنى الضم .

(١٩) وجه هذا التفصيل فيما يظهر لي أن التثنية هي الأصل فقدمت على
الفرد ليجرد السلسلة، وندم الجمع للسلسلة لأن آخر غير مجرد السلسلة وهو مشاركة
المثني في الضم .

(٢٠) هو أي حيان التصريح .

(٢١) وهو قولوكما .

(٢٢) وهو الأيدي . من الفرد أكثر من يد . ورد السمين على شبيهه أبي حيان
وجه جاد، بكلام الزخرفي صحيح .

(٢٣) الدر المنصور ٢٨٧/٤ - ٢٨٦ .

(٢٤) أي يقال: التثنية أدنى من الإفراد، والإفراد جائز بما جاز به الجمع من
اللفظ حسب الشروط المذكورة .

(٢٥) الدر المنصور ٣٦٦/١ .

(٢٦) الدر القامع على معجم الهوامع شرح جمع الهوامع في العلوم العربية
١٥٤/١ - ١٥٥ .

(٢٧) الدر القامع ١٥٥/١ .

(٢٨) الدر القامع ١٥٥/١ - ١٥٦ .

(٢٩) الدر القامع ١٥٦/١ - ١٥٧ .

(٣٠) يختم في مثل هذا يضع ثقتين فوق بعضه ليطمأن ما يمنعهما خبر
وليس مصفاً .

(٣١) الدر القامع ١٥٨/١ .

سموم وهموم:

المخدرات والجريمة:

تتألف المخدرات يدخل ضمن العوامل
التي تحرك وتوقظ وتشكل القبول
الإجرامية الكامنة في نفوس المدمنين
وذلك بعد أن يهدئ المخدر
ويقلل الكرامة
النفسية التي
تتصحب الدعوة إلى
الجريمة سواء أكانت
غريزة سامية أم خوفاً
من عقوبة وعندما تسود العوامل
الإجرامية يزداد الشخص جسارة وبعد

شيء من التردد يدخل الشخص في
مرحلة التصميم التي يمر فيها بسهولة إلى
العمل الإجرامي، فيرتكب جرائم السرقات

وجرائم العنف وجرائم الجنس وغيرها من الجرائم

أحمد اسماعيل عبد الكريم

- مصر -

آفة
العصر

المائة



أحراق شجيرات «الكوكا»

وقد تتسلط على المدمن عقيدة الغيرة الوهمية نتيجة لفشله في أداء مهمته كزوج، فينبهم زوجته بالخيانة، وقد يخيل إليه أحياناً أن زوجته تنوي به شراً، أو أنها تفكر في الإقدام على قتله فيعسدي عليها بالضرب والإيذاء وقد يصل به الأمر إلى قتلها، أو قد تقدم هي عليه فتقتله، وبدأ على اعتدائه عليها بالضرب المبرح، أو الشتم اللاذع المفرغ من الجرائد والمجلات ترخر بهذه الحوادث والمحاكم والقبابات، وحسبنا ما جاء في كتاب القرآن والطب للأستاذ محمد وصفي «الزنا والخمر صنوان وتحف بهما كل الرذائل المعروفة في العالم

كالدعارة والفحش والفجور وسوء الخلق وفساد النفس والخبث والفساد والنفاق والخديعة والرياء وغير ذلك من الصفات الخلقية السيئة وانك لا تجد محرماً لا يسكر ولا تجد سكيراً غير مجرم». وفي حالات الادمان التي يفقد فيها الوعي ويهيمن فيها المخدر على عقل صاحبه تتركز فيها أبشع الجرائم في حق النفس كما في حق الغير، فقد شهون النفس على المدمن فلا يجد أمامه شيئاً إلا أن يتحرق فيزهرق روحه، هذا غير أن المخدرات ذاتها تؤدي إلى قصر الأجل والفقر والمرض والاضطراب الخلقي ولقد أثبتت الإحصائيات الأمريكية وما أدقها

واكثرها أن ٤٠٪ من حالات الانتحار بين المراهقين هي بسبب المخدرات والمسكرات وتؤكد الأحصائيات التي خرجت من دراسات علمية موثوقة وموثقة أن أكثر من ٧٠٪ من الذين ألقى القبض عليهم في حوادث السطو كانوا من المدمنين على تعاطي المخدرات. وفي دراسة خاصة أجريت على طائفة من السفاحين والقتلة وجد أن ٨٦٪ من كل المتهمين كانوا قد تناولوا الخمر قبل ارتكاب جرائمهم النكراء.

ولما كان مدمن المخدرات متقلب العواطف يكره ويحب بسرعة كما أنه شيء الظن وقد يضرب أقرب الناس إليه ويتلذذ بتعذيب غيره وأهانته [١] ويجد السعادة في تنغيص حياة وجرح مشاعر الآخرين لذلك فإننا نجد أن عصابات تهريب المخدرات تسم بالشراسة وفرض السيطرة على المناطق التي تعمل بها وقد يكون الموت جزءاً من يظن به الإبلاغ عن أحد أفرادها ومكان اجتماعها.

وتؤكد بعض التقارير أن عصابات تهريب المخدرات تعمل إلى ممارسة العنف ضد كل من تتصورهم أعداء لها وضد عائلاتهم ومستحبيهم وغيرهم من الأبرياء الذين تربطهم بهم صلة.

وقد ارتكبت هذه العصابات مؤخراً في ميامي ولوس انجلوس ونيويورك

عدداً كبيراً من جرائم القتل قطعوا فيها الرعس ويثروا فيها الأطراف وكان بعض القتلى من الأطفال الأبرياء وقد وقعت أكثر هذه الجرائم في وضوح النهار أمام المارة في المنزهات العامة أو الطرق الرئيسية كما حدث البعض في التوادي الليلية على مرأى ومسمع من روادها والشواهد تدل على أن بعض عصابات المافيا تميل إلى العنف أكثر من عصابات تهريب الكوكايين، وقد حطفت الصحف بأنباء التحقيقات الجسدية وحروب المافيا التي ارتكبتها هذه العصابات.

كثيراً ما يستغل مهربي المخدرات وتجارها المتعاطين ويستخدمونهم كمعاونين لهم في عمليات التهريب. وبذلك ينقلونهم من مرحلة التعاطي إلى مرحلة أشد خطورة. وقد شاهدنا كثيراً من هذه النوعيات في الجرائد والمحلات.

إذا ما صدر الحكم على المتعاطي أو تاجر المخدرات وتم إيداعه مع غيره من المحكوم عليهم في جريمة سرقة أو قتل أو أي جريمة من الجرائم فإنه يحاول استمالتهم له لارتكاب جرائم أخرى وكثيراً ما تجد العصابات الخطيرة في المتعاطين صيداً سهلاً للعمل معهم في حقل نشاطهم الإجرامي.

الادمان وارتفاع نسبة الحوادث:

اظهرت
الابحاث أن
الحشيش يؤثر
على مجموعة
كبيرة من
المهارات اللازمة
للقيادة السليمة،
فالتفكير السليم
والاستجابة
السرعة



ممن يتعاطى مادة الميثامفيتامين تتعرض من مخدر الهيروين

كأشاً من الخمر مع تدخين سيجارة من
الحشيش، فإن وقوع حادث يصبح أكثر
احتمالاً ولذلك فإن تعاطي الحشيش
يشكل خطورة محققة على قيادة
السيارات [٢]

كما نجد أن حوالي ٦/١ من طلاب
السنة النهائية في المدارس الثانوية هم
من الذين يشربون الخمر يومياً وكثير
من هؤلاء الطلاب يذهبون إلى المدرسة
وهم مخمورون، بل أنهم يشربون في
حالة قيادة السيارات مما يزيد الأمر
خطورة، وقد أدى ذلك إلى مقتل ٧٧/
في حوادث السيارات بما يصل إلى

يُضطر أدائها مما يجعل من الصعب
على السائق أن يستجيب بسرعة
لطاري مفاجئ، كما أن قدرة السائق
على الالتزام بخارطة معينة خصوصاً في
التعطفات وعلى استعمال الفرامل
بسرعة، والاحتفاظ بسرعة منتظمة
وبمسافة مناسبة بينه وبين السيارات
الأخرى يعتبر جميع النال في ظروف
استعمال الحشيش، وقد اظهرت
الابحاث أن هذه المهارات تظل ضعيفة
لمدة تتراوح بين ٣-٦ ساعات بعد
تدخين سيجارة واحدة من الحشيش بعد
زوال فترة التأثير، وإذا احتسى السائق

الداخلية أجهزة الإعلام والمدارس ودور العبادة إلى مساعدة الحكومة في التصدي لتخفيض معدلات الجريمة، وكان تقرير خطير قد صدر عن وزارة الداخلية يشير إلى أن هناك ست جرائم ترتكب كل دقيقة واحدة في بريطانيا وأشار إلى أن معدل الجريمة قد ارتفع في عام ١٩٨٦م بنسبة ٧٪ عنه في عام ١٩٨٥م. وقد وصل عدد الجرائم التي ارتكبت في العام الماضي وحده إلى ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف جريمة [٥].

وإذا تأملنا الإحصائية البريطانية التي خرج بها وزير الداخلية البريطاني من أن هناك ست جرائم ترتكب في الدقيقة الواحدة، نتيجة الازدحام، وإذا كان نصف هذه الحوادث أو الجرائم، حوادث سيارات أو قتل فإن ذلك يفوق معدل التزايد السكاني الذي تنحرج منه مصر إذ أن معدل التزايد في نسبة السكان في مصر بمعدل طفل واحد كل ثلاث وعشرين ثانية وعليها أن تتأصل النسبة بين هذا وذاك.

إنعكاس المخدرات على نسبة الوفيات وتجدر الإشارة إلى أن المخدرات تدمر الصحة وتهلك الأبدان وتهدر الطاقات الفتية وتضر بالبدن أضراراً كثيرة وتلحق به الأذى الكثير وتلف

ثلاثين ألف شخص سنوياً معظمهم من شبان - الولايات المتحدة - الذين كان يفترض أن يكونوا أعضاء فعالين منتجين لهم ثقلهم في المجتمع.

من خلال نظرات مدققة للتقارير العلمية الموثقة التي صدرت من هيئات يعتد بها على المستوى الدولي تشير بعض هذه التقارير إلى أن نصف الجرائم عندها مسببة بطريقة أو بأخرى نتيجة تعاطي الكحوليات وعلاقة الكحول بالعنف والجرائم حسب الإحصائيات الموجودة حتى الآن تتراوح بين ١٢ - ٧٢٪ وفي حوادث اغتصاب النساء هي بين ١٢ - ٥٠٪ وفي حوادث القتل هي بين ٢٤ - ٧٢٪ وفي بولندا بلغت الدراسات أن ٢٧٪ من الجرائم عام ١٩٦٦م كانت بسبب تأثير ادمان الكحوليات وفي استراليا كان ٥٠٪ من حوادث القتل والاغتصاب بسبب الكحول وفي فرنسا في عام ١٩٥٥م كان ٤٦٪ من الحوادث سببها الكحول [٤].

وقد اعترف وزير الداخلية البريطاني أن معدل ارتكاب الجرائم في بريطانيا في ارتفاع مستمر وقد أرجع الوزير البريطاني ذلك المعدل إلى ارتفاع معدل البطالة وتزايد المخدرات وازدياد رقعة الادمين مع زيادة الاسعار، ودعا وزير

أعضاء الجسم عضواً عضواً، فهي تضر بالعدة والكبد والبنكرياس والطحال والأمعاء والكليتين وكل الأحشاء والقلب والشرايين والجهاز الهضمي. كما يضعف الصدر، فالسكر إذا أصيب بالتهاب رئوي فسريراً ما يتقلب الإلتهاب إلى سل وينتقل به المرض للعين ويتدرج في المراحل، المرحلة الأولى، فالشأنية فالثالثة فالمرت المحقق، والإدمان الكحولي يضاعف مفعول الأنسولين في الدم لمرضى السكر الذين يعالجون بالأنسولين مما يسبب للمريض تشنجات حادة قد لا يحتملها جسمه [٦].

وشرب الخمر يؤثر تأثيراً ضاراً على الجهاز العصبي، ليسبب ارتجاف اليدين واللسان كما يسبب سرعة التفرقة وسرعة التسمان وبلادة الذهن وأحياناً يؤدي الإفراط فيه إلى الصرع [٧]. وجاء في تقرير الجمعية الطبية الفرنسية أن مجموعة من الأطباء الفرنسيين قد قاموا بعدة أبحاث علمية للتعرف على العلاقة بين الإصابات بأمراض الكبد وتعاطي المسكرات، واستغرقت هذه الأبحاث عدة سنوات وقد قام الأطباء بدراسة ١٤٦٨ حالة وتبين من أبحاثهم أن ٧٢٪ من الذين ماتوا قبل سن الخامسة والخمسين كان

السبب في وفاتهم هو أمراض الكبد، نتيجة إدمانهم، وقد انتهى هؤلاء الأطباء الفرنسيون في أبحاثهم إلى أن الإدمان على تعاطي المخدرات يهدد بشبح الموت قبل سن الخامسة والخمسين وأن النساء أكثر قابلية للإصابة بأمراض الكبد التي تؤدي إلى الوفاة أكثر من الرجال عند إدمانهم على تعاطي المخدرات [٨]. وقد دلت إحصائيات الوفيات على أن المسكرات والمخدرات إنما هي علة أساسية للموت نظراً لما تحدثه وتسببه من أضرار في غاية الخطورة للصدر وخصوصاً الرئتين والقلب، فضلاً عن العدة والكبد والطحال، فيصاب السكر بالتسم الكحولي الحاد، وفي هذه الحالة يكون قد عمل الكحول عمله في المراكز العصبية للتنفس والدورة الدموية. يقول الدكتور جلال السعيد «إن ظاهرة تحلل عضلة القلب من تأثير الخمر تحدث في الرجال بنسبة أكبر من النساء وهي تتركز في الأعمار من سن ٤٠ - ٥٠ سنة وتبدأ الأمراض في الظهور باضطرابات في نبضات القلب ثم تضخم بسيط وفي هذه المرحلة يمكن شفاء المريض إذا امتنع عن الخمر، أما إذا لم تكتشف الحالة واستمر المريض في معاقرة الخمر أو تعاطي المخدرات، فإنه يحدث تضخم بدرجة لا يمكن

أضعاف مجموع الوفيات الناتجة عن الأمراض السارية، ٦٢٪ من الحوادث كان الكحول هو السبب فيها [١١].

والخمر تسبب في مقتل ألفي شخص يومياً في الولايات المتحدة على حسب ما ذكرته التقارير والاحصائيات الرسمية من أن (٢١٦٩) شخصاً يلقون مصرعهم في اتحاء الولايات المتحدة بسبب يومياً وذلك نتيجة الإسراف في شرب الخمر وتعاطى المخدرات. وأضافت الإحصائية أن الخمر والمخدرات هي المسئول الأول عن هذه الحوادث حيث يبلغ متوسط استهلاك رجالها الخمر في الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٩٠ مليون زجاجة يومياً. وتبين هذه الإحصائية خطورة هذا الرقم الذي يوضح لنا أن أكثر من نصف الشعب الأمريكي مخمور، أو سكير لساعات طويلة على مدى ساعات اليوم.

وقد أجرى السيد انغولد المستشار الطبي الدائم لجهان مراقبة اساعة استعمال المخدرات والمواد المؤثرة على الحالة النفسية بباريس دراسة تحليلية للوفيات المرتبطة بتعاطى المخدرات والمواد المؤثرة على الحالة النفسية، وعلي ضوء المعلومات المتاحة والتي استقفاها

العودة فيها أو الشفاء منها، وهي مرحلة تؤدي إلى الهبوط بالقلب والوفاة بعد التحلل لعضلة القلب ودمارها، ولقد ثبت من تجارب أجريت على الفئران أنه يحدث تضخم في عضلة قلب الفأر وبعد إعطائه الخمر لمدة ثلاثة شهور، وقد حدث التضخم وأدى إلى وفاة الفئران نتيجة هبوط في القلب، أما في الإنسان فإن الحال يختلف تبعاً لكمية الكحول ومرات تناول الخمر ونوعها، والبيوت التي يعيش فيها الإنسان ونوع غذائه، ولكن في المتوسط فإن عضلة القلب - أي قلب الإنسان - ربما تتأثر بعد سنتين إلى عشر سنوات [٩].

ويؤكد الدكتور سحدي في كتابه علم السموم على خطورة المخدرات والخمر على الأجهزة والأعضاء البشرية وذلك من خلال عمله فاحصاً وطبيباً شرعياً «أن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين بالمائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية» [١٠].

ومن خلال الإحصائيات الدقيقة ينكشف النقاب عن خطورة المخدرات وما تسببه من زيادة نسبة الوفيات وقد بلغت نسبة الوفيات في استراليا خمسة



مدمن والاستعداد لجراحة أخرى من الهيرويين

- (١) محمد وصفي - القرآن والطب.
- (٢) د. أحمد شوقي الفنجري، المخدرات في الطب والدين، مجلة الوعي الإسلامي، ع ١٢٣.
- (٣) الاممى أبو النور - رسالة الامام ص ٢٧ ومجلة الطب النفسي - النفس المطفنة العدد السادس اكتوبر ١٩٨٥، اعرف صديق الحشيش خطر داهم يتربص بالشباب ص ٢٨.
- (٤) عزت هسائين المخدرات والمسكرات بين المدروعة والقانون ص ١٢.
- (٥) مجلة سنار الاسلام - العدد الرابع سنة ١٣٨٨.
- (٦) الامرام - عدد خاتمة يوم ١١/١/١٩٧٨م.
- (٧) الانبيا غريغورس - رأى المسيحية في المخدرات - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (٨) مجلة اخر رسالة العدد ١٨٩٢ - اول يناير ١٩٧٠.
- (٩) مرجع سابق ص ٣٠.
- (١٠) المخدرات بين المدروعة والقانون مستشار عزت هسائين ص ٩٢.
- (١١) د. نبيل صبحي - الخمر والانسان الكمولى ص ٨٠.

الباحث من المكتب المركزي لمكافحة المخدرات بباريس بين الباحث أن عدد الوفيات بلغ ٢٣٧ حالة عام ١٩٨٤م. أشارت إلى أن معظم الضحايا من الشباب الذين تقل أعمارهم عن خمسة وعشرين عاماً حيث كانت نسبتهم ٧٥٪ من حالات الوفاة وأن نسبة الاناث من الضحايا لا تتجاوز ١٢٪ وأن الهيرويين أكثر العقاقير المسببة للوفاة وخاصة إذا حدث التعاطي بطريقة الحقن حيث بلغت نسبة من كانوا يتعاطون ٨٠٪ من اجمالي حالات الوفاة من خلال هذه الاحصائيات نستطيع أن نقول ونؤكد القول على أن المخدرات مضره من الأمراض الضيئة التي انتشرت أو كانت تنتشر على أرض الواقع.

الهوامش

ليس هناك أحبّ إليّ النفس من كلمة حقّ
تقال، وموقف وفاء يعلن، يكبر ذلك في حقّ
جيل أعطى الكثير لأمته، ولم يأخذ شيئاً ذا
بال، بل كان جزاؤه الصّمود والتّناسي،
حتى صارت في هذه السنوات الأخيرة تمرّ
الذكريات الخاصة بوفاة بعض أعلامنا
الفكرية في صمت مطبق، في حضور ضجيج
حزبي، وانتهازية سياسية وإعلامية، ومن بين
هؤلاء: المفكر والأديب والمصلح الشيخ (محمد
البشير الإبراهيمي ١٨٨٩ - ١٩٦٥م) وإن
كان الشيخ غنيا عن التعريف بالنسبة لجيله
ولاحقه، ولبعض

الباحثين
والمتّقفين، فهو
يكاد يكون
مجهولاً بالنسبة
للأغلبية من قراء
العربية في
الوطن العربي.
لقد ولد
الشيخ

(الإبراهيمي) سنة ١٨٨٩ في قبيلة (أولاد
إبراهيم) بولاية «سطيف» وانتقل إلى
«الحجاز» فاقام مع والده في المدينة المنورة،
ثم انتقل إلى دمشق ١٩١٦ وعاد إلى الجزائر
في ١٩٢٠ حيث استقرّ، وأسهم في الحركة
الإصلاحية، وكان نائباً لرئيس «جمعية
العلماء المسلمين الجزائريين» عبد الحميد بن
باديس حين تأسست في ١٩٣١. ورئيساً لها
بعده حتى ١٩٥٢ ثم انتقل إلى القاهرة في
رحلة سنة ١٩٥٢ ليزور عدّة أقطار عربية



أعلام ٠٠ وأعمال:

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (في قلب الحركة ٠٠)



بقلم: د. عمر بن تينة
معهد اللغة العربية وآدابها
- جامعة الجزائر -

وإسلامية، حتى اندلعت ثورة التحرير الجزائرية (نوفمبر ١٩٥٤) فأقام في القاهرة مؤازرا للثورة، وبعد الاستقلال سنة ١٩٦٢ عاد الى الجزائر حيث اندلع الخلاف بينه وبين النظام الذي لاحظ انحرافا على الإسلام في نهجه السياسي والاجتماعي حتى كانت وفاته في (١٩ مايو ١٩٦٥م) مخلفا وراءه عدة آثار. . . وبعض الأثر الأدبي والفكري.

للشيخ إنجازات معتبرة في الحركة الإصلاحية منذ العشرينيات إذن في هذا القرن: خطيبا، واعظا، وكاتبا، وربما كان الأثر الأكثر اتساعا ورسوخا بكتاباته في (الشهاب) جريدة أولا، ومجلة ثانيا، و(البصائر) في سلسلتها، خصوصا افتتاحياته في هذه الجريدة الأخيرة التي جمعها في كتابه (عيون البصائر) الذي صدر أول مرة في القاهرة سنة ١٩٦٣ بإشرافه في دار (المعارف) بالقاهرة، فحوى هذا الكتاب مقالاته التي كانت (افتتاحيات) في السلسلة الثانية من (البصائر) بين سنوات ١٩٤٧ و ١٩٥٣ وأعيد طبعه مرتين في (الجزائر) بعد وفاته واعتبر جزءا ثانيا، أما الجزء الأول فقد كان بداية الجهد الذي شرع يبذله لتلاميذه وأصدقائه بعد وفاته بمساعدة ابنه (أحمد)، من أجل جمع آثاره الفكرية والأدبية ونشرها.

ومحاضرات الى جانب ما نشره في (الشهاب) و(البصائر) في سلسلتها الأولى، أما الجزء الثالث فقد صدر سنة (١٩٨٢م) عن نفس الدار، بينما صدر الجزء الرابع سنة (١٩٨٥م) فضم الثالث ما نشره في (البصائر) خصوصا، مما لم يتضمنه الجزء الثاني أما الجزء الرابع فمعظم مادته سبق نشرها خارج الجزائر في الصحافة العربية: جرائد ومجلات، مثل «الاخوة الإسلامية»، «المسلمون»، «المنهل»، «منبر الشرق»، «الإرشاد»، «الأهرام».

وبعد صمت بلغ عشر سنوات يصدر اليوم كتاب جديد للشيخ عن «دار الأمة» ذات التوجه القومي، بعنوان: «في قلب المعركة ١٩٥٤ - ١٩٦٤» ضم كتابات (الإبراهيمي) في قضايا ساخنة، سواء أثناء الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال، منها ما نشر سابقا، ومنها ما لم ينشر، حتى كانت الفرصة في هذا الكتاب. وقد أشرف على جمع المادة في هذه المرة ابنه (أحمد طالب الإبراهيمي) الوزير السابق في عهد كل من (هوارى بومدين) و(الشاذلي بن جديد) وزيرا للتربية، وللإعلام والثقافة، والخارجية.

والكتاب إضافة جديدة جادة في المكتبة العربية ومنها الجزائرية ليس بأسلوبه المتميز دائما فحسب، وإنما بمادته، وبما تقدمه هذه المادة من حقائق موثقة، كانت مجهولة أو غامضة بالنسبة للبعض من بينها دور (جمعية العلماء) في الثورة التحريرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢م.

وقام بكتابة تصدير للكتاب الأستاذ

للشيخ إنجازات معتبرة في الحركة الإصلاحية منذ العشرينيات إذن في هذا القرن: خطيبا، واعظا، وكاتبا، وربما كان الأثر الأكثر اتساعا ورسوخا بكتاباته في (الشهاب) جريدة أولا، ومجلة ثانيا، و(البصائر) في سلسلتها، خصوصا افتتاحياته في هذه الجريدة الأخيرة التي جمعها في كتابه (عيون البصائر) الذي صدر أول مرة في القاهرة سنة ١٩٦٣ بإشرافه في دار (المعارف) بالقاهرة، فحوى هذا الكتاب مقالاته التي كانت (افتتاحيات) في السلسلة الثانية من (البصائر) بين سنوات ١٩٤٧ و ١٩٥٣ وأعيد طبعه مرتين في (الجزائر) بعد وفاته واعتبر جزءا ثانيا، أما الجزء الأول فقد كان بداية الجهد الذي شرع يبذله لتلاميذه وأصدقائه بعد وفاته بمساعدة ابنه (أحمد)، من أجل جمع آثاره الفكرية والأدبية ونشرها.

هذا الجزء الأول صدر عن (المؤسسة الوطنية للكتاب) في (الجزائر) سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) وهو يشتمل على ما كتبه بعد عودته الأولى من المشرق العربي ابتداء من منتصف العشرينيات، فضم خطبا

لشخصيات سياسية في قيادة الثورة بالخارج، وفي مقدمتهم (أحمد بن بلة) و(الورتلاني) و(خيزر) و(آيت أحمد) وغيرهم.

والكتاب حافل بمقالات ومحاضرات وبيانات وخطب وسواها، بعضها أفكار ملتزمة عن احتدام الصراع الحضاري بين فرنسا والجزائر على مستوى الفكر، وبعضها مواقف في المواجهة المسلحة التي خاضها المجاهدون الجزائريون في وجه الغزاة الفرنسيين، وبعضها الآخر عن مشاكل ذات علاقة بالفعل الاستعماري خلال قرن واثنين وثلاثين سنة، ومنها ما هو ذو طابع حضاري بوجهه القومي، في مثل موضوع «مشكلة العروبة في الجزائر» وهو الموضوع الذي لا تزال له حيويته عريبا عموما وجزائريا خصوصا، وفيه يقول الإبراهيمي: «أما الأمم الجارية مع الحياة فإنها تحل مشكلاتها القديمة لتتفرغ للمشكلات الجديدة، ومن سلك هذا السبيل لم تبق له مشكلة، لأن المشكلات إذا وجدت العقول متهياة لحلها قادرة عليه متفرغة له - لم تعد مشكلة، وما صير قضايا العرب مشكلات إلا العرب وعقول العرب، فهم فيها بين حالات ثلاث إما أن يسكتوا فتبقى إشكالا، وإما أن يعتمدوا في حلها على غيرهم فيزيدها تعقيدا أو يحلها لصالحه لا لصالحهم، وإما أن يعالجوها بأنفسهم ولكن بتيات مدخولة وضماير مريضة وعقول ناقصة وغايات متباينة وإرادات مستبعدة ومقاصد تافهة، فلا

الجامعي الباحث المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله، الذي قال في تصديره عن مادة الكتاب، إنها «وثائق حول الثورة من بيانات وبرقيات وتصريحات وخطب وأحاديث ونداءات حررها أو القاهها باسم جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطني، وإذا شئت باسم الشعب الجزائري بين ١٩٥٤ و ١٩٦٤».

كما ذكر صاحب التصدير في المناسبة طببعة بيان (أول نوفمبر ١٩٥٤) الذي أعلن الثورة، حيث يلاحظ غيابا «لبادي» جمعية العلماء التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا، كما يلاحظ أن البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح كالهوية والإسلام والعروبة، وأنه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية، وإنما هو وثيقة سياسية صحفية (ص: ٧) كتبت على عجل، ليس من اليسير أن يبادر فوراً أمثال (الإبراهيمي) لتبنيها، وهو كلام ينبئ إلى ما يردد عن تقاعس ينسب للجمعية التي لم تبادر بإعلان الانضمام إلى الثورة المسلحة حين اندلعت (فجر ١ نوفمبر ١٩٥٤م).

وهذا جانب من التهمة التي يحاول التيار اليساري بالخصوص الصاقها بجمعية العلماء، وفي قيادة هذا التيار ما كان يسمى بالحزب الشيوعي الجزائري قبل الثورة، وخرج في جبة جديدة بعد (١٩٨٩) تحت عناوين مختلفة.

ومن هنا تأتي الأهمية الكبيرة لهذه الوثائق التي تضمنها الكتاب، بما فيها من أفكار وآراء ومواقف وقضايا، وتوقعات

الذي كان عضوا فيه: «أيها الأخوة الكرام: حيّاكم الله وبيّاكم، وأدامكم وأحياكم، وأبقاكم للعروبة تصونون عرضها، وتستترون قرضها، ولغة العرب تجمعون شتاتها وتحيون مواتها، وترعون على تجهم الأحداث وسفها الوراث ماتاتها، ولهذا المجمع تعلون بنيانه وترفعون على العمل النافع أركانه» (ص: ٢٣٠).

كتاب (في قلب المعركة) إضاءة جديدة لجوانب في فكر (الإبراهيمي) ومواقف «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» ودورها في ثورة التحرير، كما يتوفر على عناصر ذات أهمية كبيرة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، الموضوع الذي لا يزال وسيبقى جديرا بالبحث والتقصي والتأمل والفرز والتقييم.

وإنني على يقين تام أن فكر الشيخ (محمد البشير الإبراهيمي) القومي: مؤثرات وآثارا، منطلقات ومقاصد: لا يزال في انتظار جهد كبير، لكن من باحث متأن في إنجاز جامعي (أكاديمي) ينير تلك الجوانب: من واقع حياة الرجل وآثاره التي نتمنى ألا يتأخر باقيها عن النشر، مهما قلت مادتها، وضعف شأنها العام: تاريخيا، وفكريا، وفنيا: تيسيرا على الباحثين، ثم: إنصافا للرجل ولرعيته - في زمن قل الإنصاف فيه وكبر الجحود - وإنصافا لمرحلة تاريخية من نضال الجزائر القومي، وجهادها: دفاعاً عن هويتها وانتمائها الحضاري، وقوفا بإباء في وجه المسخ الأوروبي، ومحاولاته الشرسة للهيمنة: لغة وفكرا وقيما.

يكون العلاج عاجلا، وإنما يكون بلاء مضاعفا» (ص: ١٠٢) ثم يضيف بعد هذا بقليل «والعروبة لغة - غمرتها الرطانات الأعجمية واللهجات العامية، واللغات الأجنبية، والرطانات الأعجمية أخذت منها ثم تعالت عنها، واللهجات العامية مزقتها، وأصبحت حجة عليها ومداخل ضيم لها، واللغات الأجنبية زاحمتها في ضعفاء الهمم والعزائم من أبنائها، وهذه كلها مشكلات ذات أثر سيء وعميق في المجتمع العربي».

وإن كبرت مشكلات العروبة، فهي في الجزائر صغيرة، كما كان ينظر إليها الرجل من دون أن يلغي إحساسه بقوة تجعل من العروبة انتماء: مشكلة وعقدة لدى البعض، تنجب مشكلة أخرى، خصوصا في الجزائر.

أما على المستوى السياسي فإن بيانات (الإبراهيمي) و(الورتلاني) في إعلان المؤازرة للثورة (٥٤ - ٦٢) باسم (جمعية العلماء) واضحة، تتصدر صفحات الكتاب، وهي بيانات تنطلق ابتداء من (الثاني نوفمبر ١٩٥٤) نشرتها صحف وبثتها إذاعات، كلها تبارك الثورة المسلحة التي انطلقت في وجه الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

جاء ذلك عموما بأسلوب (الإبراهيمي) بعربيته المتينة الغنية، المركزة، كواحد من أمراء البيان في النثر العربي، ويتجسد ذلك في أكثر من موقع بهذا الكتاب نفسه، في مثل مقالة (حرية الأديب) وفي (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة يخاطب زملاء في المجمع -



أحمد الكاشف

الذي جمعت عليه
الأكثرية، ومع
هذا فله شعره
سيرورة ونباهة
لأنه يمتاز
بالصدق،
ويتجافى المبالغة،
ويجلس مجلس
الناصر من
مدوحه، يقترح

عليه الرأي ويحذره التورط، فالرجل ناصح مشير
لا مصفق هتاف.

وكنت قد قرأت الجزء الأول من ديوان الكاشف،
فأعجبت بمقدمته النثرية الطويلة أكثر من إعجابي
بشعره في الديوان الأول إذ أصدره في عهد
اليفاعة المتطلعة قبل أن يستوى علي سوقه
ويستحصل، كانت المقدمة تحمل براءة كبراءة
الأطفال، حين يتحدث الشاعر عن صباه الأول،
فينكر إخفاقه في الامتحان المدرسي وهروبه من
الكتاب، وضيقة بمواد الدراسة، وليس في هذا ما
يؤاخذ فبرنارد شو أكبر أدباء الانجليز لعهده قد
اعترف بمثل ما اعترف به الكاشف، ولكن خيال
الشاعر لدى الكاشف، كان يخلق له أوهاماً من
أوهام البطولة المستحبة،

فيرى نفسه قائداً يحكم
الجنود تارة، وقاضياً يأخذ
الحق من
الظالم
للمظلوم
تارة أخرى
ويندفع
لتحقيق ما
يتخيله
فيصناب

الشاعر الكبير

أحمد الكاشف

كنا في عهد الطلب
نسمع اسم أحمد الكاشف
مقرونا باسم أحمد محرم،
كما يقرن اسم شوقي
بحافظ، وهم جميعاً من
تلاميذ مدرسة البارودي
الشعرية التي جددت الشعر
ورفعت من هذه الركافة الى
نروة القوة الأسرة بحيث
أصبح هذا العصر بفضل هؤلاء
وزملائهم من أخصب عهود
العربية، وأرقاها، لذلك كان
الناشئة من زملائي يحرصون
على استظهار روائعهم في ثقة
واطمنان.

ولم أر من هؤلاء شوقيا
وحافظا ومحرمأ رأى العيان، ولكن
الحظ السعيد قد أتاح لي زيارة
الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الكاشف
على غير انتظار، كما أتاح لي زيارة
مطران ورب صدقة خير من ميعاد.
كنت أحفظ كثيراً من قصائد الكاشف

التي ينشرها بجريدة الأهرام، وأكثرها ذات طابع
سياسي، لأن للشاعر هوى
خاصاً مع بعض الأحزاب عن
اقتناع، لا عن انتهاز، ولكل
إنسان أن

يميل حيث
يطمئن،
فكان يرسل
شعره المؤيد
لزعماء
الأقلية،
مجاوياً
زعيم الأمة

طرائف كثيرة تدور هذا المدار، ومنها ما يتعلق بمجابهة المدرسين في المدرسة، ومشاكسة أدعياء العلم من نوي السمعة البراقة، وفي كلها تجعل المقدمة مصدر ترفيه لقارئها، ولعلها كانت دافعي إلى الإعجاب بالشاعر وتتبع قصائده، وبخاصة حين أصبح من كبار شعراء عصره، وصارت الصحف اليومية وفي مقدمتها الأهرام والبلاغ والسياسة تنشر قصائده في الصفحة الأولى منوهة شاكرة!

أما لقائي به، فقد سمح به الدهر مرة واحدة على غير انتظار، إذ كنت ذات صباح في دار الإخوان المسلمين بالحلمية سنة ١٩٤٦ قبل رحيل الشاعر إلي مثواه بعامين، فسمعت الأستاذ عطية الشيخ، وكان إذ ذاك مديراً بأحدى المدارس الثانوية يقول لجار له، إنه مضطر للاستئذان لأنه على موعد للذهاب إلي (القرشية) ليقابل الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الكاشف، فلم أتمالك أن تقدمت للأستاذ عطية، وليس لي به صلة ما، أسأله كيف السبيل إلي رؤية الشاعر الكبير؟ فابتسم الرجل في ود وبشاشة لم أتوقعهما، وقال: هيا، فصدقي الأستاذ الضيف خارج الدار،

ومعه عربته الخاصة، وسنذهب نحن الثلاثة إذا أردت! قلت إنها فرصة حبيبة، موفقة لا أستطيع القيام بشكرها، فشد الرجل الكريم على يدي وصحبني.

دار الصديق في الطريق عن الشاعر، فعلمت عن الأستاذ عطية أنه يعاني من أعباء الشيخوخة، ويشكو انقطاع الزملاء والتلاميذ عن زيارته، حتى أصبح في وحدته غريباً بين أهله، وفي ساعات يقبله اليأس فيتصور أن جهده الأدبي قد ضاع على مدى خمسين عاماً حفلت أمهات الصحف فيها بروائعه، وأن هذه الزيارة ضرورية لمن كان يحس إحسانه هنا أخذت أجمع في ذاكرتي ما أعرف من روائع

بالعاقبة المنتظرة، وهي عاقبة لا يستترها الشاعر عن قرائه بل يسجلها في المقدمة محتقلاً مؤكداً، وهو بذلك يتمتع قارئه بصراحته أكثر مما يتمتع بقصائده، وأدب الاعتراف ذائع مشهور، ولكن الكاشف لم يعتمد الاعتراف ليضاف إلى من أبدعوا في هذا المجال، بل ترك نفسه على سجيته، متدفقا مع خواطره كما تجيش في صوره دون تنميق أو اختيار، ومقدمته هذه تذكرني بمقدمة شبلي ملاط لديوانه لأن النبع ولد عند الاثنين، براءة وحماسة ووثوقاً بالنفس عن رغبة وطموح.

يذكر الكاشف من مواقف الصبا هذه أن قرية الصغيرة تحدثت عن مروة شاب شجاع رمى بنفسه في البحر للتلاطم لينقذ طفلين أوشكا أن يغرقا في الطوفان، فعزم على أن يأتي بأمر مماثل، ثم وافته الفرصة حين علم أن امرأة من نساء قرية أهينت بالضرب في قرية مجاورة، فجمع عدداً من الصبية ممن هم في سنه، وسلحهم بالعصى والهرارات وتقدم بهم إلى القرية المعتدية ليهجم على أناسها الكثيرين، وكانت النتيجة أن سقط الجيش المغير في أيدي خفراء القرية، ونال من التأديب ما يستحق، ولولا أنهم أحدثوا لواجهوا حكم القضاء.

وموقف آخر رونه الشاعر ذاكراً أنه علم أن شاهد زور شهد في مجلس القضاء شهادة أئمة، فرأى أن يقوم بتأديبه وجمع نفرا من تلاميذ مدرسته، وهجموا على الشاهد فأوسعوه ضرباً ومهانة وأخذ يستجير ولا من مغيث، وكانت العاقبة مأمونة. لأن الرأي العام في القرية كان معجبا ببطولة الكاشف وزملائه، فحبنوه وأستفاض له ذكر بالحمية والبسالة كما كان هذا الرأي العام ضائقاً جد الضيق بإثم شاهد الزور وجريمه الشنيع.



**بقلم :
أ. د. محمد
رجب
اليومي
- المنصورة -**

الشاعر. وما أعلم من مواقف فتوته ومزوجه، وقلت
إذا أثن الله ووجدت الاستعداد الطيب من الشاعر
وزواره، فسأفيض عليهم بما أجعل الرجل الكبير
يعلم أن شعره طي الصدور، وأن أبناء الكليات
بالجامعة يردونه ويتدارسونه، وأنه يقرن بشوقي
وحافظ ومطران ومحرم، وأن شعراء اليوم من
أمثال الأسمر وغنيم ومحمود حسن اسماعيل
وناجي وعلي محمود طه من تلاميذه، وهم يذكرون
له فضله الكبير. كان الشاعر على علم بالزائرين،
فقد تحدثا إليه تليفونيا، لذلك وجدناه في غرفة
الاستقبال المتواضعة، يلبس جلبابه الأبيض، وعليه
عباته الصيفية، ويده عكازه الذي يتوكأ عليه، ولا
أكتم القارئ أي فجعت حين رأيته بين أنياب
الكبر كطائر جريح، فقد كنت أعرف صورته
تتصدر الصحف مليئة بالشباب، ناطقة بالفتوة، في
عينه مضاء، وله شارب أثيث، وفي سيمائه صلابة
واعتماد، حتى لقد تخيلته فارس ميدان، لا طائر
دوحة! فلما صدمني الواقع بلغت ريقى أسفاً.

اختصني الشاعر بالحديث بدءاً، إذ كان لا
يتوقع مجيئي، فقال حين جلسنا: مرحباً بالشاعر
الشيخ، وكنت ألبس العمامة والكاكولة، فقلت، أما
شيخ فنعم، وأما شاعر فأنا تلميذ صغير للكاشف
الكبير! ضحك الشاعر وقال: في الأثر أساتذة
كبار فكيف أكون تلميذك؟! فأجبت، إننا جميعاً في
كلية اللغة العربية نحفظ شعر الكاشف فهو قريع
شوقي وحافظ ومطران، ومحرم! لقد كان (موسم
الشعر) الماضي يجمع أكثر شعراء مصر، ولم يكن
فيهم من فاق، الكاشف، حيث كانت قصيدته
عروس الموسم، هنا قال الأستاذ عطية: لن نتكلم
نحن يا مولانا، لأن هذا الزائر النبیه لديه أكثر مما
نقول، فقال الكاشف، وأنا أحب أن أسمع!

قلت: وكان في خاطري أن تكون زيارتي مصدر
سرور للرجل، إذ وقع في روعي أن رواية شعره
والإشادة بمكانته قد تذهب ببعض ما يعاني قلت:
حين مات الزعيم محمد محمود رثاه مطران ومحرم

والجارم والعقاد، ولكن قصيدة الكاشف كانت ذات
رنين مؤثر! هنا مد الرجل يده إلى يدي، وقال يا
أخي مطران ومخرم أفضل مني بكثير، وأنا أكن
لهما من الإجلال ما لا تعرف، يكفي أن أذكر
معهما جئت بشاعرين كبيرين جداً، لا أوفقهما
بحال. قلت: إني لا أزال أحفظ قول الشاعر
الكاشف في الراحل الكبير:

تلقيت أنباء الشفاء مريحة
فلم أس حتى جاني النيا الصعب
ففتح وناح الطير حولي وماج بي
مكاني وغاض الماء والتهب العشب
خلا منك بيت المجد والفضل والندى
ونادي المعالي أم خلا الشرق والغرب
ومسك داج في ثرى الأرض موشح
وكم ضاق عن أمالك العالم الرحب
أطوف به مستروحاً من عبيره
وقد صبحته من بواكرها السحب
ولو كان جثمان العظيم كئكره
لما نال من جثمانك الطاهر الترب
أهن إلي الماضي وما هو راجع
وقد سار بي فيما أحارته الركب
كفني حادي الظاعنين يمر بي
بلا رجعة سرب، ويتركني سرب
* تهلل وجه الشاعر وقال لقد قلت أروع ما في
القصيدة، وأنت فيما أرى راوية كبير فهل تحفظ
شيئاً مما قال محرم في هذه المناسبة.
قلت أحفظ لمحرم قوله:

من لي بملء الشرقين بيانا
وبما وراء النيين مكانا
رمت الرثاء فيما ظفرت بمنبر
يسع الرثاء ولا وجدت لسانا

* ومن أنفخ من أقال قسوله:
لما سقسقه النفي مرا طعمه
وجلوه حران الصفا ظمآن



خليل مطران



احمد محرم



حافظ



شوقي

لنت مذاق تـه قـلولا أنه

جم الوقار طوى المدى نشوانا

* فقال الكاشف، هذان البيتان استوقفاني كثيرا، وأنا أقرأ قصيدة محرم، وقد نشرت مع قصيدتي في صدر جريدة البلاغ، وبينى وبينه من الود ما لا يعصف به الموت لأن محرم انتقل الى رحمة الله، وهو أوسع مني ميدانا، إذ اقتصرنت في الأغلب على الشعر السياسي، أما هو فقد تكلم في كل غرض، وراح يأسأ معنيا، مع إياء نفس، ونزاةة ضمير. قلت: هذا ما أعلم، وقد تحدثت عن محرم، فما علاقتك بشوقي وحافظ ومطران؟

قال الشاعر أجدني متفتحاً للحديث معك على غير عادتي! لقد عاداني شوقي كثيرا مستمعا لأرباب الوشائيات، وقد أقيمت له حفلة تكريم بقريتي، أقامها كبير وجهائها محمد شوقي الخطيب بك، وقد دعا فيها من كرموا شوقي في القاهرة وأهملني وأنا جاره القريب، ثم علمت أن شوقيا قد أشار بإهمالي، فثاررت وعاتبته بقصيدة نشرتتها بالأهرام، وحين مات تسيت مواقف وراثته صادقا مخلصا لأنه أنبغ من قال الشعر من أعلامه المعاصرين! أما حافظ فصديق أنيس لم أشهد منه ما يريب، وكان لا يرضن بالثناء الجم على زملائه، ويستغى في قضاء مآربهم قدر ما يستطيع، وأنا ليست لي مآرب، فلم أكلفه شيئا، ولكني أحمل له الود الجم، وقد رثيته مرتين الأولى عند رحيله، والثانية في حفل أقيم لإحياء ذكراه بعد سنوات من

وفاته، ومطران أبقاه الله وحفظه من أحسين من رأيت إخلاصا ومروءة، تحدثت عن مقررنا مادحا على غير معرفة، وأذكر أنه قال عني مشكورا، «ناري المزاج، زئبقي الضاطر، فخور، لم أعاشره، ولكني طالعت أخريات قصائده فإذا هو ناصح ملوك، وفارس هجاء، ومقرع أمم على التقصير، ومرشد الحيارى في مختبط السياسة! لقد قال الرجل كثيرا فأحسن الله إليه كل الإحسان!

قلت: لقد قرأت كلام مطران، كما قرأت مطارحاتك الكثيرة مع محرم، وقرأت مدحك للخديوى عباس التي عاتبته فيها عتابا شديدا على اختصاصه بشوقي وحده، وعدم التفاته إلى غيره من الشعراء! فابتسم الرجل وقال: ذكرتني، لقد كانت هذه القصيدة أس البلاء مع شوقي، فلم ينسها، مع أنى مدحته فيها، وقلت: إن له زملاء يشاركونه الفضل، فكان هذا كثيرا في حقه، إذ يؤثر أن يكون وحده! سكنت، حيث تناول الأستاذ عطية الشيخ شعر شوقي بالتحليل المعجب، وتطرق القول إلى مناهج من السياسة الداخلية والعالمية، وقضية الوحدة العربية، وكان الكاشف فارس القول في كل اتجاه، وقد انقلب متحمسيا متاثرا، كعهدنا به في قصائده، ثم حان الرحيل فودعني الشاعر باحتفاء كبير لم أكن أتوقعه، وقال لي الأستاذ عطية ونحن راجعون، لقد كان وجودك ضروريا، سعد الشاعر بك كما سعدنا به جميعا!

الشعبي: فقيه الكوفة الظريف

الشعبي الفقيه:

عرفت من هو هذا العالم الفكه الذي أشهر بالظرف وجب الدعاية ولطف المعشر؟ إنه الشعبي فقيه الكوفة وعالمها الكبير الذي أجاد النظر والمأزجة أجادته لعل الحديث ومبهم القرآن ودقائق الفقه، فكان بحق من الشخصيات القليلة التي انصفت الفقهاء ودفعت عنهم تهمة العيوس والتجهم التي يأتى البعض إلا أن يلصقها ظلماً بكل فقيه وعالم - ولكن قيل أن تلج عالم الظرف والدعاية في حياة الشعبي لنقترب منه أكثر ولنتعرف عليه فقيها وعالمًا.

هو أبو عمرو عامر بن شراحيل، راوية في التابعين جليل القدر، وأقر العلم ولد وعاش ومات في الكوفة (١٩ - ١٠٣ هـ)، دأب في شبابه على ملازمة العلماء وارتياذ مجالس العلم حتى نال نصيباً عظيماً من العلم والفقه معتمداً في ذلك على «صبر كصبر الحمام، ويكور ككور الغراب والسير في البلاد» على حد تعبير الشعبي نفسه [١] وقد طار صيته في الآفاق حتى أصبح علماً من أعلام الفقه، ومضرب المثل في العلم والحفظ، وقد قال فيه ابن عيينة «علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه» [٢]. وتحفل كتب الطبقات والتراجم، ومراجع الفقه والعلوم الشرعية باجتهادات الشعبي وفتاويه العلمية وشهادات معاصريه فيه، أما الرواة ومصنفو الكتب الأدبية فقد كان لهم شأن آخر مع الشعبي، إذ شغلهم ما عرف عنه من ظرف وجب للدعاية، فراحوا يتسابقون في جمع أخباره وتتبع نواصره وتدوينها في صدر كتبهم، فإذا نحن أمام رجل خفيف الظل ظريف الطبع، فكه الأخلاق، استحق أن يراحم أعلام الفكاكة الرصينة في أدبنا العربي، فمن هو الشعبي الظريف؟

الشعبي الظريف:

«فرح الشعبي يوماً فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا، متنا من الغم» [٣]. بهذه الكلمات المعبودة أوجز الشعبي فلسفته في الضحك والفكاكة، فالضحك ليس هزلاً يخط من قدر الإنسان، أو عيباً يشين صاحبه ويذهب بوقاره، بل هو حاجة فطرية لا تستقيم الحياة لونها، وما أقسى الحياة وأضرها إذا لم تتخللها ساعات من الضحك والفكاكة يروج الإنسان بها عن نفسه، ويدفع ما يطرا عليه من هم

أسند الشيخ الهزيل ظهره برفق إلى أحد أعمدة مسجد الكوفة، تنحنج بهدوء ثم رفع رأسه وراح يتفرس في وجوه الرجال الذين تحلقوا حوله وقد تعلقت أنظارهم بوجهه المنهك الذي بدت عليه آثار السنن وسيما الساجدين الصالحين. هيا البعض قراطيسه واشرب البعض الآخر بعنقه محالوا الظفر بنظرة من خلال زجاج الرؤوس. وصمت الجميع فيما عيونهم تلح على الشيخ بالحديث.

بدأ الشيخ بإلقاء درسه، وكان حول احكام الصوم، فقال: نقل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: «تسحروا ولو أن يضع أحدكم أصبعه على التراب ثم يضعه في فيه» صمت الشيخ برهة يلتقط أنفاسه ثم هم باستئناف كلامه فإذا برجل من الجالسين يسبقه بالسؤال قائلاً: أي الأصابع تعني؟ نظر الجالس بضيق إلى هذا السائل الذي بدت على محياه سيمااء الحمق وملامح البلاء، وقد هم بعضهم بتعنيفه على هذا السؤال البليد، لكن الشيخ كان أسرع منهم جميعاً، فقد ابتسم وتناول إبهام رجله وقال: هذا، فضج الجميع بالضحك فيما اطرقت السائل خجلاً. هل

إياه فرعون - سوريا -

غيظ، لكن الشعبي لم يكن من هذا النوع، بل كان يرد على السائل بجواب لاذع مسكت أكثر هزلاً وأمضى سخرية معتمداً في ذلك على ما طبع عليه من ظرف وذكاء وسرعة بديهة.

ويعتبر الجواب المسكت باباً من أبواب الفكاهة في الأدب العربي، برع فيه عدد من ظرفاء العرب المعروفين من أمثال أبي العيناء وأبي الحارث جَمِين، وأبي نواس، والجَمَاز، بيد أن الشعبي كان من المتميزين في هذا الفن، فقد نأى بنفسه عن الأجوبة الجارحة البذيئة التي عرف بها بعض رواد هذا الفن خصوصاً أبي العيناء، مؤسساً بذلك مذهباً خاصاً في الدعاية بالنسج ومكانته العلمية والفقهية على نحو ما نجده في هذه الفتاوى الفكهة:

- سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية في الوضوء فقال: خلّها بأصابعك. فقال: أخاف ألا تَبْلُها، قال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل.

- سألته آخر: هل يجوز للمحرم أن يحك جسده؟ قال: نعم. قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم.

- سألته رجل فقال: هل أسلم على القوم وهم ياكلون؟ فقال: إن أردت أن تاكل معهم فسلم.

- سئل عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفاف.

- وسأله آخر عن أكل الذبّان فقال: إن اشتهيته فكلّه.

- مرُّ بالشعبي رجل فقال له: أصلحك الله، إني كنت أصلي فاندخلت إصبعي في أنفي فخرّ عليه دم، أتري لي أن احتجم؟ فقال الشعبي: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحمامة.

- وسأله رجل: ما تقول في رجل شتمني في أول يوم في شهر رمضان، أتراه يؤجر؟ قال الشعبي: إن قال لك يا أحمق رجوت له ذلك.

الهوامش:

١- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي - تحقيق: مشهور الصاغري وشعيب الأرنؤوط - بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١٩٨٢، ج: ٤، ص: ٢٠٠.

(٢) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٦٢، ص: ٢٢٩.

(٣) بهجة الجالس وأنس المجالس: القرطبي - تحقيق: محمد مرسي الخولي - بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١٩٨١، ج: ٢، ص: ٥٨.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) البقرة: ٣٢.

وغم. انطلاقاً من هذا الفهم الانساني للضحك مزح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومزح الصحابة والتابعون والعلماء والفقهاء. بل كان منهم من نافس ظرفاء العرب فكاهة ونادرة كالعامش، وابن سيرين، وفقيهنا الظريف الشعبي. ويمكننا أن نقف على أخبار الشعبي ونوادره في عدد من كتب الأدب يأتي في مقدمتها: نثر الدر للآبي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وصيوان الأخبار لابن قتيبة، والمراح في المزاح لمحمد الغزي، وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، والبصائر والذخائر لابن حبان التوحيدي، وغيرها. وإليك بعض ما اخترناه من نوادر هذا العالم الظريف:

بينما كان الشعبي في مسجد الكوفة إذ أقبل رجل فقال: يا شعبي، إيليس كانت له زوجة؟ قال: نعم له زوجة، فقد قال الله عز وجل: [أفقتخونه وزريته أولياء من دوني وهم لكم عدو] [٤] ولا تكون الزرية إلا من زوجة. قال الرجل: فما كان اسمها؟ قال: ذاك نكاح ما شهدناه.

- قيل للشعبي: هل تمرض الروح؟ قال: نعم، من ظل الثقلاء.

قال بعض أصحابه: فمررت به يوماً وهو بين ثقلين فقلت له: كيف الروح؟ قال: في النزح.

- سئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أري. ف قيل له: أما تستحي أن تقول لا أدري وأنت فقيه العراق؟ قال: لكن الملائكة لم تستح إذ قالت: [سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا] [٥] - يدخل الشعبي الحمام فرأى داود (الأودي بلا منز، فغمض عينيه، فقال له داود: متى غميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

- كان الشعبي ضئيلاً نحيفاً، ف قيل له: ما لنا نراك نحيفاً؟ قال: إني زُوجمت في الرحم (وكان الشعبي قد ولد هو وأخ له في بطن واحد).

فتاوى فكهة:

الفتيا وظيفة هامة، ومسؤولية دقيقة تتطلب علماً وذكاء وسعة أفق والأصل أن يكون المستفتي جاداً في سؤاله، حريصاً على تحري الحكم الشرعي، ولكن قد يكون المستفتي في بعض الحالات عابثاً يرمي بسؤاله احراج المفتي، أو هازلاً لا يقصد إلا المزاح والهزل، أو ربما كان خفيف العقل، محدود الفكر، فيستشكل أموراً سخيفة لا طائل من رأتها، فكيف يكون رد المفتي في مثل هذه المواقف؟ ربما ينبغي بعض فقهاءنا، فيعنفون الهازل، وينهرون العابث، أو يعرضون عن الجاهل الآخرق في

الإبداع في نظر التاريخ والعصر

الحملة الفرنسية على الشرق العربي من آثار فكرية، ثم تبعتها البعثات العلمية إلى أوربا والتي أسهمت في اتساع حركة النقل والترجمة عن كثير من جوانب الحضارة الغربية. وعلى الرغم من انهيار - أو استسلام - بعض كوادرات البعثات بما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم في العديد من المجالات وجمود أو تخلف بعض الجوانب المقابلة في رصيد الحضارة الإسلامية إلا أنهم ظلوا حتى نهاية القرن التاسع عشر لا يمثلون - في الغالب - ظاهرة تقف موقف التحدي للاتجاه الفكري السائد وهو الاتجاه الإسلامي.

وإذا كان وقوع كثير من البلاد العربية تحت الاحتلال الإنجليزي والفرنسي وغيرهما قد أسهم في تقوية الاتجاه الداعي إلى الأخذ عن الحضارة الغربية فإن وجود الاحتلال في حد ذاته كان مستغفرا لكثير من أتباع التيار الفكري المحافظ حيث لم يعتادوا منذ العصر الإسلامي أن يحكمهم غير مسلم «كافر»، ولم يكونوا على استعداد لقبول فكره مهما كانت فوائده وجوانبه المضيئة بقدر عدم قبولهم لوجوده وحكمه، واعتبروا أن مقاومة الاتجاه الداعي إلى الأخذ عن الحضارة الغربية يعد نوعا من أنواع الجهاد في سبيل الله، أو الكفاح الوطني، لا يقل عن مقاومة وجوده العسكري. وقد أبدى هذا الدور للتيار المحافظ إلى

اهتم كثير من المؤرخين بتطور حركة الإبداع الفكري، مشاركين غيرهم من المتخصصين في العلوم الأخرى، ولم يقف اهتمامهم بها عند حد رصدها باعتبارها ظاهرة تاريخية فقط بل تعداه إلى ضرورة الإلمام بأبعادها باعتبارها حركة شغلت جموعا من المثقفين المسلمين منذ منتصف القرن التاسع عشر، كما أنها - كإشكالية ثقافية - كانت وما زالت تؤثر على التكوين الثقافي للعقل العربي المعاصر، إلى جانب تأثيرها على كثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتعود جذور هذه الإشكالية الثقافية على الساحة العربية الإسلامية إلى مطلع القرن التاسع عشر متمثلة فيما خلفته

اتهمهم من قبل المروجين للتيارات الوافدة بالتخلف والجمود والرجعية، بل وربطت هذه التيارات بين قضية الإسلام السياسي «سياسيا» والاتجاه الأصولي «فكريا»، وكشفت دعوتها إلي لفظ كل ما هو قديم والاتجاه الكامل إلى الحضارة الغربية بحكم أنها مليئة بجوانب الإبداع.

واستتبع ذلك اتجاه مماثل للمفكرين المسلمين المحافظين فدعوا إلى ضرورة إحياء تراثنا الإسلامي وتلمس الطريق إلى الإلمام بجوانبه الإبداعية أو الداعية للإبداع، كما دعوا في نفس الوقت إلى لفظ كل ما هو واقف وإلى الربط بين النتاج الحضاري الأوربي وبين جذور الصراع المتجدد بين الشرق والغرب في صورته الدينية القديمة والحديثة.

واتجه بعض المفكرين إلى اعتبار أن لكلا التيارين، تيار الأخذ الكامل عن الحضارة

الغربية والتيار الأصولي الذي يتجه إلى إحياء التراث، لكليهما سوءاته وسلبياته التي تزيد عما له من فوائد، حيث رأوا أنهما تياران تبعيان يدعوان إلى اتباع الغير قديما وحديثا دون العناية بتيار ثقافي إبداعى يجسد الولاء وينميه وتبجو من خلاله الشخصية الثقافية المستقلة ويراعي الظروف الزمنية والبيئية.

وحتى التيارات الثالث التوفيقى والذي

حاول أن يربط بين جذور التراث الإسلامى وبين المنجزات البارزة في الحضارة الغربية فإنه لم يسهم في حل هذه الإشكالية الثقافية بل ربما أسهم في اتساعها وذلك لكونه قد سار في فلك التبعية هو الآخر ولكن بين قطبين متنافرين من جهة، كما أنه - مثله مثل التيارين السابقين - قد أسقط حساب الزمن والمؤثرات البيئية والمرحلية من ناحية ثانية، وكذلك لكونه - في رأى البعض - محاولة يمكن اتهامها بإجهاض المساعي الإبداعية لاقتصراره على استلهم النماذج من كلا التيارين المتنافرين من ناحية ثالثة.

وكان من الصعب على المؤرخين تفسير

العديد من الظواهر

الاجتماعية والثقافية التي

صاحبت هذه القضية دون

الوقوف على طبيعة هذه

الإشكالية وتطورها، ولعل

متابعة الأحداث في تاريخ

مصر فيما بعد الحرب العالمية الأولى يعد

نموذجا واضحا لذلك. ففي الوقت الذي

سأيرت فيه الجامعة المصرية التي أنشئت

سنة ١٩٢٥م الاتجاه الليبرالي في تبني

فكرة الأخذ الكامل عن الحضارة الغربية

وتخريج كوادى في هذا الاتجاه وتدعيمها

بكوادى البعثات العلمية إلى دول أوروبا

كانت الجامعة الأزهرية تزيد توغلا في

التراث القديم وتزيد من التركيز على

بقلم:

د. زكريا طهوان بيومي

كلية البنات - جدة

المناهج الأصولية، وكذلك الصحف ذات الاتجاه الإسلامي، وأسهمت في مجموعها في تخريج كوادر أكثر سلفية عما قبلها.

وأسهم ذلك أيضا في خلق عادات وتقاليد اجتماعية جديدة على المجتمع المصري هي في مجملها مرفوضة في مجتمعنا الاسلامي وبالطبع كان لكل هذا أثره على الشباب حيث صادفت هوى في نفوسهم وأغرثهم على التمرد على كل ما هو قديم والاستخفاف بالعادات الموروثة حيث لقي في هذه العادات إرضاء لنزواته فأقبل على تعلم الرقص مع الفتيات كي يجاري في عاداته أبناء الجاليات الأجنبية، وتنافس الأغنياء على استجلاب الأنوات المنزلية الحديثة ووسائل الترف من أوروبا وعلى إرسال أبنائهم للتعليم في دول الغرب مباهاة بالقدرة على الإنفاق.

وبقدر ما كان التوغل في الأخذ عن الحضارة الغربية يدفع أصحابه لرفض جوانب التراث ومهاجمته وكان يعبر عن عدم فهم هذا الجناح لما يمكن أن يفيد فيه التراث كان رفض التيار الأصولي للأخذ عن الحضارة الغربية ومهاجمتها عند بعض المحافظين تعبيراً عن عدم فهم للجوانب المضيئة في هذه الحضارة. كما أن كلا التيارين قد رفضا أتباع التيار

التوفيقي، وبالتالي فإن ذلك قد أسهم في أن يسير التياران الرئيسيان في خطين متوازيين أو متنافرين حتى الآن، وحولهما تتشكل أزمة الثقافة التي تعكس أبعاد التطرف وتسهم فيه في مصر المعاصرة.

وقد رأى بعض المفكرين أن العقم الثقافي أو الفكري هو النتيجة الطبيعية لتيارين اتباعيين - قديم وحديث - فكلاهما يتبع غيره وعالة عليه ولا يعمل عقله في الاستفادة بكليهما، وأن القضية ينبغي أن تصبح صراعاً بين إتباع - تمثله هذه التيارات - وإبداع يمثل أعمال العقل بعد فترة استيعاب وصهر ثقافيين.

على أن ما ينبغي على هذا الفريق من المفكرين إدراكه هو أن السعي إلى إحياء التراث لا يعنى الوقوف عند حد استهلاك النماذج المضيئة منه فقط، فبقدر نجاح المؤرخين في وضع أيدينا على هذه النماذج إلا أنهم وضعوا أيدينا كذلك على جوانب هامة يمكن اعتبارها من أهم أسس الإبداع في تاريخنا المعاصر. فقد أمكن للمؤرخين المسلمين أن يوضحوا الكثير من القوالب أو المناهج أو الأحكام العامة التي تعين على الاجتهاد وتحض عليه وإلى أعمال العقل ووفق معايير ثابتة ترتكز على مفهوم ثابت للقيمة الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي. وأدرك

الآن بمنهج أهل الحديث في تحرى
المعلومة والتحقق من صدقها وتوخى
الصدق في تحليلها وبذل الجهد في
الحصول عليها . بل وهناك حقيقة ثابتة
في المنهج الإسلامي لم يصل من
يتصفون بالإبداع إلى أكثر منها حتى
الآن وهي « الحقيقة ضالة المؤمن يبحث
عنها أنى وجدها »، فنقلت بالنص عند
فلاسفة التاريخ « الحقيقة ضالة الباحث
يبحث عنها أنى وجدها ».

وقد خلفت هذه المدرسة الإبداعية
العديد من المؤرخين عبر مراحل التاريخ
الإسلامي كالطبري وابن الأثير وابن
تغري بردي، ولعل من أبرزهم العلامة
عبد الرحمن بن خلدون الذي يعد أساسا
ارتكز عليه الباحثون الأوروبيون في علم
الاجتماع وعلم التاريخ، وما زالوا يعتبرونه
رائدا من رواد الحركة الفكرية حتى
تاريخنا المعاصر .

ويمكن القول بأن التراث الإسلامي
وعبر مراحل التاريخ مليء بجوانب
الإبداع التي تصغر أمامها كثير من
القوالب المنقولة من الحضارات
المعاصرة، كما أنه قريب من فكرنا
ونفوسنا وظروف بيئتنا، وعلى الأقل
فليكن منه القالب الأساسي الذي نصب
فيه جهودنا الإبداعية المعاصرة ونصهر
فيه كل ما يمكن الإلمام به من كل جوانب
المعرفة ومن شتى مصادرها .

كثير من المفكرين والمؤرخين الأوروبيين
قيمة هذه الأحكام والمناهج حين قاموا
بالبحث عن جذور ظواهر الاضطرابات
النفسية والاجتماعية والسياسية التي
امتلات بها الساحة الأوروبية عبر مراحل
التاريخ الحديث والمعاصر، حيث أدركوا
أن القوالب والمناهج والاتجاهات
الإبداعية ترتكز على مفهوم متغير للقيمة
الأخلاقية لكونها تعتمد على مبدأ
المصلحة، وهو مفهوم متغير، وبالتالي
تظل محدودة القيمة بالنسبة لخير
الإنسان والإنسانية .

كما أن الكثير من الجوانب الإبداعية
التي بهرت البعض من مفكرينا في
الحضارة الغربية قد تأثرت - إن لم تكن
قد نقلت - من المنهج الإبداعي المأخوذ من
تراثنا الإسلامي وهو ما تؤكد الحقائق
التاريخية وأن ذلك ليس قاصرا علي
منهج بعينه، فهناك جوانب إبداعية
إسلامية في الطب والأحياء والفلسفة
وغيرها لم يكن من الممكن للحضارة
الأوروبية أن تبنى أو تقوم دون الإلمام بها
أو الأخذ منها .

وفي ميدان الدراسات التاريخية فإن
منهج البحث الإسلامي الإبداعي الدقيق
أسبق من غيره من المناهج في هذا
العلم، ويكفي أن نوضح التزام المؤرخ
المسلم منذ عصر صدر الإسلام وحتى



سر الزجاجة ٢

بقلم: د/ عبد الرزاق فراج الهادي
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة -

تصغيره

إلينا، فقبلناه بصورته المعدلة المحرفة.
ومثله «مرتت» كلمة عربية مكية انتقلت مع
الحجاج الأتراك، ثم عادت إلينا محرفة، فهي في
الأصل «مروعة» من الصفا والمروءة، فقبلوا الواو فاء
(V) ووقفوا على التاء كما يقولون: حكمت وعزت
وصفوت.

١٦ - قصتي و قصتي:

أجهدت ذهني، ومرتت الورقة تلو الورقة وأنا
أخايل الخيال، تهيأت له عدة شخصيات، راق لي
منها رجل قوي مربوع القامة نصف شعره أسود،
في الستين من عمره، تقاعد لتوه من عمله الجامعي،
سميته: راجي.

وبينما كنت أعاني هم البداية، وأكد ذهني، وأكتب
وأشطب إذ بطرق شديد على الباب: داخلني شعور
ممزج بالتحب والدهشة، إذ كانت الساعة الواحدة
والنصف بعد منتصف الليل.

من عساه يكون؟

خلعت نظارة الكتابة ولبست نظارة المشي،
ونهضت ففتحت الباب بون أن أنظر من الكوة
السحرية فيه، فإذا به رجل قوي مربوع القامة نصف
شعره أسود!

قلت: من؟ راجي؟

ابتسم ابتسامة صفراء، وقال: هل أدخل؟
عقدت المفاجأة لساني، فكرر الطالب بالدخول
مرتين.

قلت تفضل.

جلس القرفصاء في ركن المجلس، ولم يمهلي أن
أتم مجاملات الترحيب، فقال: أرجو - قبل أن تكتب

١٠ - معجم اللغويين والنحاة:

لرجال العرب من لغويين ونحاة مكانة خاصة
في نفوس المثقفين في بلادنا، ولهم نكهة متميزة
ككلمة العربية على لسان أعرابي في جبال الحجاز
أو في صحراء نجد.

وجمهور اللغويين في بلادنا أدباء وكثير من
الأدباء لغويون، نحاة، والفريقان وجهان لكوكب
واحد، فمنهم من يدور حول محوره بانتظام فيرى
وجهه اللغوي ووجهه الأدبي، فهو لغوي تارة، وأديب
أخرى.

ومنهم من هو كالقمر لا ترى منه إلا وجهاً واحداً،
فهو يستتر جانبه الآخر على الدوام.

وفي سماننا من هؤلاء وهؤلاء الكثير، فمنهم من
تراه فوقك في كبد السماء يشع بأزهى الألوان،
ومنهم من تراه يتأهب للغروب ويرسل ضوءه الأحمر
الفاقت ليلاسل فيك مكان من الوجد اللبينة.

ومنهم من تضدع عينك فتراه صغيراً لا يعيا به
لأنوائه في كبد السماء، وهو عملاق عظيم لم
يُكشف. وهكذا لا تخلو سماننا من النجوم
والكواكب، إذا غرب كوكب أشرق آخر، وإذا سقط
نجم بزغ نجم.

وقد شرعت منذ عامين في بناء «مرصد» سميت
«معجم اللغويين والنحاة في المملكة العربية
السعودية» فبحثت، وسألت، ورأست، فاستجاب من
استجاب، وسوف من سوف، وسكت من سكت،
ونسى من نسي، وما أنذا أشكر المستجيب، وأذكر
الناسي، وأحث المسوف، وأرجو أن يتكلم الساكت.

١١ - واحة «الفيضة» إلى توكيا:

يشيع اسم (تفيد) في بعض البلاد العربية، وهو
مما وقع في العربية من اللغة التركية، إلا أنه من
أصل عربي، وهو «توحيد» فلغزة الأتراك عن
العرب، ولكنهم نطقوا الواو كما لو كانت (ف) (V)
وأسقطوا الحاء لأنه لا يوجد في لغتهم، ثم أعيد

طوبى، فقال: طيبى، فلما طال علي قلت: طوطو، فقال: طي طي!!

وهذا يدل على ثقل لسان الكبير؛ لأخذ جهازه الصوتي ووضعه النهائي على ما اعتاده في بيئته من طرائق الكلام في الأصوات والحروف والمخارج والفن بخلاف الصغير الذي يتقبل ما يسمع، ويسهل عليه محاكاته؛ لطراوة جهازه الصوتي وصفاء ذهنه وتبنيه للاستقبال والاستيعاب والمحاكاة، ولهذا قالوا: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، ولهذا - أيضاً - يحرص علماء التربية على نواحي التلقين الصوتية في عملية التعليم لدى الأطفال.

ولا أجدي في هذا الشأن ولا أحسن ولا أبرك ولا أعظم من تلقين الطفل القرآن.

١٥ = المغربي:

مات المغربي، محمد علي مغربي، الأديب التاجر، والتاجر الأديب، لقد اطلعت في ملحق الأربعاء (٢ رجب ١٤١٧هـ) على جملة من مرثياته بأقل من عدد من الكتاب، فحرك ما قرأته في الفواطر، وأبحرت في سيرته الذاتية، ميلاده، شبابه، حياته، كفاحه، علمه، أدبه، تجارته، مواقف الإنسانية، إسهاماته الخيرية... ثم وفاته.

لقد طويت صفحة حافلة بالأحداث السارة والحزينة، مزيج من الكفاح والجهاد والصبر والعرق، طويت تلك الصفحة التي كان سطرها الأول سنة ١٣٣٢هـ وختم سطرها الأخير هذا العام ١٤١٧هـ.

هكذا يموت الإنسان..

يموت مهتماً بلغ من تحصيل العلم والمال والجاه والصحة، يموت، لابد أن يموت لتمضي سنة الله في خلقه.

يا أضعف الإنسان وحقارته، ويا لعظمتهم وجبروتهم! إن العظيم من شاء أن يكون عظيماً - الناس جميعاً يبحثون عن المكانة المرموقة، يبحثون عن السعادة، فمعهم من يفتش عنها في المال وسعة الرزق، ومنهم من يظنها في لذات الجسد الحسية ومنهم من وجدها في الجوّ إلى الله والرضا والقناعة.

لقد كان المغربي - رحمه الله - أديباً بارزاً في أدبنا السعودي المعاصر، وتاجراً معروفاً، واستطاع بعزمته وصبره ويتوفيق الله له أن يجمع بين تقيضين لا يجتمعان، العلم والمال.

قصتي - ألا تضعني في مواقف لا تتناسب مقامي، فأنا أستاذ جامعي وقد تقاعدت للتّحسّب رغبتك أو حسب خيالك، مع أنني لم أزل قادراً على العطاء، وأنا أقوى منك كما ترى، فلا تجعلني في مواقف محرجة، ويكفي أنك جعلتني في هذا العمر الحرج، وكنت أتمنى أن أكون في غير تلك السن.

قلت: لن أتدخل في حياتك ياراجي، ولن أكتب من قصتك حرفاً واحداً من عند نفسي، بل أريدك أن تحكي خبرك بنفسك. أريدك أن تحضر إلي ساعة من نهار، وتلمي ما تريد.

رضي بهذا الاقتراح، وفرح به، ولا أخفيكم سرّاً أنني فرحت أنا - أيضاً - لأنه سيحمل عني مشقة التفكير في كتابة القصة، ولا أدري كيف يذهب بي الخيال!

وانتظرت في الغد في الموعد المحدد فلم يحضر. وانتظرت في اليوم الثاني والثالث والرابع، فلما يئست منه عرفت أنه خدعني، وأني أخطأت عندما وافقت على أن يروي هو قصته، وكان علي أن أمسك بزمام الأحداث، وأنحكم في مجريات حياته، كيفما أشاء أنا، ليس هو من اختراع أفكاره؟ والقلم قلبي أنا؟

١٦ = ابن عقيل الظاهري:

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري طود شامخ في اللغة والأدب، وقد أثرى الساحة بكتبه المتنوعة ومقالاته الغزيرة، ولقد قرأت كثيراً منها منذ أن توقد في قلبي حب اللغة والأدب، واستندت مما فيها، وقد شرب الشيخ وغرب وأصعد وانمدر، وأخذت عليه أشياء في أصول اللغة وفروعها، أو شكت أن أخرجها في كتاب، ثم تراجعت إشفاقاً على نفسي. وقد برّح الشيخ عني في المجلة العربية (العدد ٢٢٤) في لحظة فوران، فزلق به القلم يميناً وشمالاً في قواعد صرفية معروفة، وتاه بين المتحني والمتنحوي!

١٧ = لسان الكبير:

روى ابن جني عن أبي حاتم السجستاني أنه قال: قرأ علي أعرابي بالحرم: «طيبى لهم وحسن مات» فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فأعدت فقلت:



٣٢

يقول الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه
حياة الرافعي تحت عنوان (مقالات منحولة).

في سنة ١٩١١ أصدر الرافعي كتاب (تاريخ
آداب العرب) فتقبله الأدباء بقبول حسن،
وكتبت عنه المقالات الضافية في كبريات
الصحف، ولكن ذلك لم يكف الرافعي، ففي ذات
يوم قصد إلى جريدة المؤيد، فلقى هناك صديقه
المرحوم أحمد زكي باشا، فأهدى إليه كتابه،
ورجاء أن يكتب فصلا عنه، فقال له أحمد زكي
باشا «وماذا تريدني أن أكتب» قال الرافعي:
تقول .. وتقول» فقال زكي باشا: اكتب ما
تشاء، وهذا إمضائي! وجلس الرافعي إلى
مكتب في دار الجريدة فكتب ما شاء أن ينسبه
إلى صديقه في تقرير كتابه، ثم دفعه إليه فذيله
باسمته ودفعه إلى عامل المطبعة، وقرأ الناس
في اليوم التالي مقالا ضافيا بإمضاء أحمد
زكي باشا في تقرير (تاريخ آداب العرب)
شغل الصفحة الأولى كلها من الجريدة، ولكن
أحدا من القراء لم يعرف أن كاتب المقال هو
الرافعي يثنى على كتابه، ويطري نفسه.

ولهذه الحادثة أخوات مع زكي باشا نفسه،
فإنه لما أنشأ نشيده - يزيد الرافعي -

«اسلمي يا مصر» قرأ القراء مقالا

في الأخبار (أخبار أمين الرافعي)

بإمضاء أحمد زكي باشا يثنى على

النشيد، ويطري مؤلفه، ولم يكن كاتب

هذا المقال غير الرافعي، بل إن أكثر

المقالات التي يراها القاريء في الكتيب الصغير

الذي نشره الرافعي عن نشيده هذا، هو من

إنشائه أو إملائه.

وقد ظل هذا التعاون وثيقاً بين المرحومين

١٩١ هـ - شب الثناء:

يقول الشاعر:

يهوى الثناء مبرز ومفصر

حب الثناء طبعه الإنسان

وخب الثناء لدى المبرز موضع

تساؤل، إذ له من تبريزه ما يفني عن

المدح، ولكن أرباب الأقلام في حاجة

إلى أن يشعروا بقيمة آثارهم الأدبية،

فإذا سكت عنها الناقدون ألحوا في

طلب النقد، وفيهم من يتجاوز الإلحاح

إلى الاحتيال، فيكتب الثناء عن نفسه، ثم يمهره

باسم علم بارز، والضعف الإنساني مما لا

حيلة للمرء فيه وما وجد به الضعف إلا لأنه

إنسان.

د. أبو

حام

المنصورة

زكي باشا والرافعي إلى أخريات أيامهما، ومنه أن زكي باشا كان علي نية إعداد معجم لغوي كبير قبيل وفاته، وكان للرافعي في إنشاء هذا المعجم أثر نو بال، وفيه فصول ألفها الرافعي بتمامها وأعدّها للإمضاء، ولكن النية أعجلت أحمد زكي باشا عن إصدار هذا المعجم، وأحسبه مازال محفوظاً بين مخطوطاته».

هذا ما قاله الأستاذ العريان، ولي سؤال يدور حوله: فإن أسلوب الرافعي الكتابي لا يشتهر بأسلوب أحمد زكي باشا بحال من الأحوال، لأن طابع الرافعي أبرز من أن يخفى، أفكان الرافعي يتعمد مجافاة أسلوبه ومحاكاة أسلوب شيخ العروبة، وذلك عبء فسوق عبء التأليف، قد يكون! والتعاون الذي ذكره العريان وقال إنه امتد إلى أن مات أحمد زكي باشا يوحي بسؤال آخر، لقد كان الرافعي يودع كبار الراحلين بمقالات مؤثرة مثل شوقي وحافظ ومحمد الخضري ويعقوب صروف فلماذا لم يؤن صديقه أحمد زكي؟ إذا كانت الصلة هامة.

١٩٢ = (الشاعر أحمد الزين):

كان الشاعر العالم الراوية المحقق الأستاذ أحمد الزين من نوابغ عصره شعراً وبحثاً وتحقيقاً، وشعره على قلته من أروع ما يقال، ومازلت أذكر تأثير برثائه للهراوي حين نشر في الأهرام والثقافة بعد رحيل الهراوي وفيه يقول:

دع الجمال بما تهوى محاسنه
يمضي وتغلب الأحزان والطل
عيب الجمال بلاء بعد نضمرته
يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلا

فلمسلاً فؤادك من يأس ثوحه به

أشقى نفوس الورى شيء هو الأمل

* وموضع الشاهد هنا أن الشاعر أصدر في سن السابعة عشرة من عمره، وكان طالبا بالأزهر مجموعة شعرية باسم (قلاند الحكمة) وقد صدرت بتقريظ شعري لشيخ شعراء مصر اسماعيل صبري باشا قال فيه:

إذا كنت يا زين زين الأدب

فإن كتابك زين الكتب

قلاند طوقت جيد البيان

بهن وحليت جيد العرب

خلاتق تزري بنفح الرياض

إذا ضحكت من بكاء السحب

وما المرء إلا خللق كريم

وليس بما قد حوى من نشب

* وقد ذكر الأستاذ على فوده بمجلة الرسالة تعقيباً على هذه الأبيات قبل أن يرحل الزين إلى جوار ربه بخمسة أعوام فقال:

«إن مدح الشاعر صبري باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ما من كرام العلماء والأدباء إمام من أئمة الأدب والعلم هو شيخنا مصطفى عبد الرزاق باشا، يجب إيرادها إنصافاً للشاعر الغائب».

كان ذلك منذ عامين، وبیت عبد الرزاق بعابدين على عهدك به في ليلة من ليالي رمضان، ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة، فقد جرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة، فقال الدكتور هيكل باشا: لعل الشاعر اسماعيل صبري باشا لم يكن واسع المصنول اللغوي سعة تحميه من التورط أحياناً في

كلمة فارسية تدل على الإعجاب] قد صفا
ذهنك، وجادت قريحتك، وتنقحت قوافيك ليس
هذا من الطراز الأول حين أنشددتنا في العيد
الماضي، إن المجالس [مجالس الصحاب]
تُخَرِّجُ الناس، وتهب لهم الذكاء، وتزيدهم
الفطنة، وتحول الكودن [الهجين من الخيل]
عنيفا والمحرم جوادا، ثم لا يصرفه عن مجلسه
إلا بجائزة سنينة، وعطية هنية، ويغايظ الجماعة
من الشعراء وغيرهم، لأنهم يعلمون أن أبا
عيسى لا يقرض مصراعاً، ولا يزن بيتاً، ولا
ينقو عروضاً.

١٩٤ - (الدكتور زكي مبارك):

ألف الدكتور زكي مبارك كتابه عن العشاق
الثلاثة: جميل بن معمر، وكثير بن عبد الرحمن
والعباس بن الأحنف وهو كتاب «لطيف الحجم
في مجموعة سلسلة إقرأ» الشهيرة، ولكن
أسلوبه التحليلي واختياره الشعري، وجماله
التعبيري مما يشهد له بالتفوق، وقد فوجيء
القراء بكلمة مائدة عنه، نشرتها الأهرام بقلم
زكي مبارك نفسه، وهو صدق واقعي يدل على
الصراحة الناصعة التي يعمدها القراء في
الكاتب الكبير، وقد علقت الأهرام على المقال
بأنه إحدى طرائف الدكتور النادرة إذ يكون
المقرض هو المؤلف، والفارق النفسي بعيد بعيد
بين من يكتب التقريظ بقلمه وينسبه إلى غيره،
وبين من يقرض نفسه علانية، ويقول إنه أدري
بمحاسن الكتاب من سائر النقاد.

ولو كان الذي كتب هذا التقريظ لنفسه غير
الدكتور زكي مبارك لكان مبعث نقد واعتراض،
ولكن الدكتور لا يواجه باعتراض ما، لأنه في
مقدمات كتبه الشهيرة، يتحدث عنها حديث
المعجب المفاخر، ويغمز غيره ممن شاركوه

بعض الأخطاء، فالتفت الشيخ مصطفى عبد
الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبري باشا،
فقال له هيكل باشا، لقد أسمعني بعضهم
شعراً جاء فيه كلمة (خلاق) بمعنى (خلق) وهي
ليست كذلك فيما يقول الشيوخ، فقال مصطفى
عبد الرازق باشا - والشيخ أحمد الزين حاضر -
إني أنكرت ذلك أيضاً، فلما لقيت صبري
باشا لم أكتفها عنه، فقال لي: إن الشيخ الزين
رجل مثابر على الود، فلما هم بطبع ديوانه
ساكني أبياتا فلم تسعفني القريحة، ولما تكرر
منه الطلب لم يسعني إلا أن أقول له - وهو
شاغر أيضاً - اصنع أبياتا لنفسك على لساني،
فلما أهدى إلي ديوانه قرأتها كما قرأتوها،
وصبرت علي ما لم تصبروا عليه.

والسؤال المتبادر للذهن تعقيباً على هذا
القول: لماذا لم يطلب صبري قراءة ما ينسب
إليه قبل طبعه؟ وهذا من أوجب حقوقه؟

١٩٣ - (وجهة إلى الماضي):

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإننا ننقل
عن الجزء السادس من معجم الأدباء لياقوت
هذه النادرة:

«ثم يعمل (أي) صاحب بن عباد الوزير
الشهير والكاتب الجهير) في أوقات كالعيد
شعراً، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم، ويقول
له: قد نحلكت هذه القصيدة فامدحني بها في
جملة الشعراء، وكن الثالث من المنشدين،
فيفعل ذلك أبو عيسى، وهو بغدادي مُحَكَّكٌ، قد
شاخ على الخدائع وتحكك، فينشد فيقول له
[الصاحب] عند سماع شعره في نفسه،
ووصفه بلسانه، ومدحه من تجبيره: أعد يا أبا
عيسى فإنك والله مجيد، زه يا أبا عيسى زه»

لي يقول إنه دون المستوى بكثير، وما كان لك أن تهتم بنشر هذا اللغوا! وصرت أعتقد أن الزميل الفاضل سيحمد لي موقف، وينتهي إلى هذا الحد، ولكن عجيبة العجائب حقا هي أنه جاعني يرجو أن أرد على رده بمقال لتدور معركة حول الكتاب قلت يا أخي إن رئيس التحرير نشر ردك مضطرا، وهذا خطابه إلي، فكيف تدور المعركة في فراغ مجذب! احمر وجه المؤلف وخرج ليقول لأصدقائي، إنني أنكر عليه سبقه العلمي وأقف في طريقه الأدبي وأن نفسي مريضة!! ثم قاطعني فارتحت كثيرا لهذه المقاطعة، ولكني ندمت على أنني انقدت له بدافع المجاملة فسطرت المقال المنكود! فما رأي القاريء في هذه التجربة؟

١٩٦ - من شعر حافظ إبراهيم:

قال حافظ إبراهيم مقرظا ديوان الشاعر
الأديب النابغة مصطفى صادق الرافعي:
أراك وأنت نبت اليوم تمشي
بشبه عرك فوق هام الأولينا
وأوتيت النبوة في المعاني
وما دانيت حد الأربعينا
فمن تاج الرأسة بعد سامي [١]
كما زانت فرائده الجبينا
وهذا الصولجان فكك حريصا
على ملك القرى وكن أمينا
فحسبك أن مطرك ابن هاني [٢]
وأنت قد غسوت له قرينا

الهوامش:

(١) سامي: محمود سامي البارودي رب السيف والعلم.

(٢) ابن هاني: أمير الشعراء أحمد شوقي.

القول في منحاه الأدبي غمزا يصل إلى درجة الهجوم! فأني شيء في أن يتقل بعض ما يقوله في المقدمة بقلمه أو شببها به إلى جريدة الأهرام!! إنك تقرأ - مثلا - كتابه الممتاز حقا عن النثر الفني في القرن الرابع الهجري فتجد من أساليب المياهاة الفاخرة ما لا يعرف التواضع العلمي بحال، فالدكتور يقول إنني أحب أن أكون في طليعة المنصفين لمؤلف هذا الكتاب، وهل من العدل أن أظلم نفسي وأنصف الناس؟ إن هذا الكتاب أول كتاب من نوعه في اللغة العربية، أو هو على الأقل أول كتاب صنف عن النثر الفني في القرن الرابع، فهو منارة السائرين في غيابات هذا العهد السحيق، وإن يستطيع أي مؤلف آخر، مهما اعتز بقوته وتعامي عن جهود من سبقوه أن ينسى أنني رفعت من طريقه ألوفاً من العقبات والأشواك، إلى آخر ما كتب الدكتور في صفحات طوال.

١٩٥ - تجربة شخصية:

ألف بعض الزملاء كتاباً علمياً يجمع الخطأ والصواب، وأهداني نسخة منه، وألح إلحاحاً مفترطاً في أن أكتب كلمة عن مؤلفه وإزاء زيارته المتتابة اضطررت إلى كتابة كلمة عرضت مزايا الكتاب وأشارت إلى ما لاحظته من وجوه المؤاخذه، وما كاد المؤلف يرى المقال حتى بادرك بكتابة مقال مسهب في الرد على ما انتقدته به موضحاً أنني أغفلت كثيراً من محاسن الكتاب وهي كذا، وكذا، وذهب المقال إلى الأستاذ رئيس التحرير فلم ينشره، وفوجئت بالزميل يرجوني أن أتوسط لدى رئيس التحرير في نشر النقد! واضطررت بدافع الحياء، وقام الرجل الكريم بالنشر وكتب

الساعات الحيوية عند الكائنات الحية

الكائنات الحية وهبها الخالق إمكانية ضبط الوقت بشكل يتفق مع الظواهر التي تتكرر بتوقيتات، كالليل والنهار، والمد والجزر، والشهر القمري والفصول الأربعة. وبشكل عام يمكن تقسيم العالمين النباتي والحيواني من حيث تواتر الليل والنهار إلى قسمين:

أولاً: كائنات نهائية:

تعتمد على الضوء في نشاطها، فالنباتات الخضراء تقوم بالتركيب الضوئي، وكثير من الحيوانات والإنسان

كذلك، تنشط نهاراً بحثاً عن غذائها فتلاعت حواسها مع النشاط النهاري مثل حاسة البصر، وانعكس ذلك على النشاط الفيزيولوجي في الجسم. ففي الإنسان مثلاً، لوحظت تغيرات في درجة الحرارة متواترة مع تعاقب الليل والنهار ولوحظت تغيرات

بقلم:

محمد فيض الله العامري

- سوريا -

الوقت عند الكائنات الحية:

من الملاحظات المباشرة لنشاطنا الفيزيولوجي خلال يوم واحد، نستنتج أن جسمنا يقوم بسلسلة من الفعاليات المنسقة بشكل متواتر، يدعو إلى التفكير بأن الجسم يمتلك ميقاتية (ساعة) أو مجموعة ميقاتيات.

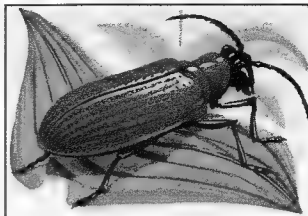
فالذي اعتاد الإستيقاظ في الساعة السادسة صباحاً،

يستيقظ في نفس الساعة كل يوم كأن منبهاً داخلياً يوقظه. ومن اعتاد تناول طعام الغداء في الساعة

الثانية بعد الظهر، يحس بالجوع في نفس الساعة، فكان المعدة والجهاز الهضمي عموماً على علم بالتوقيت الذي اختاره صاحبها لتناول الغداء. وكما احتاج الإنسان في حياته الإجتماعية إلى التوقيت، وضبط الوقت بالساعات والتقويم، فإن كافة



- تنقسم الحيوانات والنباتات إلى مجموعتين
(نهارية وليلية).



- حشرات نهارية النشاط.

يومية في نشاط القلب وضغط الدم، ونشاط الكلية والغدد، فدرجة حرارة الجسم تكون في أقل قيمها بين الساعة الرابعة والخامسة صباحاً، وديقات القلب وضغط الدم تكون منخفضة صباحاً، وكمية السكر في الدم تكون في حدها الأدنى في السادسة مساءً، وفي حدها الأعلى في التاسعة صباحاً، وإفرازات الغدد للهرمونات تقل وتزداد حسب النشاط العام للجسم ووظيفة الهرمون، وينسحب ما ذكرناه عن الإنسان على سائر

الأحياء الأخرى بشكل
أو آخر.

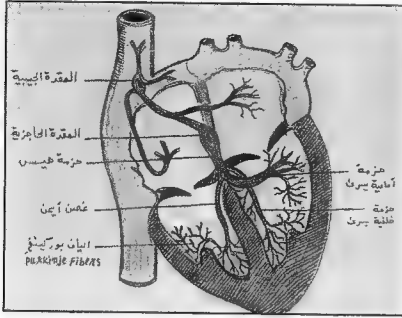
ثانياً: كائنات

ليلية:

تنشط ليلاً في الظلام، بغياب الضوء الباهر، وقد تكيفت حواسها مع الظروف الليلية، وتبعاً لذلك فإن نشاطها الفيزيولوجي



- نباتات زهرية - ألوان جميلة بفضل الضوء في النهار.



- مقطع تخطيطي للقلب يوضح مواقع العقدتين وحزمة هيس وقرعائتها والألياف بوركينغ.

متواقت مع تواتر الليل والنهار، ومن الكائنات الليلية، طائر البوم والقوارض والصراصير والبعض وقسم من آكلات اللحوم، والثعابين.

ولكن تقسيم الكائنات الحية إلى نهارية وليلية، لا يعطي الدليل المباشر على التوقيت الحيوي، فطائر البوم لا يستطيع الإبصار في الضوء الشديد ولذلك لا جدوى من نشاطه في النهار، لذلك ينشط في الليل، في الظلام، والإنسان في الظروف العادية لا

يستطيع النشاط ليلاً، لعدم قدرة حاسة البصر على تمييز الأشياء بغياب الضوء، لذلك ينشط في النهار، وهناك عوامل حضارية فرضت على الإنسان أن يكون نهائياً أو ليلاً. والسؤال الآن:

**** هل تمتلك الكائنات الحية ساعات لضبط الوقت؟**

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من تحديد الأسس التي يُعتمد عليها في ضبط الوقت، فالزمن مرتبط بالحركة، وفي الكون ظواهر متحركة، فكيف نحدد الوقت الذي يفيدنا في نشاطنا، فنعمل في ساعات النشاط الحيوي، ونستريح في ساعات الحد الأدنى من النشاط الفيزيولوجي؟ وضع الإنسان وحدات لقياس الزمن وضبط الوقت

بالاعتماد على حركة الأجرام السماوية، فالיום هو تكرر الليل والنهار (ليل ونهار) وتم تقسيمه إلى (٢٤) ساعة وفق أسس معينة. فمن شروق الشمس إلى شروق الشمس في اليوم التالي، يقدر الوقت بـ (٢٤) ساعة، والليل والنهار ينشأن من دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق. وهذا ما يعرف باليوم الشمسي، وهناك ما يُعرف باليوم النجمي واليوم القمري، فالأرض تتحرك حول الشمس وتتغير مواقعها بالنسبة للنجوم، ولما كانت حركتها باتجاه الشرق، فإن النجوم تبدو متحركة نحو الغرب، فإذا أشرقت الشمس مع نجم في وقت واحد، ففي اليوم التالي يخرج النجم قبل شروق الشمس بأربعة دقائق، فالיום النجمي يعادل (٢٣) ساعة و(٥٦) دقيقة تقريباً، وكذلك يتحرك

وانتهاءً بالإنسان لديها أعضاء أو آليات تضبط الوقت، كما تضبط الميقاتيات الوقت الاجتماعي في حياتنا وعلاقاتنا. فبعض الجراثيم تنشط في ساعات معينة من النهار، حتى إذا وُضعت في ظروف مخالفة لظروف الوقت المحدد. فكأنها تعرف الوقت.

وفي النباتات تلاحظ ظواهر ملقطة للنظر، كما لاحظ ذلك العالم الفلكي «دي ميزان» عام ١٧٢٩م. إذ تنكمش بتلات بعض الأزهار ليلاً وتبسط نهاراً، وعكس ذلك في بعض الأنواع، تبسط ليلاً وتنكمش نهاراً، وبعض الأوراق الخضراء تقوم بنفس السلوك، ويُعزى ذلك إلى تأثير الضوء والحرارة، ولكن ما لاحظته (دي ميزان) أن هذه النباتات إذا نقلت إلى ظروف واحدة عدة أيام، (ظلام مستمر أو إضاءة مستمرة)، فإن انكماشها وانبساطها يستمران بتواتر متواز مع تواتر الليل والنهار فهل لها ذاكرة زمنية؟ أم تمتلك ساعة حيوية منبهة تذكر النبات بوقت نشاطه واستراحته؟

لم يقطع العلم التساؤلات حول هذه الظواهر بتجارب يقينية وما زال البحث مستمراً وإذا انتقلنا إلى عالم الحيوان، وخاصة تلك التي تمتلك جهازاً عصبياً راقياً، فإننا سنقف عند حالات تؤكد وجود آليات وربما مراكز خاصة لضبط الوقت، مع مرونة لتعديل التوقيت حسب الظروف المستجدة، أي تمتلك الأحياء ساعات حيوية إلكترونية

القمر حول الأرض من الغرب إلى الشرق، أي يتأخر غروبه بمقدار (٤٨) دقيقة، فيكون اليوم القمري (٢٤) ساعة و(٤٨) دقيقة.

وبالنسبة للإنسان في علاقاته الاجتماعية والإقتصادية لا يعير اهتماماً لليوم النجمي واليوم القمري، لكن بعض الأحياء كما سنرى ضبط نشاطها كما يبدو بالاعتماد على اليوم النجمي واليوم القمري إلى جانب اليوم الشمسي.

ونعتمد في التقاويم على وحدة زمنية أكبر من اليوم، هي الشهر، وحدد الشهر من دوران القمر حول الأرض، وما يرافق دورانه من ظواهر حسب موقعه بالنسبة للشمس والأرض. وما يسببه في البحار من مد وجزر، اعتمدت الكائنات الحية على تلك الظواهر في ضبط توقيتها، وبشكل خاص الأحياء البحرية الشاطئية، حيث وقتت نشاطها مع المد والجزر. والوحدة الزمنية الأكبر من الشهر هي السنة بفصولها الأربعة، يعتمد عليها الإنسان في تقدير الأعمار والخطط الاقتصادية والعلاقات بين الدول (المعاهدات وغيرها). وفي الكائنات الحية أيضاً آليات متوافقة مع هذه الوحدة (السنة الشمسية) ونعود لسؤال:

**** هل تمتلك الكائنات الحية**

ساعات لضبط الوقت؟

يبدو أن كافة الأحياء بدءاً من الجراثيم

ولكنها ذكية، وسوف نتناول التوقيت اليومي والشهري والسنوي لدى الأحياء.

التوقيت اليومي:

ذكرنا أن بعض الظواهر في النباتات متوافقة بتواتر الليل والنهار، وفي عالم الحيوان أمثلة لا تحصى، فالحيوانات الليلية تنشط في الليل بدءاً من غروب الشمس كالفئران والصراصير والخفافيش والقنافذ وغيرها، وفي النهار تنشط الأحياء النهارية وما كان لها أن تقوم بهذا النشاط لو لم تحدث تبدلات في فيزيولوجية الجسم بشكل عام فالجملة العصبية والحواس تبقى نشطة في الفترة المخصصة ليلاً أو نهاراً، ولذلك تكون أنشطة أجهزة الجسم الأخرى في حالة استجابة مع نشاط الجملة العصبية.

ويمكن تعديل التوقيت اليومي عند الإنسان، فالذي اعتاد الاستيقاظ في السادسة صباحاً بنون منبه خارجي، يمكن أن يمدد التوقيت إلى الثامنة صباحاً إذا استمر في النوم للثامنة صباحاً عدة أيام وفي ظروف حياة جديدة تتعلق بالضوء والحرارة وعوامل أخرى. ولكن على أساس (٢٤) ساعة وليس أقل من ذلك. فإذا اعتاد أن ينام الإنسان (٨) ساعات من (٢٤) ساعة، لا يستطيع ضبط هذا التوقيت على أساس (٢٠) ساعة مثلاً. وهذا يرتبط باليوم الشمسي والتكيف معه عبر آلاف السنين، فلو كان اليوم الشمسي (٢٠) ساعة، لكان

أساس التوقيت من (٢٠) ساعة.

فإذا وضع الإنسان أو الحيوان في ظروف الليل أو النهار عدة أيام فهل يحافظ على دورة نشاطه اليومي على أساس (٢٤) ساعة؟

من تجارب عديدة على النباتات وبعض الحيوانات كالصراصير، تبين أن دورة نشاطها تقل أو تزداد حسب نوع الكائن الحي، وتتراوح بشكل عام بين (١٩) و(٢٩) ساعة.

التوقيت الشهري:

يعتمد الإنسان على التقاويم في تحديد الأشهر والأسابيع، وتم تحديد الأشهر بالملاحظة الواعية لحركة القمر حول الأرض، وهي ظاهرياً تستغرق (٢٩) يوماً شمسياً أو ثلاثين يوماً شمسياً. ويمقارنة عدد دورات القمر حول الأرض بدورة الشمس في فلك البروج في (٣٦٥) يوماً وربع اليوم، تبين أن (١٢) دورة للقمر تعادل تقريباً دورة واحدة للشمس في فلك البروج، ودورة الشمس في فلك البروج ظاهرياً هي السنة، فالسنة إذاً تقدر بـ (١٢) شهراً. وفيما بعد ظهر مفهوم الشهر القمري والشهر الشمسي، ولا مجال لتفصيل ذلك هنا.

وفي عالم الأحياء نشاطات متوافقة مع فترات زمنية تقدر بالشهر أو نصف الشهر كما سنرى.

إن المد والجزر في بعض البحار يحدثان

واحدة، حدث مدُ أعظمي ويحصل هذا في بداية الشهر القمري وفي منتصفه، والمد في بداية الشهر القمري أعظم من المد في وسطه، ويحدث مد في حده الأدنى في التربيع الأول والتربيع الأخير للقمر، يرافق المد الأعظمي جزر أعظمي، ويرافق المد الأدنى جزر أدنى، وقد وقّعت بعض الحيوانات نشاطاتها الخاصة وفق هذه الظاهرة أي المد الأعظمي.

- بعض الأسماك من نوع غرونيوز تتجمع على الشطان الرملية في كاليفورنيا في بداية الشهر القمري، بانتظار المد الأعظمي من أجل التكاثر، وفي الأيام الأخرى لا تسلك ذات السلوك.

- والسرطان اللاهي ينشط خلال الجزر الأدنى، ويختبئ في جحره خلال المد الأعظمي وإذا نقل إلى أحواض التجربة، يسلك نفس السلوك بشكل متوافق مع المد والجزر الأعظميين في البحر الذي أخذ منه، والكائن الحي يعمل وفق أكثر من توقيت،

فهو يعتمد على التوقيت اليومي في بحثه عن الغذاء وعلى التوقيت الشهري للتكاثر أو تحقيق مزيد من فرص البقاء على قيد الحياة، وبالنسبة للإنسان نلاحظ ظاهرة التوقيت الشهري عند المرأة، في الإباضة والحيض (النورة الشهرية) وهي تعادل وسطياً شهراً قمرياً، ترافق ذلك تغيرات في فيزيولوجية الجسم ونشاطه الهرموني بشكل

بشكل يومي، فعندما يصبح القمر فوق سمت البحر يحدث المد أي ارتفاع الماء، فيمتد إلى البر ويغطي مساحات معينة من رمال الشاطيء وصخوره وعندما يصبح القمر في أفق البحر يتراجع الماء أي يحدث الجزر، وكثير من الحيوانات وقّت نشاطها مع ظاهرتي المد والجزر نذكر منها:

- الديدان المتزحلقة من جنس كوفنوليتا تعيش على رمال الشاطيء أثناء الجزر، فإذا جاء المد تطمر نفسها في الرمال، وإذا نقلت إلى حوض اختبار زجاجي فيه رمل، ووضع الحوض بعيداً عن البحر، تخرج هذه الديدان في فترات الجزر وتطمر نفسها في الرمل في فترة المد كأنها تعيش على رمال الشاطيء وتستمر هذه الظاهرة عدة أيام حتى يحدث التكيف مع الوضع الجديد.

- ونوع من المحار يفتح قوقعته أثناء المد ويغلقها أثناء الجزر، نقل إلى حوض التجارب، فكان يبدي استجابة مماثلة مع تواتر المد والجزر.

والغريب أن الكائنات الحية وقّت استجاباتها مع تواتر المد والجزر رغم تأخر المد والجزر يومياً بمقدار (٤٨) دقيقة، أي أن الكائن الحي يؤخر نشاطه يومياً بمقدار تأخر المد والجزر.

وظاهرة المد والجزر مركبة، لأن الشمس لها دور في المد والجزر أيضاً، فإذا كانت الأرض والقمر والشمس على استقامة

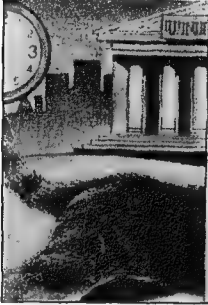
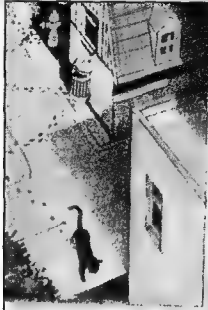
دوري أيضاً، على أساس
التوقيت الشهري.

التوقيت السنوي:

إن الأمثلة عن هذا التوقيت
كثيرة في عالمي النبات والحيوان،
فبعض النباتات الموسمية تزهر
في فترة محددة من السنة، وبثمر
في مدة معينة، وبالنسبة للنباتات
المدجنة يعرف الإنسان بشكل
دقيق، متى يزرعها ومتى يحصد
ثمارها بالاستناد إلى توقيتها
الحيوي.

وأشهر الأمثلة على التوقيت
الحيوي السنوي في عالم
الحيوان هو النشاط التناسلي
للقطط في شهر شباط في
المناطق المعتدلة، وتضع الإناث
مواليدها في آذار، ولكل ظاهرة
استثناءات، كما أن ظاهرة
الهجرة السنوية عند بعض
الطيور والأسماك والفراشات
وغيرها، التي تحدث في شهر
معين من السنة، دليل أكيد على

وجود توقيت حيوي سنوي عند هذه الأحياء.
وإذا كان الإنسان يعتمد السنة في تقدير
الأعمار ووضع الخطط الاقتصادية، والسنة
تعاادل (١٢) شهراً، والشهر (٣٠) يوماً، أي
أن الإنسان يعتمد في تقدير الوقت على
وحدات التوقيت، السنة والشهر واليوم

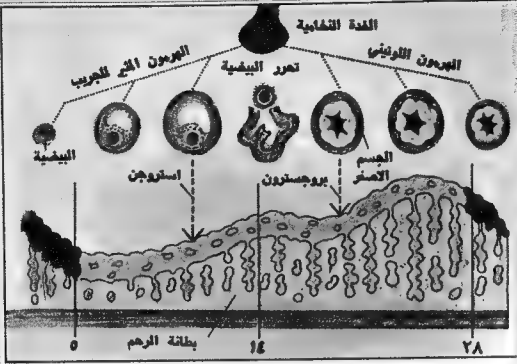


- أربع صور تمثيلية للقطعة الذكية التي لاحظها الدكتور غوستاف
إيكشتاين، وكانت تتصرف كأنها تترك الوقت بالساعة والدقيقة في
يوم الاثنين من كل اسبوع.

وأجزاء اليوم، كذلك تفعل الأحياء بشكل أو
آخر بميقاتيات حيوية وتقاويم حيوية فأين
تقع؟ وما هي؟

توقيت حيوي غير دوري:

فعاليات الحياة منضبطة بشكل دقيق،
وهي تعمل وفق توقيت داخلي مبرمج



بإشراف وتوجيه المورثات، أي لا علاقة مباشرة بينها وبين التواترات الطبيعية، من ذلك تطور بيضة الدجاج مثلاً، فهي تتطور إلى كـ تـ كـ (صوص) في فترة ثلاثة أسابيع إذا توفرت لها الحرارة المناسبة، والتقليب المستمر بمعدل مرتين في اليوم.

- رسم يوضح تبدل بطانة الرحم بتواقت مع تطور جريبات دوغراف وتحرر البيضة وتشكل الجسم الأصفر وحدوث الحيض بشكل دوري - تتكرر هذه الظاهرة عند المرأة شهرياً.

في الحالة الطبيعية لتكاثر الدجاج، تطراً على الدجاجة تبدلات فيزيولوجية، فتتوقف عن الحركة، وترتفع درجة حرارتها، وترقد على البيض، فتعطي من جسمها حرارة ورطوبة مناسبة للبيض، وتقلب البيوض بمنقارها، تتحسس البيضة بمنقارها فتعرف الجانب الأكثر حرارة من الآخر، فتقلب البيضة لتتوزع الحرارة على كافة أجزاء البيضة، ولتتعرض محتويات البيضة لظروف متوازنة من الحرارة والرطوبة وقوة الجاذبية الأرضية.

بشكل عام في المناطق المعتدلة، لهذا فدورة تكاثر الدجاج متوافقة مع الفصول وهذا توقيت حيوي تحدد خلال ملايين السنين.

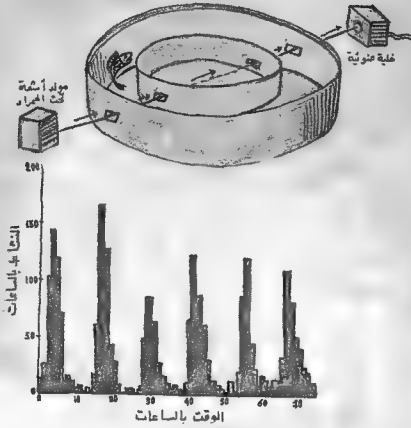
وقد استطاع الإنسان التحكم في توقيت التكاثر الحيوي في الدجاج بالتفريخ الصناعي، حيث تحضن البيوض الملقحة في حاضنات صناعية في مكان تكون درجة الحرارة فيه بحدود (٤٢) درجة مئوية، ورطوبة مناسبة مع تقليب مستمر، وبعد (٢١) يوماً تفقس البيوض، فتخرج الصيصان فلم يعد التفريخ الصناعي دورياً أي يمكن توليد صيصان في كل الفصول.

لكن تطورات الجنين داخل البيضة خاضعة لتوقيت دقيق مدهش يفضل توجيه المورثات التي قدرها الحكم العليم. فلا

يحدث التبدل الفيزيولوجي في جسم الدجاجة في أواخر الشتاء وبداية الربيع

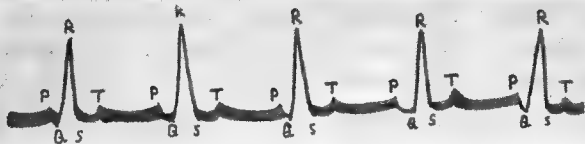
يكتمل الجنين في اسبوعين ولا يتأخر إلى أربعة أسابيع في الظروف الطبيعية، إلا إذا أخضعه الانسان لظروف أخرى كالتبريد ونحو ذلك. وفي الحياة ظواهر مترابطة، فجملة أسباب تؤدي إلى نتيجة، وهذه النتيجة تصبح سبباً لظاهرة جديدة، وهكذا تتعاقب الأسباب والنتائج، حتى يتحقق الهدف المنشود من وجود الحياة لهذا الكائن أو ذاك.

ونشير إلى بعض أسرار الحياة، فالبيضة لا تحتوي على نسيج عظمي أو نسيج عضلي أو نسيج عصبي... الخ، فكيف تتشكل؟ تنقسم البيضة (الخلية التناسلية) بعد التلقيح انقسامات متتالية في فترات زمنية دقيقة فتنشأ آلاف الخلايا وهذه الخلايا تنتج بروتينات وأنزيمات، وعندما تصل كمية



- سمكة الشاني Lipophrys Pholis. - وحوض الاختبار لسمكة الشاني (تجربة جيسون).
- مخطط بياني يوضح إيقاع النشاط الداخلي لسمكة الشاني حسب تجربة جيسون في المختبر والقيم المنتظمة تتوافق مع أوقات المد المتوقعة.

البروتينات والانزيمات إلى تراكيز معينة ويوجد عوامل أخرى تبدأ المورثات بتشكيل هذا النسيج أو ذاك، ولا توجد قفزات في الحياة، فالحوادث مترابطة متسلسلة متواقة. والوضع معقد جداً، فالتوقيت الحيوي المرتبط بتطور الخلايا والانسجة والأجهزة في جسم الكائن الحي لا تخضع لتواترات الطبيعة دائماً، أي لا تكون دورية تماماً.



- مخطط القلب الكهربائي ونلاحظ البؤبة في نبضة القلب، وقراءة تحتاج إلى طبيب مختص.

القلب ساعة تنبض مدى الحياة:
(الشكل (١))

والشكل المرفق يوضح مخطط القلب الكهربائي النموذجي، فالحرف (P) يشير إلى الانقباض الأذني والأحرف Q R S تشير إلى الانقباض البطيني، والحرف (T) يشير إلى الانقباض، كل ذلك يحدث في (٠.٨) من الثانية عند الإنسان البالغ السليم.

الدورة الشهرية عند المرأة: الشكل
(٢).

جملة (العادة الشهرية) مستخدمة في اللهجات المحلية، وهي تعبر عن ظاهرة الطمث عند المرأة، فالمرأة في سن البلوغ تطرح كمية من الدم (الحيض) في الشهر لمدة عدة أيام وتكرر بشكل دوري إذا كان الجسم سليماً، وتستطيع المرأة أن تحدد بشكل دقيق متى سيبدأ الحيض عندها. والظاهرة معروفة تماماً بفضل تطور علوم الطب، فهي تخضع لضبط هرموني، ابتداء من هرمونات الغدة النخامية وانتهاء

ينبض القلب بشكل متواتر مدى الحياة، والقلب يعمل تلقائياً حتى بعد نزعها من الجسم بشروط خاصة، فالقلب حركة ذاتية تبدأ بالانقباض الأذيني بتحريض من العقد الجيبية ويستغرق الانقباض الأذيني (٠.١) من الثانية، ثم يبدأ الانقباض البطيني بتحريض من العقدة الحاجزية وألياف بوركينغ المتفرعة من حزمة هيس (Hiss) والتي تنشأ من العقدة الحاجزية، ويستغرق الانقباض البطيني (٠.٣) من الثانية، بعد ذلك ينبسط القلب في فترة (٠.٤) من الثانية، فالقلب يعمل نصف الوقت ويستريح نصف الوقت، ترافق هذه الحركة تغيرات كهربائية، وقد استطاع الإنسان تسجيل هذه التغيرات على شكل مخطط بياني، ومنه يستدل على الانقباض الأذيني والانقباض البطيني، والانبساط، وليس هذا فحسب إذ يمكن تقدير مدة كل حركة وما يصيبها من اضطراب أثناء الأمراض. فمخطط القلب

مسرعاً في الساعة السابعة والنصف إلى مكان ما. أثار هذا السلوك انتباه العالم غوستاف، فقرر أن يعرف الهدف من هذا السلوك، فتتبع القط في أجد الأيام، عبر القط حرم الجامعة إلى أن وصل إلى القسم النسائي في المشفى الجامعي، فقفز فوق حافة نافذة في الطابق الأرضي في الساعة السابعة و(٤٥) دقيقة، وبقي محديقاً في الغرفة مدة ساعتين ثم عاد مسروراً نحو المنزل.

وعرف غوستاف فيما بعد أن هذا القط بعد تناول العشاء كان يستمتع بالنظر الى لعبة (بنفو) وهي لعبة يا نصيب تعتمد على قسائم وأرقام مدونة على لوحة مضيئة وصالة مليئة بالمرهقين. والسؤال الآن:

**** كيف عرف القط يوم الإثنين؟ وكيف حدد الساعة السابعة والنصف موعد العشاء؟ والثامنة إلا الربع موعد البدء باليانصيب؟ وأي ساعة حيوية يمتلكها هذا القط؟ وكيف استطاع أن يربط بين كل هذه العناصر (يوم الاثنين والعشاء واليانصيب) في أوقات محددة؟**

ليس هناك إجابة دقيقة على هذه التساؤلات، ولا يمكن تحليل هذا السلوك بالفعل المنعكس الشرطي فقط، إنه سلوك عجيب وغريب بمفاهيمنا البشرية!

طائر جميل مهاجر «الهدد»:
الهدد من الطيور الجميلة، ويعرف في

بهرمونات الجسم الأصفر الذي يتشكل بعد انطلاق البيضة من المبيض إلى قناة فالوب، في طريقها إلى الرحم. تحدث تبدلات في بطانة الرحم استعداداً للبيضة، فإذا لقحت، تنقسم عدة إنقسامات وتنزل إلى الرحم لتعيش في مكان غني بالأوعية الدموية، فإذا لم تلحق، لا تستقبلها بطانة الرحم، فتتمزق الأوعية الدموية، ويخرج الدم (الحيض)، ولغة التخاطب بين المبيض والرحم والغدة النخامية هي الهرمونات، وما يهمنا هنا أن العمل مؤقت بشكل دقيق. وإلا تحدث أخطاء لا تحمد عقباها، وعلى سبيل المثال: إذا لم تتشكل بطانة الرحم قبل نزول البيضة الملحقة فكيف ستتغذى البيضة وتعيش؟

إن التوقيت هنا داخلي على مستوى الجسم بكامله، ولا علاقة له بالقمر أو الشمس حالياً وربما كان في الأزمان البعيدة ظاهرة متوافقة مع القمر وهذا غير مؤكد.

سلوك عجيب لقطة نكية:

الشكل (٣)

يروى الدكتور غوستاف ايكشتاين أستاذ علم النفس في جامعة سينسيناتي في الولايات المتحدة الأمريكية ما لاحظته على قط نكي: كان القط يعيش مشرداً في حرم الجامعة ينتقل من مكان إلى مكان، في أيام الأسبوع، ولكن في يوم الاثنين تحديداً، كان يأتي إلى باب المطبخ فيموء طالباً الأكل، فإذا أعطي ما يطلب يتناوله بسرعة، ثم يذهب

بشكل إطار، تستطيع السمكة أن تسبح فيه بشكل دائري وكانت السمكة تقطع الأشعة تحت الحمراء التي سلطها على منافذ زجاجية في جدران الوعاء وفي كل قطع للأشعة كانت الخلية الضوئية تسجل نشاط السمكة، فلاحظ جيبسون أن السمكة تنشط بشكل مكثف أثناء حصول المد في الطبيعة وهي داخل الحوض.

وتبدأ أثناء الجزر، وقد رسم مخططاً بيانياً لنشاط السمكة ولاحظ أن قمم المخطط تتوافق مع أوقات المد، ويتكرر النشاط مرتين في اليوم خلال (٢٤) ساعة.

ويعلق جيبسون على هذه النتيجة، وتجارب على أسماك أخرى «تستمر بعض الأسماك من فصائل مختلفة في القيام بنفس السلوك المرتبط بفترتي المد والجزر، إذ تجعل فترة راحتها في الوقت المتوقع للجزر، ونشاطها في الوقت المتوقع للمد».

ولا يعرف بالضبط حتى الآن كيف يتم ترسيخ هذا النظام الداخلي، ورغم الأبحاث العملية التي بينت أن الضغط المائي المصاحب لارتفاع الماء وانخفاضه أثناء المد والجزر هو المتسبب جزئياً على الأقل، وليس لكثير من الأسماك المدجزرية مثانة هوائية، ويعتبر هذا العضو مسؤولاً عن معرفة مستوى الضغط في الأسماك العظيمة. لذلك تبقى كيفية اكتشاف الأسماك المدجزرية للتغيرات البيئية في الضغط أمراً محيراً،

بعض المناطق باسم طائر سليمان نسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام، عندما تفقد الطير، فوجد الهدد غائباً، وعندما عاد أخبره الهدد عما زاه في اليمن، ملكة تحكمهم ولها عرش عظيم، إنها الملكة بلقيس، وكان الملك سليمان (عليه السلام) في بلاد الشام، إن القصة تؤكد هجرة هذا الطائر بين الشمال والجنوب، بحثاً عن الأماكن الدافئة، في الربيع يهاجر هذا الطائر باتجاه الشمال، وبحلول الشتاء يهاجر نحو الجنوب في فترات محددة، فكيف يحدد وقت الهجرة؟ الاحتمالات كثيرة، منها: الاعتماد على مواقع النجوم، أو إدراك التبدلات في الطقس أو استجابة لتغيرات فيزيولوجية في جسمه، كل الاحتمالات واردة، ولكن ما خفي علينا من أسرار الساعة الحية أكبر مما نعرف.

الساعة الحيوية في سمكة الشاني:

الشكل (٤)

سمكة الشاني Lipophrys Pholis تعيش على سواحل فرنسا في مناطق المد والجزر، أثناء المد تنشط باحثة عن غذائها، وأثناء الجزر تندس تحت الصخور أو بين الأعشاب حتى يحين موعد المد التالي.

وقد أجرى العالم ر.ن. جيبسون المسؤول في الجمعية الاسكتلندية في Oban والمهتم بدراسة الأسماك (المدجزرية) تجربة على سمكة الشاني، كما يلي:

وضع السمكة في حوض ماء خالص

وفي الطبيعة تتغير استجابة الاسماك لحالاتي المد والجزر تبعاً لتعاقب الضوء والظلام أو ربما تبعاً لنظام زمني متأصل. (أربع وعشرون ساعة تقريباً).

أين تقع الساعة الحيوية في جسم الكائن الحي؟ الشكل (٥)

من الأمثلة الكثيرة التي تظهرها الأحياء كنشاط متواتر مع تواترات في الطبيعة. يتضح أن آلية ضبط الوقت موزعة في كل الأنسجة، وبالتحديد في كل الخلايا، فوحيدات الخلية كالجراثيم مثلاً، ليس لها جملة عصبية ولا أعضاء متخصصة، ورغم ذلك تمتلك ساعة بيولوجية بشكل ما.

وفي النباتات الموسمية، تلاحظ الأنشطة المتواترة مع تواترات الطبيعة وهي لا تمتلك جملة عصبية، فهل الساعة الحيوية في الجذور؟ أم في الساق؟ أم في الأوراق؟ إن نشاط الكائن الحي تساهم فيه كل الانسجة والأعضاء، وهذا يدفعنا للبحث عن أعضاء وأنسجة أو مراكز متخصصة لضبط الوقت عند الكائنات الراقية، فإذا تخربت تلك المراكز فقد الكائن الحي القدرة على ضبط الوقت. وفي الإنسان يخضع نشاط الجسم لإشراف الجملة العصبية وأخلط البدن (الضبط الهرموني) لذلك لا بد من التفكير بأن مراكز ضبط الوقت موجودة في الجملة العصبية وبالتحديد في الدماغ، في مكان ما، وربما في المهاد البصري (الهيبتوتالاموس).

مع عدم تخلي كل خلية عن توقيتها الداخلي للقيام بنشاطها وانقسامها في الوقت المناسب. ومن الناحية التشريحية نجد أن الغدة النخامية، وتدعى ملكة الغدد - تضبط نشاط الغدد الأخرى - هذه الغدة لها ارتباط مباشر بالمراكز العصبية، ولها فص عصبي وتقع في مكان استراتيجي في الدماغ، أي يتكامل الإشراف على نشاط الجسم في الإنسان بفضل التنسيق بين الجملة العصبية والنظام الهرموني (عمل الغدد).

وأجريت تجارب على حيوانات كثيرة لمعرفة مراكز ضبط الوقت عندها، ومن تلك التجارب تجربة أجريت على الصراصير وفيما يلي نتائجها:

كانت الصراصير تخرج من مخابئها في الساعة السادسة مساءً في أحد المخازن وتبقى ناشطة حتى الساعة السادسة صباحاً، نقلت إلى أماكن أخرى مع تعريضها إلى نور مستمر أي (لا يوجد ظلام) فغيرت مواعيد نشاطها بشكل مخالف للسابق. وقد اهتمدى العلماء إلى مراكز ضبط الوقت عند هذه الصراصير، فمن تجارب تشريحية كثيرة ودقيقة، تبين وجود أربعة خلايا عصبية في عقدة قرب الدماغ، هي المسؤولة عن ضبط الوقت، إذ أخذت هذه الخلايا من الصراصير النشطة ليلاً من المخزن الأول وزرعت في الصراصير التي اعتادت النشاط. بوجود النور المستمر، وفي العمليات الناجحة كانت الصراصير تنشط من الساعة السادسة مساءً إلى السادسة

صباحاً كأنها موجودة في المخزن الأول رغم وجود النور.

ما هي الساعة الحيوية (البيولوجية) .

قبل أن نبين ما الساعة الحيوية تضرب مثلاً للتوضيح. إن الساعة البيولوجية (الميقائية) التي نضعها على معصمنا آلية مزودة بمسننات، تتحرك بقوة مرونة النابض، ويتم ضبط الوقت فيها من التناسب العددي بين أعداد المسننات المختلفة، وهي محسوبة بدقة وفق قواعد حسابية، ولا يمكن معرفة الوقت بها إذا لم تزود بمؤشرات (عقارب) تشير إلى أرقام متفق عليها، مدونة على لوحة خاصة، والسؤال الآن:

- هل يشكل النابض ساعة؟

- هل تشكل المسننات ساعة؟

- هل تشكل المؤشرات (العقارب) ساعة؟

إن مجموع تلك الأجزاء في إطار معين وبتركيب معين تشكل ساعة (ميقائية) فإذا حدث خلل في أي جزء، يحدث الخلل في ضبط الوقت، فالنابض المرن إذا أصبح رخواً بتأثير الحرارة أو بصدمة ميكانيكية، يفقد جزءاً من مرونته وتتباطأ حركة المسننات وتتباطأ حركة عقارب الساعة، وينعكس ذلك على آلية ضبط التوقيت، فتؤخر الساعة في هذه الحالة، كانت تلك المقدمة ضرورية لإدراك المقصود بالساعة الحيوية (البيولوجية) فكل خلية في الجسم لها توقيتها وكل جهاز حيوي في الجسم له

توقيته، ومجمل أجهزة الجسم تعمل بتوافق وانسجام تام عندما يكون الجسم سليماً من العاهات والأمراض.

فكل خلية حية بحاجة إلى غذاء وأكسجين، وعناصر كيميائية، ترد إليها عن طريق الدم، وتعمل بتوجيه الجملة العصبية والهرمونات على صعيد الجسم عموماً وتعمل بتوجيهات المورثات في داخل النواة على الصعيد الداخلي، يعمل بالثواني والدقائق وفترات أقصر وأطول، ولكن التوقيت العام للجسم يعتمد على آليات مشتركة لأجهزة عديدة وتتفاوت أهمية وأنوار الأجهزة في ضبط الوقت.

إن الساعات الصناعية تعمل بقوة مرونة النابض أو بالقدرة الكهربائية في الساعات الحديثة، ولا تعمل الساعة في ضبط الوقت إلا إذا توفر لها مصدر للطاقة أو القوة، فإين نجد القوة أو الطاقة الضابطة للساعة الحيوية؟

الساعة الحيوية هي نظام الحياة، فالخلية التي ستعطي الكائن الحي (البيضة الملقحة) تنشط بشكل متوافق بدقة، ويتوجيه المورثات لتعطي كل نسج في الوقت المناسب فهل هو صدفة أن يكون تخليق الإنسان في بطن أمه تسعة أشهر بشكل عام.

إن نقطة البدء في عمل الساعة الحيوية كانت في مورثات الخلية الأولى التي أعطت الكائن الحي، ويستمر التوقيت مادامت الحياة مستمرة، لهذا الكائن أو ذاك. وكما

النسيج العضلي للقلب. فالعقدة الأولى (العقدة الجيبية) وتدعى عقدة (كايت فلاك) - تقع على الأذنية اليمنى بجانب الجيب الوريدي النازل. والعقدة الثانية (العقدة الحاجزية) وتدعى عقدة (تاوارا)، تقع بين الأذنتين والبطينين في الحاجز، تتصل العقدة الأولى بالثانية، بألياف شبه عصبية، وتتفرع من العقدة الثانية حزمة هيس، التي تتفرع إلى الألياف تستبطن جدار البطينين من الداخل وتدعى ألياف (يوركينغ).

وإذا عزل القلب عن الجسم، ووضع في محلول مغذ «محلول رينجر» يبقى حياً ينبض ببطء بفضل العقدتين، وعندما يكون في الجسم تكون نبضاته سريعة لأن الإيعازات تأتيه من البصلة السييسائية عن طريق أعصاب محرّكة، لهذا إذا تعرضت البصلة السييسائية لضربة قوية يتوقف القلب، ويموت الإنسان، وإذا زادت نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الدم، كما يحصل في حالات الاختناق أو حبس النفس، تتأثر خلايا البصلة السييسائية، فتتوزع بطريقة ما لزيادة وتيرة عمل القلب لتنشيط دوران الدم، كي يُطرح غاز ثاني أكسيد الكربون عن طريق الرئتين بسرعة، أي تقل فترات الانقباض والانقبساط في النبضة الواحدة، وتصل نبضات القلب إلى أكثر من (١٠٠) نبضة في الدقيقة. فالقلب عدلٌ توقّيت عمله بإيعاز خارجي من (البصلة السييسائية) وهذا يفيد أن الساعة الحيوية مركبة مرتبطة بالحياة

في الساعات الصناعية، هناك أجزاء أساسية وأجزاء مكملة، كذلك الساعة الحيوية فمراكزها في الجملة العصبية، في الكائنات الحية الراقية تمثل أجزاها الرئيسية.

ونقف بشكل مفصل عند حركة القلب في الانسان التي أشرنا إليها سابقاً تحت فقرة القلب ساعة تنبض مدى الحياة.

إن الحركة القلبية تتكون من الانقباض الأذيني والانقباض البطيني، تعقبهما فترة استراحة (انقبساط) ومدد هذه الحركات في الجسم السليم، في الانسان الكهل (٥٠ - ٦٠) سنة هي:

- ١ - الانقباض الأذيني يوم (٠١) ثانية.
- ٢ - الانقباض البطيني يوم (٠٣) ثانية.
- ٣ - الاستراحة (الانقبساط) تدوم (٠٤) ثانية.

فتكون مدة الحركة القلبية الواحدة (النبضة) هي: (٠٨) ثانية، ولما كانت الدقيقة (٦٠) ثانية، فيكون عدد نبضات القلب في الدقيقة [٦٠ - على - ٠.٨ = ٧٥ نبضة]، وقد تزداد أو تنقص نبضات القلب في الدقيقة، حسب الحالة الصحية والعمل والجهد المبذول، والقلب يعمل نصف الوقت ويستريح نصف الوقت مدى الحياة، وإذا حدث خلل في توقّيت عمل القلب اضطرب نظام الدورة الدموية وحدث خلل في الجسم، قد يؤدي إلى الوفاة.

فكيف يتم ضبط الوقت في عمل القلب؟ يتم ذلك بفضل عقدتين وألياف شبه عصبية في جدار القلب، وكذلك طبيعة

ولكن لها مراكز أساسية في الجملة العصبية وبعض أنسجة الجسم، وتعمل بمحرضات خارجية وداخلية كما سيتضح لاحقاً.

كيف تعمل الساعة الحيوية؟

يمكن الدخول في الإجابة على هذا السؤال، بسؤال آخر وهو: لماذا وجدت الساعة الحيوية (البيولوجية)؟

إن الكائنات الحية تعيش في بيئات مختلفة وهي متكيفة مع عناصر البيئة الثابتة من جهة ومع العوامل المتغيرة بشكل دوري من جهة ثانية، والتغيرات الدورية لها صفة الديمومة، كالليل والنهار والمد والجزر وتعاقب الفصول، وهي عوامل قديمة خضعت لها الأحياء من ملايين السنين، لذلك احتاجت عضوية الأحياء لحاسة الوقت من أجل ضبط نشاطها وفق التغيرات الدورية، وقدر الخالق سبحانه فيها الآليات اللازمة بحكمته، ولعلنا ندرك الآن أهمية العوامل الخارجية في توقيت الساعة البيولوجية، ودفعها إلى العمل، وهي متغيرة متبدلة حسب الظروف التي تحيط بالكائن الحي.

وعلى المستوى الخلوي، تقوم الحياة على عمليتين متناقضتين في آن واحد، عمل بنائي يتمثل في تصنيع بروتينات جديدة ومواد أخرى، وعمل هدمي يتمثل في اتلاف الغذاء المستهلك لتأمين طاقة، ومن التوازن (الديناميكي) بين العمليتين والذي نسميه (الإستقلاب) تستمر الحياة - لا يتساوى الهدم والبناء في النتائج، وفي الكم - قد

يكون الإستقلاب لصالح البناء أكثر من الهدم أو العكس. ولا مجال لتفصيل أكثر، ولكن لابد من التنويه أن الاستقلاب (الهدم والبناء) يخضع لضبط دقيق من خلال جملة عوامل منها الحرارة والتراكم الكمي للنواتج أو ما يعرف بقانون فعل الكتلة، وعمل الإنزيمات... الخ.

فإذا أخذنا نوعاً من الجراثيم الهوائية التي تعيش في المياه الأسنة كمثال، إن نشاطها الأعظمي يحدث في درجات حرارة تقع بين (٣٥ - ٤٥) درجة مئوية، وهذه الدرجة تتأمن في الطبيعة نهاراً في الفترة الواقعة بين الساعة الثانية عشرة والرابعة مساءً، وبعدها تبدأ درجة الحرارة للماء الأسن بالانخفاض فيقل نشاطها، وبتكرار وتعاقب درجات الحرارة على الجراثيم تتكون نواتج بشكل غير متوازن في فترات النهار داخل الخلية، فإذا تشكلت كمية من مادة (أ) في فترة النشاط المثلّي من الساعة الثانية عشرة إلى الرابعة مساءً فإن انتاجها يتوقف بعد ذلك، وتبدأ عمليات الهدم، ومتى وصلت النسبة إلى حدها الأول تشعّر الخلية بالحاجة إلى بناء جديد، هذا الشعور يتكون بمرور الزمن ولذلك إذا وضعنا هذه الجراثيم في درجة حرارة (٣٠) درجة مئوية خلال (٤٨) ساعة، نجد أن نشاطها يزداد في الفترة الواقعة بين الساعة (١٢) ظهراً والرابعة مساءً. وبعدها يحدث تبديل بطيء للتكيف مع الظرف الحراري الجديد، والآلية

أعقد مما وصفناه بكثير.

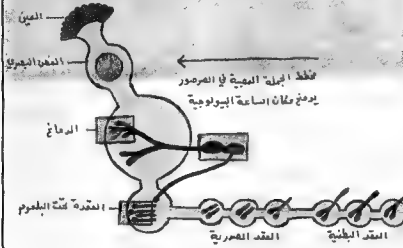
وما يحدث في الجراثيم يحدث في خلايا الأحياء الراقية. وفي الإنسان، فالساعة الحيوية تعمل من خلال الاستقلاب، ويتحريض من عوامل خارجية، ويحتفظ من الاستقلاب بدوريته لفترة معينة، فيظهر كأن الكائن الحي يمتلك ساعة منبهة، توقظ نشاطه مع التواترات في الطبيعة، ومن الأمثلة العجيبة في هذا المجال نذكر ما يحدث للسرطان العازف Fiddlercrab في الليل تفرز الخلايا الصبغية لهذا السرطان مادة بيضاء عاجية، وفي النهار تفرز مادة رمادية قاتمة، واضح أن العامل الخارجي المنبه هو الضوء، وأثناء المد والجزر تزداد قتامة المادة الرمادية إذا حدث المد في النهار وتزداد المادة

البيضاء إذا حدث المد أثناء الليل وهنا يلعب ضغط الماء دوراً خارجياً إضافياً لدور الضوء، فإذا نقل هذا السرطان إلى حوض ماء ثابت، ونقل بعيداً عن موطنه، ووضع في مكان دائم الإضاءة أو دائم الظلمة عدة أيام، يستمر تغير لون السرطان بتواتر مع تعاقب الليل والنهار ومع المد والجزر كأنه على شاطئ البحر الذي أخذ منه، وبمرور الزمن يفقد هذه الخاصية.

إن السرطان العازف يستجيب لتواترين



يعتقد أن آلية ضبط الوقت
للاإنسان تكمن في دماغه وبالتنسيق المشترك
بين الجملة العصبية والساعة البيولوجية



- يعتقد أن آلية ضبط الوقت في الإنسان تكمن في دماغه،
بالتنسيق المشترك بين الجملة العصبية والغدد الصماء.
- مخطط الجملة العصبية في الصرصور يوضح مكان الساعة
البيولوجية.

نوريين معاً، الليل والنهار والمد والجزر كأن في جسمه ساعتان إحداهما تنبه بتعاقب الليل والنهار والأخرى لتعاقب المد والجزر. كيف يحدث ذلك؟ الجواب في أعماق الخلايا العصبية التي تعمل بنظام دقيق. وأي ظاهرة في الحياة مركبة الأسباب، ولكن تميل إلى ردها إلى سبب واحد قد يكون أساسياً أو واضحاً، فالحرارة والضغط الجوي والرطوبة وحركة الرياح عوامل مترابطة بالإضافة إلى الإشعاع الشمسي والإشعاع الكوني والمجال المغناطيسي

الأرضي. فهذه العوامل تؤثر في نشاط الخلايا الحية وبالتالي توقيتها.

ساعات حيوية محيرة:

كيف تحدد الطيور موعد هجرتها وهي لم تقم بها سابقاً؟ وكيف تحدد أسماك الحنكليس موعد هجرتها من نهر النيل إلى بقعة الإنسال في المحيط الأطلسي وهي لم تر أبويها في رحلتها السابقة؟

إننا أمام لغزين عظيمين هما:

أولاً: تحديد موعد البدء بالهجرة في شهر معين من السنة.

ثانياً: البوصلة الحية التي ترشد هذه الكائنات في هجرتها عبر آلاف الكيلومترات ليلاً ونهاراً، وفي هذا البحث لن نتطرق إلى أسرار البوصلة الحية أو ما يعرف بحس التوجه عند الأحياء، وإذا شاء الله ستكون لنا وقفة عند أسرار البوصلة الحية في بحث خاص.

ساعة الإنسان الحيوية:

نشاط الإنسان الفيزيولوجي متوافق مع تواترات الطبيعة وبشكل خاص الليل والنهار كسائر الأحياء، ولكن في الإنسان حاسة لتقدير الوقت بشكل غامض، وقد أجريت تجارب على الإنسان نفسه لتقدير الوقت في غياب المنبهات الخارجية وبعيداً عن تواترات الليل والنهار (النور والظلمة).

ففي عام ١٩٦٢م دخل العالم الفرنسي (ميشيل سيفر) في نفق تحت الأرض دون أن يتأثر بتعاقب الليل والنهار، واصطحب معه عدته من الغذاء والماء واللوازم الأخرى وقرر أن يمكث شهرين معتمداً في تقدير الوقت على

حواسه، من جوع وعطش ونشاط فيزيولوجي، نوم ويقظة، فكان يسجل مرور كل يوم حسب اعتقاده، وبعد (٤٠) يوماً أخبره زملاؤه كم لبثت في النفق؟ فقال: (٢٥) يوماً، وما زال طعامي يكفيني لأكثر من شهر. وفي عام ١٩٦٥م دخل العالم الفرنسي (انطوان سوني) والعائلة (جوزيه لوزير) في أحد الكهوف، وكان كل منهما يسجل عدد الأيام حسب نشاط الجسم الفيزيولوجي ومكثا في الكهف (١٢٢) يوماً، وجرى اتصال هاتفي بين انطوان سوني وأحد العلماء، فأخبره أن اليوم هو (٢/ نيسان/ ١٩٦٥م). وقد دهش (سوني) إذ كان حسب تقديراته أن يوم المكاملة هو (٦) من شباط ١٩٦٥م). وفي تجربة أخرى عام ١٩٦٧ دخل ثمانية علماء في كهف في جبال بوذي لقضاء شهر كامل دون الاعتماد على التوقيت الخارجي، وبعد انقضاء شهر حسب تقديرهم، خرجوا بعد أربعة أيام من انقضاء الشهر، أي كان تقديرهم للوقت اليومي يعادل (٢٧) ساعة. نلاحظ دور التواجد الاجتماعي في ضبط الوقت إلى حد ما، فالاستقرار النفسي له دور في سلامة حس الوقت عند الإنسان.

وتبرز أهمية الاعتماد على الساعة البيولوجية في رحلات الفضاء البعيدة، حيث لا يصلح النظام الأرضي للتوقيت في سفن الفضاء، كذلك المكوث في أعماق البحار في قمرات أو غرف خاصة لمدة طويلة.

نخلص مما تقدم: لدى الحيوانات والنباتات آليات لضبط الوقت القصير والطويل على إيقاعات تواتر الظواهر الطبيعية، وهي إحدى أسرار الحياة التي لم يعرف عنها إلا القليل، ومهما علم الإنسان فما يجهله أكثر (وما أوتيت من العلم إلا قليلاً).

لكي تشعر من حواك بأنك مازلت على قيد الحياة لا بد لك من حركة .. من همسه .. من صوت مسموع .. من صرخة مدوية تحفر أركان المكان من حواك إذا كان كل الذين من حواك نيام .

هناك معادلة منطقية لا بد وأن يحكمها التوازن العادل بين مصلحة المباديء .. ومبادئ المصلحة .. أي أنه لكي يتم العطاء من جانب .. لا بد وأن يتم الأخذ من الجانب الآخر .. وإلا تحول الأمر في التعامل الى ابتزاز .. وغبن مرفوض أيا كان ورق السلفان الملف به .. وأيا جات القناعات! المقتعة .

ونحن هنا نترك أن للآخرين مصالح لدينا يجب أن نُسَلِّم بها .. لأن العالم مصالح .. إلا أننا نؤمن أيضاً وقبل أي شيء وقبل كل شيء أن لنا مصالح على أرضنا لها درجة الأفضلية، والأسبقية على مصالح الغير .. وما لم تحترم مصالحنا السيادية، والسياسية .. فإن مصالح الآخرين لدينا تقتقد عنريتها .. شرعيتها .. ومصداقيتها .

إن مصالح تقوم على مفهوم الأخذ وهذه دون عطاء .. دون توازن بينهما يعمق الثوابت المصلحية بين الطرفين تنهوى دون شك بفقدان الأرضية الصالحة لاستقرارها واستمرارها .

من حقنا أن نرعى مصالح الآخرين .. ولكن في حدود أن تظل مصالحنا لديهم على قدم المساواة في التعامل .. شريطة أن يؤخذ في الحسبان أولويات أهدافنا القومية .. من غير ابتزاز مصلحي .. ولا انحياز لسو محتل ما برحت آتة الجهنمية وشهية الشيطانية تحصد الأرواح البرية من أهلنا دون رادع .
أن تظل مصالح ثابتة من جانب واحد فقط .. ثوابت التاريخ أكدت هذا .. ولا شيء آخر .

نعم .. أخطأ وأخطأ صدام حسين في حق الشقيقة الجارة « الكويت » وفي حق وطنه « العراق » . وفي حق أمته العربية التي أصابها بسبب نزله الجنوبي الصدام والتمزق .. ولكن .. ما ننب شعب العراق المغلوب على أمره .. والذي يتصور جوما .. ويموت الآلاف من أطفاله وقد افتقدوا الهواء .. والغذاء تحت طائلة الحصار الظالم .

أولاً نؤد وازدة وؤد أخرى [صديق الله العظيم .
« إسرائيل » لها نفس الأخطاء .. نفس العنوان المنكرد .. احتلت أراضي الغير .. أثبتت .. ومع هذا لم تحاصر .. بل تُناصر ..
ليس من مصلحة هذا العالم المغلوب على أمره .. والذي لا يملك دفعا ولا دفاعاً عن نفسه أن تقدر به قوة عظمى واحدة .

إن المصلحة تتأتى في قيام توازن استراتيجي .. بين قوتين عظميين أو أكثر .. تضع حداً للاستفراد .. وشهية الاستبداد .. أو على الأقل تحد من شرسته بعامل الحذر من رد فعل قوي مواز لقوته .. إن الميزان يظل فاقدأ عدله واعتداله ما لم يتوفر



كلمات
للحياة!



محمد
البواردي

له كفان متساويان على أرضية التعامل.. هكذا أتصور.

* من اختار المذلة أهدى له الإنكسار.. بهذا المعنى عبر ونستون تشرشل ضمن خطابه الرائع في مجلس العموم البريطاني عام ١٩٢٨ إبان وقع الهزيمة.. قائلًا بالحرف الواحد:
- لقد خُيرت إنجلترا بين الحرب والعار.. وقد اختارت العار وكفئت بالحرب.
- هل كان يؤذن في ماله.. أم أنه يهدي مقولته لكل المؤذنين في ماله؟!
* البعض مخه أشبه بالأسفنج لا يمتص إلا ما يستويه.. تلك هي طبيعة بعض رجال الفن والفكر والسياسة.

* الميثاق الوطني الفلسطيني الذي تم تعديله قوليل بالترحيب الحار من إسرائيل واصدقائها الى درجة النار.. مبروك أو أن هؤلاء جميعاً ربوا للسلطة الفلسطينية جميلها واعترفوا بقيام دولة فلسطين المستقلة على ترابها الوطني منذ عام ١٩٦٧.. وإلا فلا مبروك ولا يجزنون..
* كيف لمخلوق أن يأمن جانب من حاد خالقه.. وحرف رسالته.. وجادل رسوله.. ونكث عهده..
وتنكر عبر تاريخه لأبسط قواعد القيم الانسانية!!
أمر يصعب قبوله.. أو تصديقه.. ومع هذا نلعل أنفسنا بكلمة «لعل» و«عسى» وليت» وهل تنفع شيء «ليت».

* محطة (M.P.C) التلفزيونية تستحق من كل مشاهديها التهنئة وهي تغطي أحداث العالم من حولنا.. وبالأذات قضايا الساعة التي تطل مستقبلاً.. والأخطار المحيطة من حولنا.. والبعيدة عنا.. انها نافذة حية مفتوحة تطل على مجتمعنا العربي والإسلامي عبر مساحته الشاسعة الواسعة.. تخاطبه من خلال تقنية تلفزيونية كانت مقفولة الى وقت قريب.. حكراً على قنوات مشبوهة موسومة بالتحيز أضدق ما يقال عنها انها تعبر عن وجهة نظر غير محايدة.. بل اكاد أقول معادية لتوجهات المسلمين وقضاياهم.. في ساحة الأقطار الصناعية معركة حامية الوطنيس ومؤثرة اسمها البث الإعلامي المشاهد عبر الأقمار الصناعية.. ذلك البث الإعلامي المتداخل من خلال ما يصوغه ويقدمه من مادة تشكل وجدان المتلقي.. وتفجر في كرامته بؤرة القبول والرفض والتحدي.

من هنا فإننا نطلب المزيد والمزيد من كل قنواتنا الفضائية العربية كي تكسب ونكسب معها الرهان في معركة حرب الإعلام الخارجي.. وفي عصر ثورة المعلومات.. فلم يعد الصوت المحنود المساحة من مكان في الساحة.. ولم يعد للصوت المبحوح.. أو الخافت من صدى..
العالم كله بكل قنوات.. وكل قواته يتسابق من أجل كسب المزيد من السبق.. وحصاننا العربي تميز بالسبق.. ولا أقل من أن يكون انساننا العربي على قدم المساواة مع غيره.. المكسب الوحيد الذي نريده أن لا تكون على الهامش في زمن اختلطت فيه الأوراق.. واختفت فيه الحقائق المجردة خلف ضبابية الرؤية عن قصد وعن عمد.

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبوها يتشرفون
برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأمنى إلى مقام
خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع
والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل الى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا
الغالية دينها وعزها وأمنها في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين
ورعاية حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاما بعد عام
وبلادنا في تقدم وازدهار.



لأرامكو السعودية ترحب بالمواليد الفنية في مسابقة رسوم الأطفال السنوية



دعوة إلى جميع الأطفال بالملكة

بمساعدة إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال إسهاماً منها في تشجيع الفنون واللواحي الفنية لدى البنين والبنات في المملكة العربية السعودية.

خصّصت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

الجوائز

خمسون جائزة للفئة تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات

خمسون جائزة للفئة تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١١ سنة

خمسون جائزة للفئة تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة

يمكن توجيه الاستفسار عن المسابقة إلى قسم الخدمات المساندة بإدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٤١٢٠٧ و ٨٧٤١٢٠٨ مع نصبتنا لجميع التوفيق.

١٢- تصعب جميع الرسومات المشار بها في المسابقة (الفائزة وغير الفائزة) ملكاً لأرامكو السعودية وتبقى في حيازة إدارة العلاقات العامة، التي تشق حق استخدام أي منها حسب ما تراه مناسباً.

١٣- تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تتكلم من ذوي الخبرة والعرف في الفنون لأختيار الفائزين في المسابقة، ويعد قرار هذه اللجنة نهائياً.

١٤- آخر موعد لاستلام الرسومات هو يوم الأربعاء ٢٠ ذو القعدة ١٤١٧ هـ، الموافق ١٢ مارس ١٩٩٧ م، ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ أو لم يتم ذلك من أن سبب التأخير هو البريد. وذلك عن طريق ختم البريد على الغلاف.

١٥- ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:
مسابقة رسوم الأطفال الثامنة عشرة
إدارة الخدمات العامة - رقم ١٣٨ - مبنى إدارة الترميم
أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١

يجب ملء هاتين القسمتين أو سورتيهما وتثبيتاً إحداهما على ظهر الرسم المشارك به وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم.

ملاحظة هامة

يجب من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أرايد أومهم ومدرسيهم أن يقرأوا شروط المسابقة بعناية، وأن يتبعوها بدقة حتى لا تشيخ الرسوم المسابقة لشروط المسابقة.

شروط المسابقة

- ١- يجب أن يكون لكل ملف في المسابقة ولا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على أربع عشرة سنة أن يشارك في المسابقة.
- ٢- لا تقبل مطلق العمرة في اختيار موضوع الرسم.
- ٣- يتقدم كل طفل للمسابقة برسوم واحد فقط، على أن يكون الرسم من صله هو الذي أن تفضل أو مساهمة من والديهم أو المرشدين أو غيرهم.
- ٤- يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منشور أو مشارك به في مسابقة أخرى.
- ٥- يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم كان يتلف من أوراق الخشب أو اللصق القوي أو لقط الخشب، أو ما يشبه ذلك، وتستخدم ألوان الجص من مواد باريك كلفن للشباب، أو قشع البلاستيك، أو الحار، أو ما شابهها، ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الحار أو ما يراه مناسباً لرسمه.
- ٦- يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أية دالة على اسم الطفل أو مدرسه.
- ٧- يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٠ سم × ٤٠ سم، وللطفل الحق في استخانة من هذه المساحة أياً ما يودها.
- ٨- يجب أن تكتب الرسم على الورق للفرق، أو تكتب على لوح من الورق الخشن أو القش.
- ٩- يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً.
- ١٠- يجب تثبيت القسيمة الرفقة بهذا الإعلان، أو صورة منها، على ظهر رسم كما يجب مل جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح.
- ١١- من أرسال لرسوماتهم يجب على مرسلها وضعها في شريف أو مغلفات مضمومة من الخلف أثناء نقلها بالبريد.

مسابقة أرامكو السعودية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ الميلاد:
العنوان الفردي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
الحيات:
اللقب:
الشارح:
العنوان:
الفاكس:

نوع الخدمة أو المادة الفنية المستعملة عند التمثيل:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به:
التاريخ:

مسابقة أرامكو السعودية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ الميلاد:
العنوان الفردي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
الحيات:
اللقب:
الشارح:
العنوان:
الفاكس:

نوع الخدمة أو المادة الفنية المستعملة عند التمثيل:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به:
التاريخ:



نجاحك ... نجاحنا



البنك الأهلي التجاري

THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

